

# الموسوعة الشامية في تاريخ الخبز والطبخة

المصادر العربية  
مؤرخو القرن السادس (٣)

تأليف وتحقيق وترجمة  
الأستاذ الدكتور سهيل زكار

الجزء الثالث عشر

دمشق  
١٩٩٤ ١٤١٦ هـ

## المصادر العربية

### مؤرخو القرن السادس

- من البرق الشامي للعماد الاصفهاني
- الفتح القسي في الفتح القدسي -- للعماد الاصفهاني

## توطئة

### بسم الله الرحمن الرحيم

سلف لنا التعرف الى بعض المؤرخين المسلمين الذين عاصروا وصول الغزاة الفرنجة الى بلاد الشام ، ولدى استعراضنا لأخبار الصراع مع هؤلاء الغزاة أدركنا كم هي هامة السدوات التي تولى فيها قيادة المسلمين كل من نور الدين وصلاح الدين ، وأرخ لأحداثها من جانب الفرنجة وليم الصوري ثم صاحب النيل على تاريخه ، وكان العماد الاصفهاني - وفيما بعد ابن شداد - قد شارك في صنعها والتأريخ لها ، وبناء عليه ان ما كتبه العماد فائق الاهمية ، لكن مما يؤسف له ان هذه الاهمية بددتها صنعة الكلام التي ابتلي بها العماد أكثر من سواء من معاصريه .

والعماد هو : محمد بن محمد بن حامد الاصفهاني ، ولد في اصفهان سنة ٥٩٧هـ / ١١٢٥ م ومات بدمشق سنة ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م ، وهو بعمره المئيد كان شاهد القرن السادس للهجرة الثاني عشر للميلاد .

انحدر العماد من اسرة رفيعة المكانة ، عمل رجال منها بالادارة ، وشهروا بسعة الثقافة ، واتقنوا العربية والفارسية ، وكان العماد قد نشأ في اصفهان ، وفيها تلقى علومه الاولى ، وفي سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م التحق ببغداد حيث تولى بعض الأعمال الادارية ، وتمتع بالسلطة وعانى من تقلباتها ، وكانت كثيرة مفاجئة آنذاك في بغداد ، وهكذا بعدما أمضى بالاعتقال قرابة العامين التحق بدمشق سنة ٥٦٢ هـ / ١١٦٧ م ، وكان على معرفة بنجم الدين أيوب وبعده شخصيات في دولة نور الدين ، مما هيا له السبل للعمل في ادارة نور الدين ، وفي عام ٥٦٣ هـ / ١١٦٧ م ، تسلم ديوان الانشاء في دمشق ، وظل يعمل

به حتى وفاة نور الدين ، واثّر هذا بامد وجيز استخدمه صلاح الدين ، وظل مرافقا لهذا السلطان العظيم وقريبا منه حتى وفاته .

وفي مواد موسوعتنا اشارات مفصلة للعماد وللادوار التي تولّاها ، لايل حتى لاسماء بعض ما صنفه او ترجمه ، وكان العماد خصب الانتاج في ميداني الادب والتاريخ ، اهتم - بحكم كونه اتقن نظم الشعر - بشعراء العربية في عالم الاسلام في ايامه شرقا وغربا ودون اخبارهم في كتابه « خريدة القصر وجريدة العصر » ونيولها له . وفي حقل التاريخ كان اهم ما صنفه :

١ - كتاب « نصرة الفترة وعصرة القطرة » أرخ به لسلطين السلاجقة ووزرائهم واعيان دولهم ورجالاتهم ، وبنى أصل هذا الكتاب على كتاب صنفه بالفارسية الوزير ادو شروان بن خالد ، وعنوانه « فتور زمان الصدور وصدور زمان الفتور » ، ونظرا لصعوبة التعامل مع لغة العماد فقد قام الفتح البنداري في العصر الايوبي بتهنيبه ، مثلما هذب غيره من كتبه ، والمتداول المطبوع في ايدي الناس ، هذب البنداري ، علما ان هناك نسخة خطية من اصل العماد محفوظة بالمكتبة الوطنية بباريس .

٢ - كتاب « الفتح القسي في الفتح القدسي » ويقال « الفيح القسي » وهي التي نقدم له اليوم ، وواضح من عنوانه أن العماد استهدف من تصنيفه التاريخ لفتح القدس وازالة المملكة اللاتينية من الوجود ، وفي الحقيقة أرخ به العماد للفترة الممتدة من سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧ م حتى سنة ٥٨٩هـ / ١١٩٣ م ، السنة التي توفي بها صلاح الدين ، وما دونه العماد في هذا الكتاب ، دونه بشكل او آخر في كتابه .

٣ - « البرق الشامي » ويفترض ان العماد جعل هذا الكتاب في سبعة اجزاء ، أرخ فيها من تاريخ قدومه الى الشام سنة ٦٢ هـ / ١١٦٧ حتى وفاة صلاح الدين ، اي أرخ فيه للدولتين الذورية والصلاحيية ، المهمة سيقوم بها بشكل اوسع ابو شامة في كتابه الروضتين .

ولم يصلنا كتاب البرق الشامي بأكمله ، بل وصل إلينا من أجزائه الثالث والخامس ، وقطعة كبيرة تتضمن جل المتبقي من الكتاب ، وجرى نشر الجزء الثالث في عمان ١٩٨٦ ، وكذلك الخامس في السنة نفسها والمكان نفسه ، وذلك اعتمادا على المخطوطة الوحيدة لهما المحفوظة في مكتبة البودليان في أكسفورد ، ووقفت على القطعة المتبقية في الخزانة العامة بالرباط ، وهي مصورة على شريط ، كان قد أودعه فيها المرحوم المختار السوسي ، ولا نعرف الآن مكان الاصل المصور ، ونشرت في مجلدنا هذا نموذجا من هذه القطعة .

لم يكن من السهل التعامل مع كتاب العماد هذا لصعوبة لغته ، فقد تغيبت المعاني وتبددت أخبار الوقائع داخل صنعه السجع الممل . مع ان بعض جمل هذا السجع رائعة التصوير ، دقيقة جدا ، لكن هذا نادر الوجود صعب التحصيل ، والاقدام على تحقيق هذا الكتاب مغامرة محذوفة بالمخاطر ، ربما سيكون الخطأ في قراءة النص أكثر من الصواب ، وبالنهاية ان المحصلات قليلة القيمة لاتضمن ولا تغني من جوع ، واضرب هنا مثلا انني قمت بمقارنة سريعة للصفحات : ١٧٠ - ١٧٩ من الجزء الخامس المنشور في عمان فوجدت فيها ١١٥ / كلمة صحفت ولم يحالف المحقق التوفيق في ضبطها مع انه بذل جهودا طيبة في هذا المجال .

وقديما واجه ابو شامة وسواه مثل ابن واصل هذه المصاعب فاقترضوا بالنقل بتصرف من نصوص العماد ، وحاول الفتح البنداري حل هذه المعضلة فهدب كتاب البرق الشامي ، ودعا الكتاب الجديد المهدب « سنا البرق الشامي » وسلف للباحث التركي رمضان ششن ان عثر منذ ثلاثة عقود من الزمن على مخطوطة غير كاملة من هذا الكتاب فنشر الجزء الاول منها في بيروت عام ١٩٧١ ، ثم جرى نشر المخطوط كاملا في القاهرة عام ١٩٧٩ مدققا بشكل معتدل من قبل فتحية نبراوي .

وبناء على هذه المعطيات وجدت انني لن احقق فوائد تذكر في تحقيق الوجود من كتاب البرق الشامي ، وان الاقتصار على الفتح القسي فيه كفاية . والقارىء لما كتبه العماد يلاحظ مدى اعتدائه بنفسه وبالادوار التي قام بها ، وافاد هذا حيث تولى وهو كاتب الانشاء - ايداع كتابيه عددا كبيرا من الوثائق ، ولحسن الحظ قام ابو شامة بنقل نصوص هذه الوثائق وغيرها وادعها في كتابه الروضتين كما اقتبس ما كتبه العماد عن الوقائع التي حدثت بعد وفاة صلاح الدين وعليه لم نلقد شيئا بعدم نشر كتاب البرق الشامي .

سيكون مفيدا مقارنة ما كتبه العماد بما كتبه وليم الصوري وصاحب النيل على تاريخه وايضا بما كتبه ميخائيل السوري ، ففي هذا مجال لرسم الصورة بشكل اكمل واصح ، وهذا ما توفره موسوعتنا هذه للمرة الاولى للقاريء العربي ، وسواه .

من الله أسأل العون والسداد ، وله جل وعلا المزيد من الحمد والشكر والصلاة والسلام على النبي المصطفى وعلى اله وصحبه اجمعين .

سهيل زكار

دمشق ١٦ - ذي القعدة - ١٤١٥ هـ  
١٥ نيسان - ١٩٩٥ .

من

كتاب البرق الشامي

للعلماء الأصفهاني الكاتب

## ودخلت سنة ثلاث وثمانين

وهي السنة المحسنة ، والعام الذي عامت به في بشار الانعام  
بالاخلاص والحمد القلوب والالسنه ، والزمان التي تقضت على  
انتظار احسانه الازمنة ، والعصر الذي أحسننت به الأمة  
المؤمنة ، وظهر فيه المكان المقدس الذي سلمت لسلامته  
الامكنة ، وخلصت بمنحة الله من المحنة الأرض المقدسة الممتحنة .  
وتمكنت من رقاب أعداء الله به الاسنة بأيدي أوليائه المتملكة  
المتمكنة ، وتبسمت من غرار الغرور باحتباء حبرات الحبور الاجفان  
المتوسنة .

وفي هذه السنة نزل نص النصر ، وكفت كفا الكفر ، وعلت  
اعلام الاسلام ونفذت احكام الاحكام ، وكفى الله شر الشرك وحكم  
على دماء الكفرة واسارهم بالسفك ، والهتك ، وتمكنت فيهم ايدي  
الايد بالفتك ، وضائق بهم رحاب الملك ، وطمت للدين بالسواحل  
بحصار الملك ، ونصرت الدولة الناصرية ، وخسدت الملة  
النصرانية ، وحق الاعداء بالحق ، ودخل من قر فوق الأمرة من تلك  
الأسرة تحت الرق ، وطالت ألوية الأولياء ، وسالت أودية  
الاولياء ، ونال الاحماء فضل رب السماء ، وتجلت مآزير  
النعماء ، وظهر سر السراء ، وتميز الطيب من الخبيث ، وانتقم  
التوحيد من التثليث ، وبنيت للدين اعانة العين ، واغاثت  
المغيث ، وشاع في الدنيا بمحاسن الأيام الصلاحية حسن  
الاحايث ، وبلي الفرنج الفجرة بما أثاروه وأثاروه في البلاء من  
التأثير والتأريث ، وأحسوا من المصيبات التي فجأتهم فعمتهم  
بالكسر الكريث ، واقتضت بالذكور اليمانية في الحرب العوان الفتوح  
الابكار ، وحلبت هدى الهدي ، في ندى الندي ، وحليت بحلى الحلبي  
وتليت الاذكار ، واعترف من عادته الجحود وأقر من دأبه

- ٥٧٨٩ -

الانكار ، وملكك من معاقل الكفر على من باض فيها وفرخ  
الأوكار ، واعتري ليلهم يوم الاعتراك الاعتكار .

وتناهت بالفتوحات الممنوحات في هذا العام عشي ايامه  
والابكار ، وكاذوا كما قال الله تعالى : « وترى الناس سكارى  
وما هم بسكارى » فبالله ذلك العذاب الشديد والاسكار ، وقد  
وصفت في الكتاب الموسوم بالفتح القدسي هذه الاحوال ، ووسعت  
ووشعت الاقوال ، وحليت الفتوح ، وأملت الشروح ، وأهديت  
المذوح ، ونفخت في أجسام تلك الايام باحياء ذكرها الروح

وأنا أورد في هذا الكتاب مما أوردته جملته الجميلة وجلالته  
الجليلة ، وحالته الحالية ، وقيمتة الغالية ، وفضيلته  
الفاضلة ، وعدالته الشاهدة وشهادته العادلة .

ذكر مقدمة لذلك مباركة ومكرمة من لطف الله  
متدركة .

كان السلطان قدم الكتب لاستقدام الكتائب واستدعت الغرائب  
بالرغائب وقرب جنحية الأقارب والأقاصي . . . مظهرات  
مكرماته والجوهرم على عادات علاء عاداته ( ١ ) . . . وسمات  
حسناته ، وواصل الموصل بالبر البري من المر ، وسنجار استجری  
المذاكي الخلية الوهن ونصيبين للأسعاف نصيب الأسعاف ، وأمد  
ديار بكر بالامداد بعد الامداد ، واستدعى عساكر ممالك الشام من  
الأطراف والأوساط ، وأمرهم بالاحتياط ، وصانهم للاقتصاد في  
القضم من التفريط والافراط ، وبرز من دمشق يوم السبت أول  
محرم في العسكر العرمم ، والعزم المصمم للفرض المحتم والرعب  
الى العدو والباس المقدم ، ومضى بأهل الجنة بالجهاد الى أهل  
جهنم ، فلما وصل الى رأس الماء ( ٢ ) اتخذها مذبح نحو الهيجاء  
ومضمار خيل الاجراء ومثار العجاج المكرر على نهار الروع ليل

الظلماء ، وجعلها مطلع فلق فيالقته ، ومحيط مضارب  
سراقة ، ومجال رواده على بوارقه ، ومجر سوابغه مجرى  
سوابقه ، ومجمع جموع خلائقه ، ومحمى حماة حقايقه ، ومحشر  
معاشره ، ومريض أساده وقساوره ، ومخيم جيوشه ومجثم  
عساكره ، وأمر ولده الملك الأفضل نور الدين عليا بالاقامة هناك  
ليستدني اليه الأمراء الواصلين والاملاك ، ويجمع الأعراب  
والاعاجم والأتراك ، ويذاوم لما... ( ٣ ) فرط الاستدراك ولايفارق لما  
يلزمه الاحاطة بعمله الادراك ، ويضم لمجمع الاجناد  
الاشتات ، ويجم لموسم الجهاد الأوقات ، وسار السلطان الى  
بصرى ، وخيم على قصر السلامة ، وقد استقبل من الله  
الكرامة ، والاستقامة .

### ذكر السبب في ذلك

وقد سبق ذكر غدر ابرنس الكرك • وفسخه للهدنة • واعتماده  
من قطع الطريق وخافة السبيل كل ما في المكنة • وهو على طريق  
العسكر المصري والحاج • شديد الالتجاء • وفي بحر  
اللجاء • وكان في الحج حسام الدين محمد بن عمر بن  
لاجين • ووالدته اخت السلطان مع جملة من الخواص  
المقربين ، وأقام الى تلقى الحجيج • واستقبل محيا لقائهم  
البهيج • ورأواهم الأريج • وخلا من منعلم سره • وتجلي  
ليشرى سلامتهم بشره • وذلك في آخر صفر • ووجه صباخته  
لاسفار صبيحة الظفر سفر • ثم لما فرغ باله • جم الى الكرك  
استقلاله • وتقدم بمن معه من العساكر حتى نزل على حصنها  
نزول الحاص الحاصر • وأقمنها هناك نرعد ونبرق • ونوقد  
ونحرق • ونرمق ونومق • ونهرق ونزممق • ونغرب  
ونشرق • ونضايق ونضيق • ونجمع البلاء على تلك البلاد  
ونمزق ، حتى اجتثت أصولها وفروعها ، واستأصل كرومها

وزروعها ، وقطع ما وجد من لينة ، وأذهب مآراقه من زينة ، وفري  
وقري وفصم العري ، وابسط الذرى ، وهجم على ظهر  
الثرى ، وحلب حر النجح هدى ، وشب الشوبك نار الوعيد بإشارة  
رأس الوليد ، وقطف ثمر النصر من ورق الحديد ، ووصل العسكر  
المصري متصل المدد ، محتفل العدد والعدد متضج الجد  
والجدد ، ومضطرم اللهام ، ملتهم للضرام ، ملتهب الجمر ، ملتهج  
الجمع ، أخذه بوارقه ورواعده ، بالبصر والسمع ، فقوي  
الاستظهار واستظهرت القوى ، وسأقت وراقت مزاينه المجلوبة  
ومحاسنة المجلوة ، وأقمنا على الحالة الحالية والجلالة  
الجالية ، والمهابة المرهبة ، والمحبة المرغبة .

ذكر ظفر السرية التي بعثها الملك الأفضل وعودها  
بالنصر الأكمل والغنم الأجل .

أما الملك الأفضل فإنه اجتمعت عنده الجذود من كل فريق ، وأتوه  
من كل فج عميق وضاق بوفودهم القضاء ، وفاض بوفورهم  
القضاء ، واجتمع من دجى عتيرهم ومشى بنورهم الظلام  
والضياء ، واشتبكت الأرض والسماء ، وطفا على بحار الرحاب  
من القب والقباب الحباب ، وطما بأمواج العوامل وأفواج الجفاف  
من الكمت والكماء العباب ، وانقضى من السنة شهران ، وطال بهم  
انتظار السلطان ، والدين يتقاضاهم بدينه ، والكفر يتحماهم على  
حينه ، فرأى الملك الأفضل أن يشغلهم بغزوة يعودون منها  
بحظوة ، فأنهض منهم سرية سرية نخية على ذوي البسالة والبأس  
والشدة والمراس ، ورتب على خيل الجزيرة ومن جاء من الشرق  
وسيار بكر مظفر الدين كوكبرى صاحب حران الأغلب الأعز ، وعلى  
عسكر حلب والبلاد الشامية بدر الدين دلدرد بن ياروق . وهو الذي  
بحماسته يرتق من الاسلام بالفتوح الرتوق . وعلى عسكر دمشق  
وبلادها صارم الدين قايماز . وهو يفوق غضاء مضاربه الصارم

الهرماز والعضب الجراز • فأسرجوا الخيل • وأدلجوا  
الليل • وجروا من السابريات النيل • وأجروا من الأعوجيات  
السيل • وجلبوا الى العداة الويل • وصبحوا صفورية في أواخر  
صدفر • وصباح النصر قد افتقر • فخرج اليهم الفرنج في حشود  
جهنم وريويلملم • وجنود ابليس واسود تحمي العريس  
وسراحين على سراحيب • وأهـاضيب تتحللـل  
أهـاضيب • وتعتقل انايبب وتشتمل شأيبب • في الداوية  
بأدواتها • والاسبتار بأسوائها • والبـارونية  
بـلاوائها • والتـركبولة وأربائـها • والفـرنجية  
بـضـرائها • ووثبوا في وثبات الآساد • وحملوا في ثبات  
الاجواد • فلولا ان الله قد اصحب اصحابنا التوفيق وهدى أهل  
هذه الطريق • لكاد الكفر ينجو والاسلام لا يعتز بالاجر • لكن  
أمـرائـه الكرام اسـتـطابوا الحمـام • فـلاقـوهم بـقلوب  
الصخور • وحبور الصقور • وباشروا بصدورهم صدور  
الأسنة • وغامروا بنحورهم نحور الأعنة ، فأتاهم الله النصر  
المني ، والظفر السني ، وسقوا منهم حنين الحنايا • وأدركوا  
فيهم منى المنايا • وقازوا وظفروا • وحازوا وانتصروا • وقتلوا  
وأسروا • وهلك مقدم الاسبتار • وحصل جماعة من فرسانهم في  
قبضة الأسار • وعادوا سالمين سالبين • غانمين غالبين • وقد  
كبسوا وكسبوا • وسحبوا ذيول الاختيال بصدق ماحسبوا • وكانت  
تلك الذوبية الحلوة • والخطوة الصفوة • بأكوره  
البركات • ومقدمة مابعدا من ميامن الحركات • واندرج ان الله  
يعلي لأوليائه الدرجات • ويسـوق زمـر اعدائه الى  
الدركات • وجاءتنا البشرى ونحن في نواحي الكرك والشوبك ندور  
ونجول • ونجور ونذور وعلى الأعداء منا الدحور والثبور • فلما  
قرأنا الكتب بالاستنهاض والانبجاث حللنا حبلى اللبث وعقدنا عزم  
الانبجاث • واستمهلنا مهول الأوعات .

## ذكر الاجتماع بالعساكر .

وعدنا واجتمعنا بالعساكر ، وانتظم عمل الأواذل والأواخر ، وخيمنا على عشترا ، والقدر يقول للأسلطان تعيش وترى ، وقد غصت بخيل الله الوهاد والذرى ، واشتمل المعسكر على فراسخ عرضا وطولا ، وملا بالملأ حزونا وسهولا ، فما يرى الا خيل صفون رحض كأنها حصون ، وزحف موضون ، وغضب مسنون ، وفيض مكزون ، وحركة وسكون ، وركوب وركون ، وجنات وعيون ، وفلك في بحر من العسكر في البر مشدون ، وضائق الأيام عن عرضها ، وتقاضت الليالي بقرضها ، ونزلت جنود سمائها الى جنود ارضها ، فللمقانب مناقب ، وللمواكب من الخرصان كواكب ، وللكائب من الشجعان مناكب ، وللذواذل ذواذب ، وللعصب من البيارق عصائب ، وللريح سائب ، وللوهج مشارق ومغارب ، وللمراكب مراقب وللسلاهب جنائب . وللحقائق حقائق ، وللمواهب مزاheb ، وفي كل يوم انفاق وارقاد وارفاق ، واشراف واشراق ، واعتلاء واعتلاق ، واعتناء واعتناق ، واجتماع لا افتراق ، وانطلاق واندلاق ، وامتناء وامتراق ، وايلاف وائتلاف ، واستباق والتحاق ، واختفاق من ألوية الأولياء واصطفاق ، وضمير وعناق ، وسمر ودقاق ، وبيض رقاق ، وعطاء حساب ، وكأس من الجود دهاق ، وعرض العسكر في اثني عشر الف مدجج ، في ليل العجاج مدلج ، يشتمل على عدة جنائب اسعاد أنت في الجري شمائل ، وجنائب سواغب تجري بها الرياح ، ورماح شيلها المراح ، ورواسي سوارى ، وأعلام جوارى ، من كل كاف بلام ، وراء لعين حمام ، وضارب بضرام وهام لهام لهام ، وضلغم ضرغام ، ومصمم بصمصام ، وحاسم بحسام ، ومقدام لهمام قمقام ، وفارس للأسد فارس ، وللروع ممار ممارس ، وللصبح بما يثيره حابس ، وباشر بالكريهة غير عابس ، قاذح لسنا السنايك قابس ، مناف لعداة الاسلام في الدين

منافس ، وكل مجاهد بسر الصدق مجاهر ، ومظافر لأولياء الله  
مظاهر ، ولعاشر الحق معاشر ، وباسل للبأس باسر ، والفتخ  
الكواسر كاسر ، وكأس النجيع حاس وعن ساعد الجسد  
حاسر ، ناصب لنصرة الدين ماله غير الله من ناصر .

### ذكر الدخول الى الساحل للقاء الفرنج ، وكان الرحيل يوم الجمعة سابع عشر شهر ربيع الآخر

ولما انقضى العرض . اقتضى الفرض . وسالت بأفلاك السماء  
الأرض . والتطم البحر . والتمم الجمع . والتهيب الجمر .  
واضطرب المجر . واحتبس الفجر . واقتبس الأجر . وقربت  
الضمر . وبرقت البيض والسمر . وردت بالردى العداة الزرق المنايا  
الحمر . ونشرت للأواء بني الأصفر الألوية الصفر . وراقت لنصرة  
ثمر النصر أوراق الحديد الخضر . وأنارت بالأيامن الغر الأيام  
الغبر . وتمكن في قلب الكفر من بأسنا الذعر . وانصف الدهر .  
واسعف النصر . وكان السلطان قبل يوم رحيله . وعزم الجهاد لله  
في سبيله . أركب العسكر بعدته وعدته . وحيدته وحدته . وبيضه  
ومجره ولجبه . ورتبه اطلابا . وحزبه احزابا . وعين رجال القلب  
ومن يقف بالقرب . والميمنة وحماتها . والميسرة وولاتها .  
والجناحين وقوادهما من ذوي الاقدام . والمقدمة والساقة على سنن  
النظام . وعين مواقف الرجال ومواضع الابطال . وعين الجاليشية  
من كل طلب ورماة احداقها وحذاق رماتها . وعين لكل امير  
موضعه . ولكل منير مطلعه . ولكل اسل مـركـزه ولكل سـحـيل  
منهزه . ولكل اسد عرينه . ولكل قرن قـرـينه . ولكل جـسـم  
مقامه . ولكل مرام مرامه . ولكل عازم مـنـهـبه ولكل حـازم  
مـوـكـبه . وقـرر مـنـظـانـهن في الركوب والنزول والـثـبـوت  
والحلول . ومعارج الصفوف . ومدارج الزخوف . ومناهج  
الحتوف . ومخارج المئين . وموالج الألوف .

وسار يوم الجمعة سابع عشر ربيع الآخر بالعساكر . والأسد  
القساوير . والفتخ الكواسر . والقضب البواتر . والفلك  
المواخر . والسحب المواطر . والسحدم الدياجر . والحمس  
الزوائر . والغر السوافر . والبيض الزواهر . والسمر  
الشواجر . والبيض المغافر . والقوم المعاشر . والبلاد  
والحاضر . والخف والحافر . والصلب والمساجر . والأكارم  
والأكابر . والسباعي والسمائر . والعسالي  
والفاخر في عابيات سفره . وعن الرعن لعابيات كفره . حزن الحزن  
وهي . مغاوير هدى . دان لها التقدير الخماير عدى . بنا منها  
التدمير . وسارت على ترتيبها وتعبئتها وتنكيبها وتنقيبها محدشورة  
عصائبها مندشورة ذوائبها . سائلة أوبيتها . جائلة أرضها . فهي  
تخرق الخرق . وتغرق الغرق على الفرق . تملأ الوهاد  
بهوائها . وتكأ من العوادي بعوايها . وأناخت ليلة السبب على  
خسفين والكفر مخسوف . والشرك مكسوف . وكل جبل بلجها  
مذسوف ونسيم النصر من قوتها مسوف . وللأقدام في لج الأقدام  
رسوب ورسوف . وللبين في فضله وعدله والكفر عسوف . وباتت  
تلك الليلة والرماح مركوزه والصفاح مهزوزة . وللمقربات  
تصال . وللمضروبات صقال . وللمنسوجات اجراء . وللشريجات  
اغراء . وللعوج رنان . وللأعوجيات رهان . وللقساطل  
اقساط . وللصواهل أصوات . وللسلامة امراط . وللأسواقمة  
صراط . ولأوراد المنايا قراط . ولأقطار الجو من جوانب الأسنة  
اقراط . ولحكم الظفر من مقتضيات القدر مناط . وللقيام  
اشتراط . وللقناد اختراط . والعسكر بساط . وللعثير  
اضباط . وللهم اعباط . وللهم ارتباط . وللهم  
اختباط . وللأمم احتياط . والعزم نشاط . وللحزم  
يشاط . وللغامم اختلاط . وللصوارم اشتطاط . وللنجم  
مماط . وللأفق منه سماط .

فلما بكروا ركبوا وكبروا . واخذ بحرهم في الالتجاج . وبرهم في  
الارتجاج والجو في الارتجاج . والدو في الامتراج . وقلب الكفر في

- ٥٧٩٦ -

الانزعاج . وجند السماء والأرض في الامتزاج . والصبح في الانبلاج  
لولا معارضة العجاج . وخضرم الخضراء من غبرة الغبراء ذو  
الأمواج والأفواج . وتلتها افق العجاج . وقوس الترائك لامعة في  
الأبراج . ومضايق الزحام داعية الى الانفراج . والأسد سابحة في  
غاب القنا الى الهياج . وأجنة الحنايا مشرفة على  
الاحراج . وأسنة المنايا مشرعة للانشاج . وأعنة السرايا مسرعة  
للادللاج . وليل الخيل داج . وطرف الغزالة ساج . ورعب الجيش  
يخامر الدهر شاج . ونقود الرواحل من عقود الرواغب في  
رواج . والشوارع نازعة للآجاء واسراء من الجوام  
واسراج . ونزلوا بثغر الاقدوانة حروص راء . وعقد غير  
واء . وعزم غير باء . وعزم متباء . وسعد متناء . وحكم أمر  
ناء . وعيون ذات اسباء . ووجوه نضر ذي اتجاء . ومضاء للفضاء  
مضاء . وشفار بيض لها مع الأعداء شفاء شفاء . وضربت  
الخيام . وغصت الوهاد والآكام . واشتد الغرام . وامتد  
الضرام . ووجد بالجد العرام . وتقدمت المساعي وسعت  
الاقدام . وعلت الأعلام الأعلام . وزها الاسلام . وأمكن من الكفر  
الانتقام . وحمي للتحزب الحمام . وشد للتخرم الحزام . وأقام  
الطيف . وطاب المقام . وزاد في الكف اكفاء الكفاح مراح  
الرماح . وتصافح الصفايح . وعرف كيف ركوب الجبال  
للرياح . ووعدت الظباء الظلماء بإروائها من الأرواح .

وأقام السلطان هناك خمسة ايام الى يوم الخميس . في ذلك  
الخميس بضراغم الخيس . وقساور العريس . وبنات قواعد  
التأسيس . وأساة المضايق بالتفيس . وحماة الحقائق في طوري  
الايحاش والتأسيس . وولاة الفياق المباشرة بالبشر يوم  
التعبيس . ورماة المآزق في ادارة العذاب البئيس من بلاد الشرك  
بدار الدرييس . واقتداح زناد الأفراج . وانهاض جناح  
النجاح . الى ارداء اهل الجناح . وكيف وأين ومتى يكون  
اللقاء . وهل يفترق الاحباب . وقد اجتمع الأعداء . ثم صممنا

العزائم على تثبيت الأقدام للأقدام . وسلب لبس السلامة من ملابس عادة الاسلام .

### ذكر ما اعتمده الفرنج

أول ما سمع الفرنج باجتماع كلمة الاسلام . ووصول امداد العساكر المصرية والجزيرية الى الشام فرغوا من هجوم حين حينهم . وشرعوا في اصلاح ذات بينهم . وزحفوا عن التغاير والتنافس الى التضافر والتوادس . وقالوا : نحن انصار النصرانية . واصلاب الملة الصليبية . وقيام القيام بها . وعصب العصبية . وعمدة المعموية . وداروا بدرافاويق الوفاق . ونزعوا الى نزع شقق الشقاق . وأثار القوم صلح القومص ( ٤ ) ووصلوا على مرابه مطلع امانيه بالمخلص . ثم تزاوروا وتوازروا . وتضافروا وتظاهروا . وحشدوا وحشروا . ونصروا واستنفروا . والتأموا واشلاموا . وقدمروا وتذمموا . وتخبطوا وتورطوا . واخترموا واخترطوا . واشتطوا وافرطوا . وندموا على ما فرطوا . وخطبوا وخبطوا . وامتزجوا واختلطوا . وقبضوا وبسطوا وقسطوا وفي ايديهم اعطوا . وجمعوا عبدة الناسوت واللاهوت . ورفعوا صليب الصلبوت . وثار اليه كل ملتاح الى الثأر مرتاح . الى النار دار بالجب الجرار . وار يفلح الاوار . ضار بلا ضرار . مستمر مع اسرار . غمر من الأغمار . وكل مغومقوار . وباد بادبار . وناز بزناز . وكافر فجار . وناكث غدار . وباسل ذي بأس . وفارس للأساد فراس . وداوي داء خبيته عضال . واسبثاري له دون تباره نضال . وباروني يبارى البوار . وتركبولي لا يترك الغوار ، وينزع النزاع الى الاوتار الاوتار . وكل متدرع بجلد أرقم يهـز أفعوانا . وكل شيطان يجبر لهتهج ماء الأرواح أشطانا . وكل متميز في الوغى متمرن على الردى مترنم . بصليل الظبا مترنح . بكهوب القنا متوقح . بضراورة الشر على ضاربي الشرى متوقد . يفض

الجمع الجم كأنه حمر الغضا . مقتحم للطبيعة النارية شواظ  
لظى . ضرب كالغضب المنتضى . تنحت كالشبا . وكل جحيمي  
جاحم . وضرامي ضارم . وجهنمي بجهامة . وممتري  
بصرامة . وناري يافح . وحجري يقح . ومارد مارج . وصرف  
للشر مرازج . وسعري ذي استعار . كأس من عار . حاس من دم  
جار . عاس على العجم جاس في الهجوم . خاس في الرجم . قاف  
اثر الغي . كاف بعين البغي . جاف على النثر والطي . حاف في  
الزحف راد بالزحف . ساق بالحذف . ناصب بالفعل جازم  
بالحذف ، وشارب نجيع شار ، وضريب قريع ضار ، وكل مجترم  
مجترح محترف للموت مقترح ، حقيق بالروع مصطبح ملتفع ماثم  
الخطوب ملتفع مصطلم لثلم الخطوب مصططح ، وكل ذي فضفاض  
وسابغ ونضناض لادغ ، وعاو زائغ ، وعار في الدماء  
والغ ، وسالب باسل ، وطالب باطل ، وعامل ناصب ، وعاسل  
لاسع بعاسل ، وكلب نابح وثعلب ضابح ، وسرحان سارح ، وذئب  
جارج ، وزرق تمزش بزرق الاسنة ، وشقر تعبى الشقر بصرف  
الاعنة ، وكل رامح رام ، ونابل ناب ، وراحض عاب ، وحاضر  
غاب ، ومرتكب كبائر ، ومرتبك جرائر ، ومبتكر جرائم ومشارك  
عظام رثبال ، وأمعط مغتال ، وأمرط ضال ، فعاموا في بحر  
العمى ، وحاموا من الردى حول الحمى ، وغاروا للاقتحام  
الوغى ، وأصحروا بصحراء صفورية في غيل القنا ، وطلبوا في نهج  
المنيا نجع المنا ، ومشوا الى المدانة ، ونأوا عن الونى ، وطمى  
سيل خيلهم على الوهاد والثرى ، ودب راجلهم كرجل الدبا ، وحلوا  
لحب الموت الحبا ، وقال الظلال في ظلام العجاج ، وضاق الفضاء  
عن مجال الضحضاح ، وبدا خرق الصبح فوقى النقع  
بالوقع ، وشكا الثرى الى الثريا من الحواجر الحوافر شدة  
الوقع ، واحتابوا مواقع واجتنبوا سوابق ، والمعوا والبوارق •  
واسمعوا الصواعق • وقربوا السوابق • وأبعدوا الخوانق •  
وحملوا الطوراق الطوارق ، وشبوا نار الفرق ، وأشأبوا  
المفارق ، واعتقلوا القنطاريات قناطر العبور العير ، وانتزوا لحماية

السلب في العوامل كعاسلات النحل مسدساتها بالأبر ، وطال الشر  
وطار الشرار ، وشق الأمر ، وسقت المرار ، وأخضرت الغبراء من  
الحديد ، واغبرت الخضراء من الحديد ، وساحت  
السيول ، وسالت الشهاب ، وتفايشت البحار ، وتضايقت  
الرحاب ، وتموج بضراغة الغاب ، وأرعبت أيماض البروق  
وأصعد الرعود ، فالكفر منهم ظلمات بعضها فوق بعض ، وختم  
القتام بالفضاء في فض ، وغدران الفران في فيض ، والنجوم في  
انقاض ، والرجوم في ارفضاض ، والذوابل في ارتفاع ، والعوامل  
في ارتفاع ، والعواهل في اضطراب ، والصواهل في اصطخاب  
والجيش شاك ، والعيش شاك ، والاشراك ناصب واشراك وخاطب  
ادراك ، وطالب بوار ، وحاطب ليل خسار ، وثائر ثار ، ونيران  
المذاكي مذكي نار .

### عاد الحديث الى افتتاح السلطان بفتح طبرية وذلك عشية الخميس ثالث عشر ربيع الآخر وذكر المشاورات

ومازال السلطان لله مستخيرا ، وبعونه مستجيرا ، ولأعوانه  
مستشيرا ، فأشار الأمراء ذووا الآراء بالصمود عن اللقاء  
والمحافظة على نضار الاسلام بصون الذمماء وحققن الدماء  
وقالوا : لم يسبقك أحد الى مضايقة القوم ، ومحاققة المزم في  
الرقم ، ومابلغ الأملاك قبلك الا ما بلغت ، ولم يريغوا من هذا المراد  
ما أرغت ، وهذه جمرة الاسلام ، ونخبة رجال الشام فلا تفركم  
تذقل المعركة ، ولا تلحق بأيديهم الى التهلكة ، وهذه بلادهم قد خلت  
منهم ، ونأت بقربهم ضياعهم ، فذشتغل بالاغارة على بلادهم  
الخالية ونقدم بأقدامنا عطل احوالها الحالية ، وترجع بالغنائم  
والسبايا والمرباع والصفايا ، وما نزال نزيدهم حتى نضعفهم بامداد  
البلايا ، ونخلص من انسانهم عاجلا أو آجلا ، بالقود والسبايا .

فقال السلطان : ان الايام غير مأمونة ، والأعمال غير مضمونة ، والجهاد قرض فـرضه رسول الله في أرضه وسمائه ، وندير بطوله وعرضه عرضه ، ولا بد من هذا اللقاء أما وإمّا وإن الله اصدق القائلين : « ولينصرن الله من ينصره » فقالوا : خصك الله وأفردك بهذه الفضيلة ونجح الوسيلة ، وحيث استخرت الله في الاقدام فاننا نبذل المنح بين يديك للاسلام.

فلما أصبح يوم الخميس • سار الخميس • وزحف بأسده العريس. وطلبت اطلاب احباب لآله لقاء الاعداء • وجرت السوابق على الأردن أربيان الوبيان في الاجراء. واعتضدت أملاك الارض بملائكة السماء • ولوت أولياء الله على العبدى ألوية اللاواء • ورمدت عين الفلك من ملابسة الأقداء • وحارت غزالة الفلق من أسد الفيلق • وتقيد عنان الجو من عنان الجواد • ولاح سنا الموت الأحمر في السنان الأزرق • وأشرف على الفرنج في معسكرها العسكر • وقام الحشر • وعاث العير • وماج البيض والسذور • ومار المورد والمصدر • وغام اليوم الأغبر. وراغ الحديد الأخضر • وراق الأبيض والأسمر • ووقف مع المثير المعشر • وحال المغيث وهال المحضر • وهاب المنظر والمخبر • وظهر الحق وحق المظهر • وارتفعت الأصوات بقول : « الله الأكبر » فلو برزوا للمصاف لطالت عليهم يد الانتصاف لكنهم ربضوا ومانبضوا • وقعدوا وما نهضوا وأخذوا الى الأرض • وشدوا نواجذ العض • ولم يدعوا مـرابضهم في ذلك المكان • ولم يشيموا ما في الأجفان • وثبتوا ونبتوا ، وسكنوا وسكتوا • وأشفقوا في البروز من الخطر • وفي الخروج من الغرر • وحذروا من القدر لو دفع القدر بالخطر .

فلما عرف السلطان أنهم لا يبرحون • ومن قرب صـفورية لا ينزحون وأنهم لا يهيجون الى الهياج • ولا يـخـوضون معه بحر العجاج • أمر أمراءه أن يقيموا على مقابلتهم • ويذموا على عزم

مقاتلتهم • ونزل هو في خواصه العيسية على مدينة طبرية • وعلم  
أنهم اذا علموا بنزوله عليها بادروا بالوصول اليها • فحينئذ يتمكن  
من قتلهم • ويجهد في استئصالهم • فحضر طبرية  
وحصرها • وابتدأ بها وابتدورها وجمع الرجال على أحد أبراجها  
وأخلاها مما حمى أهلها من أعلاجها • فوق ذلك البرج • وانتزع  
عنه الفرنج • ونصبت عليه سلالم الاسلام • وبخلوها في جنح  
الظلام • فاستضاءوا بما أعلق من الضرام • وعاد ليله معدوبة من  
الأيام • ووقعت النار في مخازن كتان وأهراء غلال • فاحتقرت  
أمتعة بأموال • وكيسوا رباعا وكسبوا متاعا • وأرهجوا  
وأوهجوا مرضا وضرما • وأخرجوا وأخرجوا نعمما  
ونعما • وبقيت الدور فارغة شاغرة • وأفواه الأطماع الى ازدراد  
ماتحويها فاغرة • وتحصنت القومصية ست طبرية في  
قلعتها • ومعها بذوها وحموها بسيوفهم وعصموها • ووقع  
الاشتغال بحصارها • ونقب جدارها وطم جوارها • وفصم  
سوارها .

فجاء من أخبر بأن الفرنج قد بكروا وركبوا • وأجلبوا بخيلهم  
ورجلهم وتحربوا وتحزبوا وتصلبوا وصلبوا • وتعصبوا  
وتصعبوا • وثاروا وفاروا • ورازوا وزأروا • وجاءوا  
واجئين • بالفجائع ماجئين • وفي ليل القتام مدجين • وفي بحر  
اللام ملججين مدجين • والى حزب التوحيد بحزب التثليث  
مخرجين • ومن كل جبل تحرقه الريح • ومشيع شعاعه  
المسيح • وذمر يخفر الزمان ويبيع ، ونصب الى الموت  
يستريح • ومشتاق الى ملاقة المذون قد حثه التبريح • ومخرج  
الى التورط في الردى من هول ماهوله يصيح • ومرتجج يؤذسه  
المارق اللجج • ويوحشه الفضاء الفسيح • ومن كل بطل  
مكره • وحبل مد مده ، وقرم قرم • وضرغام ضرم • وكل معاند  
للبلاء معاق وكل حان لثمر العناء جان .

## ذكر مسير السلطان لعزم اللقاء .

فلما سمع السلطان بحركتهم • أيقن بهلكتهم • وقال : الحمد  
لله الذي أنجـز وعده • وأيد جنده وأبنا منــ مــــرادنا  
القطاف • وأصغى من مرامنا النطاف • وأسنى لنا الالطاف  
ونهض بجباله الى جبالهم • ويرجاله الى رجالهم • وسار  
لقتالهم • وضيق عليهم سعة مجالهم • وأخذ عليهم بذوي الاقدام  
قدامهم • ووقف بصفوفه امامهم • وصد طـرقهم • وسد  
فلقهم • ورد عن الزحف فيلقهم • وأغرى غرامهم • وأضرى  
ضرامهم ذاك والله ذاك ، والجيش شاك والقيظ عليهم فيض • وما  
للغيظ منهم غيظ وقد قد الحر ، واستشرى الشر • ووقع الكر  
والفر • وللأوار تأجج • وللأرام توهج ، وللعدى شعل • وللردى  
شغل • والسعير واقـد • والهجير عاقـد • والآل شايـط  
غرار • وماآل الشيطان قرار • والسراب طافح • والظمأ  
لاقح ، والجو محرق • والجوى مقلق • ولأولئك الكلاب من اللهب  
لهث • وبالعيث عبث ، وفي ظنهم أنهم يردون الماء • ويردون  
الزماء • ، فحالاتهم الحالة الحالية • وغالتهم الغلة  
الفائلة • واستقبلتهم جهنم بشرارها • واستظهرت عليهم الظهيرة  
بنظارها • وذلك يوم الجمعة بجموع أهلها المجتمعة • ووراء  
عسكرنا بحيرة طبرية • والورد عد وما فيه بعد • وقد قطعت على  
الفرنج طريق الورد • وبلوا من العطش بالنار « ذات  
الوقود » فوقفوا صابرين مصابرين مكابرين مضابرين ، فكلبوا  
على ضراوتهم • وشربوا ما في ادواتهم • وشفها ما حولهم من  
موارد المصانع • واستنزفوا حتى ماء المدامع • وأشرفوا على  
المصير الى المصارع • وبخل الليل وسكن السيل • وباتوا على  
شغف البحيرة بحيرة • وحيقت ظنونهم • ولم يبق بهم غير  
غيرة • وباتوا بقريحة وقرح • وظماء برح • وقووا أنفسهم على  
الشدّة • واستعدوا بالعزائم والضرائم المحتدمة المحتدة • وارتووا  
من ماء الفرند • واكتفوا بماء جداول الأغمد من الورد

العد • وقالوا غدا نصب عليهم ماء المواضي ونقاضيهم الى  
القواضيب القواضي • ونقتضي بحقوق الحقود أشد  
التقاضي • ونبليهم في برد الصباح بحر الكفاح • ونظهر لارواء  
الأرواح نجاح النجاح، وشدوا حزم الانتحاء • وأعدوا حرم  
الغناء • وأجدوا عزم البلاء • وطلبوا البقاء بالتوسط في  
العناء • وأما عساكرنا فانها قد اجتذرات • ومن كل مايعوقها  
برئت • وهذا لسنانه شاحذ • وهذا شهم موفوق • وهذا لحده  
ممه • وهذا لحده منه • وهذا لسهمه مفوق • وهذا شهم  
موفوق • وهذا مكثرت التكبير • ومنتظر للتبكير • وهذا مجر  
ضامر • ومعر بائر • ومغر مؤمن بكافر • وهذا يقول : أنا المبارز  
المناجز • والمحاجز للحاجز • وهذا ناج للسعادة • وهذا راج  
للسعادة • فياله تلك من ليلة حراسها الملائكة، ومن سحرة انعامها  
الطاف الله المتداركة • ومن دجنة أضاء بها نور الجنة • ومن دجنة  
أنارت بها نجوم الأسنة • ومن هزيع تجره بالحق صديق • ومن  
ظلام ممله بالضياء جميع • ومن جنح كل جناح تحت مغافره  
مغفور • ومن ينجور ما بعده لا شراق سنا النصر ينجور • ومن  
ألوية أولياء الله عقدتها بخمرها الدور • وقد قابل بها فيها ظلمة  
الكفر من الايمان والنور • فهي ليلة القدر « خير من ألف  
شهر » تنزل فيها الملائكة والروح • وفي سحرها نثر الظفر  
يفروح • وفي صباحها الفتوح • فما ابهجنا بتلك الليلة  
الفاخرة ، فقد كنا ممن قال الله فيهم : « فاتاهم الله ثواب الدنيا  
وحسن ثواب الآخرة » وبتنا والجنة معروضة • والسنة مفروضة  
والكوثر واقفة سقاته • والخلد قاطفة جناته • والسلسيل واضحة  
سبيله • والاقبال ظاهر قبوله • والظهور قائم دليله • والدين  
متقاضي بالشفاعا عليه • راع رياض الرضا رعيه • والله ناصر  
الاسلام ومديله .

## ذكر الذشاب ووصفه .

وسهر السلطان تلك الليلة • حتى عين الجاليشية من كل طلب  
بأسماء رجالها • وملا جعابها وكناثها عريات نبالها • ومريشات  
نصالها • وكان ما فرقه من الذشاب أربعمئة حمل • فتزل نص  
النصر منها على كل نصل • ووقف سبعين جمازة في حومة الملتقي  
يأخذ منها من خلت جعابة • وفرغ ذشابه من تغالق تفتح من باب  
الجنة المغالق • وتواضيح تخرق المضائف الذسيح • وناوكات ذوات  
نكايات • وزيارات وزنبوركات • وذبل عنده نبأ لكل تيل • وذشاب  
في الأحداق ذي انشاب • وجروح الجروح • وخروج الروح • وسهام  
الاشهر سهام الحمام وتفسير اقرانها ..... الثغام . ونصل وصالها  
تقطع اوصال نافق بكل حمس صال . ومطالق نطلق بها سراح  
الارواح . ومعابل تكثر منها صعاب الجراح . ومهرقات موفقات  
مسدات ... الحصار ... ( ٥ ) المبررات وصوائبات الى المقـ  
صايبات . ونواجز تعيد السباع قنافذ . وتجعل للنجيع  
مناجع . وللمذون منافذ . وبوارق تمزق اهب المارق . وتطقم  
وتنتقم من المارد المارق . ومريشات اوكارها الحدق . واوكائها  
الحلق . وفاصلات ناضحات اربية الردى . وناحلات فاضحات  
اوردة العدى . وقاضبات قاضيات بحكم الردى . وحارقات رقعات  
خرووق النواظر . وفاتقات راتقات فتوق الخواطر . وراشقات  
راشقات شفاء المقاتل . وقاضبات قناذعات منقار  
المناصل . وماضيات حاظيات بالاصابة . وساعات داعيات  
للاجابة . وحفيفات ثقيلات الجنابة . ومخيفات قمينات  
الذكاية . ومضميات مصمات للفتك . ومدميات مديمات  
البتك . وقريبات بعيدات المطار . وطالعات مطلعات على  
الاسرار . هاتكات للزماء . سافكات للدماء . مثيريات  
للثرى . مفريات للفرى . جائرات بالجري . واثبات وثب  
الجراد . واريات وري الزناد . طائرات من الاكناد الى  
الاكباد . مرهفات من الهيف . مربعات بالهيف . خارجات من

طلوع الحنايا الى احناء الضلوع. مـارجات لدى الروع الراد  
الروع . قارعات ابواب القراع . قالعات انياب القلاع . بالغات  
الشعور . عالقات بالتامور . محالقات للحدور . غاربات الغروب في  
النحور . ورادات الصدور الى الصدور . قـاطعات  
للحجاب . واقعات بالعذاب . مدمجات على الالتهاب. مغنيات  
بالدماء على الطعان والضراب . ومـراسيل تـروى امام  
العوالي . ومعاريض مالها مندوحة من التوالي من كل فريض يؤدي  
به فرض الجهاد . ورميض يعرض بياضه من العين في السواد  
ومعتدل تحذوله العـوج . وبرق خاطف حمس وراءها  
المهوج . ومنزع لنزع المهيج وقطع الود . اخـطف مـن  
الوميض . والحق من المريض . وأنظم من القريض . واشجى من  
الحريض . واشبى من الطرف الفضـيـض . وأعمل من السمر  
والبيض . والسـلطان يأمر . والحنايا تـسـوتر . والمنايا  
تـؤثر . والاعنة تصرف . والأسنة تـرـهف . والحقائب  
تنعض . والمقانب تعرض . والجاليشية تشمر . والجاووشية  
تنصر . والسـوابق تـضمـر . والسـوابغ تـذر . والصـلادـم  
تنضى . والصـوارم تـنـقـضى . والسـلاهب تـجـمع . والجـنائب  
تمرح . وايم الضراء تـدسـاب . وغيم الغماء تنجاب . والذفوس  
مرتاحة الى التعب . والهمم مشتاقة الى النصب . والجد شاغل عن  
العب . والعزم غالب باللغب . وصب بالوصب .

ذكر يوم حطين وهو يوم السبت الخامس  
والعشرون من شهر ربيع الآخر .

وأصبح الجيش على تعبته . والنصر على تلييته . ووقف  
العسكر في قلبه وجناحيه وميمنته وميسرته أطالبا متقاربة  
متباعدة . وأنجادا متعامدة متساعدة و الأفا متضافرة . وأضعافا  
متضاعفة متظاهرة . وبرز رجال الجاليش . وارتجز دعاء

التحريض والتحريض . وصفا لباس الناس على الكمي  
الكميش . وشرعت ثعالب الشرع في رعي الحشاشات رعي  
الحشيش . وتطائر في الجو على سنابك الهمام جراد النصل  
المريش . وكان طيور النصال ضلت ركونها فخربت حجب الأرواح  
للتقيش . وقامت الحرب على ساقها . ووفت بميثاقها . وأسرت  
اعنة عتاقها . وشرعت اسنة دقاقها . وأطالت رقاب  
رقاقها . وأبانت غايات سيقاقها . وأعلت رياحات  
احتفالقها . وأحلت مذاق مذاقها . وأغلت أوساق  
أوساقها . وأغرقت سهام اطلاقها . وأطلقت لهاام اعراقها . ومدت  
ظلال رواقها . ودارت كؤوس اصطباحتها للاعتباط  
باغتباقتها . وتحملت بغرم اجتماعها لغنم افتراقها . وأذهبت فرق  
مذهبنا لساعة افراقها . ذلك والفرنج راكبة الجرد . متراكبة  
المدد . متكاثفة العدد . أخذت طريق البحيرة . بطوارق الحيرة . قد  
احاط رجلها بخيلها . جارية الى القرار بسيلها . أمواجها  
ملتظمة . وأفواجها مزحمة . واطلابها منتظمة . ونيرانها ملتبهة  
ملتهمة . ودفعها مديد . ووقعها شديد . وحدها حديد . وجدها  
جديد . يأمدون المذنون . ويجذون الجذون . ويجرون الشمول  
والحزون . فاعترضهم مدنا . واعتراهم صدنا . وردت سيولهم  
بيضاتنا . وخيولهم عرابنا . ووقعت لنا برمم حبالنا . وشوتهم  
بنيرانها نصالنا . فعرفوا انه لا سبيل الى الحياة الا سلوك نهج  
الموت . وأنه لا مطمع في البقاء الا باستحلاء مطعم  
الفوت . والسلطان قد رفق قلبه . ووقف الى الوثوق بنصر الله  
قلبه . وهو يمضي بنفسه على الصفوف . ويحضهم على حظهم من  
الفتوح او الحتوف . ويعدهم من الله بنصره المألوف . ويغري المئين  
يالألوف . وهم بمشاهدته اياهم يجيدون ويجدون . ويصدون العدو  
ويردون . وكان له مملوك اسمه منكورس من اقممار الفلك . ومن  
شموس الترك . وأسود الفتك . ورماة الحدق . وكماء الخلق . قد  
علقته الدور العين لحسنه . واستبشر رضوان بيمنه . وقلوب القبول  
في رهنه . وعقود العقول في وهنه . والكواعب الأتراب يشتقنه في  
جهات عدة . وكان الله برأي الاقامة منته . والمقام في جنته . ودعاه

الى قصور الجنان والحدور الحسان . وكان ظريفا طريفا . نظيفا  
عفيفا . طاهر النبل للنزاهة . ظاهر الميل الى النباهة . قد كمل الله  
له حسن الخلق والخلق . وفضله في الفروسية والسبق . وركب عنقه  
في الرق . وألهمه نصرة الحق . وهو راكب امام العسكر . شائم  
غمام العثير . نامق عرف الكوثر . مستغفر تحت المغفر . مستنير في  
سنا الستور مشرق كالقمر الأزهر . وأراد ان تكون له فضيلة السبق  
في الأقدام . فوثب بحصانه وثوب الضرغام . معتقلا الى الردي  
ربينيا . ومشتملا للتurf مشرفيا . وممتطيا للاستقامة  
اعوجيا . وحمل حملة جرى فيها عنانه . وفرس سنانه . وماد فيها  
ميدانه . وشكر لها احسانه . وذل عنها اقارانه . ونفذ  
طعانه . وظن انه موافق في الركض اعوانه . فجذبه لقوة رأسه  
حصانه . وخلا خلانه . وخانه اخوانه . فلما راه الفرنج  
وحيدا . ووجدوا المدد عن نصرته بعيدا . عطفوا عليه . وزحفوا  
اليه . ورموه عن ظهر حصانه . وأحاطوا به في مكانه . فأثبت في  
مستنقع الموت رجله . وقاتل الى ان بلغوا قتله . فلما أخذوا رأسه  
ظنوا انه احدا اولاد السلطان . وزعموا ظهور الكفر على  
الايمان . فأما الشهيد فإنه انتقل الى جوار الرحمن في غرفات  
الغفران . وأما عساكرنا فإنها لما شاهدت استشهاده وجلده  
وجلاله حميت حميتها . وأبت غير الغيرة ابيتها . وخلصت لله في  
ارداء اعدائه بنيته . وصممت الجاليشية تصمي سهامها وتشوي  
اهل النار بنار ضرامها وتلفحهم بلوافحها . وتقذحهم  
بقوايحها . وتسقيهم بجداول مناصلها . وترميهم بجنادل  
صواهلها . وتربيهم بأربية رداها . وتغريهم بما يغرون من المذون  
عن مناهها . وقد قست عليهم قلوب القسي لاوتار اوتارها . وتمور  
من الضوامر بجبالها . وتموج في البواتر في بحارها . وبرج بالفرنج  
العطش . وأبست عثرتها تنتعش . ولانث تنتشور  
وتتشوش . وتتحري وتتحرش . وتتوشح بالضراء والضراب  
وتتودش . وتنشط على أنها تبطش . فتجد الطررق  
مصدونة . والسبل مسدونة . والمسالك محدونة والمهالك  
مورودة . وكان النسيم أمامها . والحشيش تحت اقدامها . فرمى

بعض مطوعة المجاهدين النار في الحشيش . فتأجج  
استعارها . وتوهج أوارها . فبلوا وهم أهل التذليل من نار الدنيا  
بالثلاثة الأقسام : في الاصطلاء والاصطلام نار الضرام ونار  
الأوام . ونار السهام . فخلصوا من ورطة الاحتواء  
والاجترام . وضايقت ذمائم دماء الضراغم . وعارضت صقور  
بأستهم القشاعم . ولقيت العظائم العظائم . ودارت بمساعير  
الجحيم دوائر السعر الحواجم والجأناهم الى حملات اعجزوا بها  
وأزجوا . وهاجوا وأهجوا . وماجوا ومـوجوا وأجوا  
وأججوا . وارهبوا وارهجوا . فما ضعضعوا رواسينا الرواسخ  
ولا خلخلوا من مقامنا الشم الشوامخ .

ونظر القومص يومئذ الامر الى غايته . وراه غيه انه متورط في  
غايته وان القوم في عين الوقم . وان صحتهم مفضية الى السقم .  
وانه تداعى بنيانهم ودعاهم خذلانهم . وخانهم اخوانهم . واهت  
اصلابها صلبانهم . فافكر القومص كيف ينجو ويتخلص . فقال  
لهم : انا اسبق بالحملة . وافصلهم من الجملة . فاجتمع هو  
وموازروه . وجملة من المقدمين هم مضافروه . وصاحبه صاحب  
صيدا وباليان بن بارزان . وتوامروا على انهم يحملون ويلغون  
الطعان . فحمل القومص ومن معه على الجانب الذي فيه الملك المظفر  
تقي الدين . وهو مؤيد من الله بالتوفيق والتمكن . ونجوا بذقوسهم .  
وخلصوا من باس القوم وبؤسهم . ولما عرفوا ان القومص اخذ  
بالعزيمة ونفذ في الهزيمة . وهذوا وهاندوا ثم اشتدوا وما لاذوا .  
وثبوا على ما كانوا . وقالوا : انما فر في شرنمة هم شرنمة .  
وعصبة قليلة بغير عصبة . واستقبلوا واستقبلوا . واستلحموا  
وحملوا فما وجدوا للنجح نهجا . ولا اصابوا لمن جاء لمصابهم  
شجى . وحملوا حملات راضوا بها جماح الحرب . وخاضوا فيها  
غمار الطعن والضرب . وعدموا فيها استطاعة الغدر . بل طاعة  
القدر . واستعرنا النصر عليهم من النصل المستعر .

ووقعنا عليهم وقوع النار في الحلفاء . وصببنا ماء الحديد

للاطفاء . فزاد في الانكاء . وافترت مباسم البيض من استعمار  
عيون مقاتلهم في البكاء . وعبت دأماء الدماء . وشبت شبا الهندية في  
الفرنجية ضرام الضراء . وباح لنا سر السراء . فخطوا خيامهم على  
غارب حطين حين رأونا بهم محيطين . فاعجلناهم عن ضرب الخيام  
بضرب الهام . وازللنا اقدامهم عن مداحض الاقدام .

وخاطبناهم بكلام الكلام . وزحفنا زحفا مرتزا . وحفزنا زحفا  
ملتزا . ونقضنا من اطرافهم . وحضضنا من اكنافهم . واحتست  
انية الظبا طلاء الطلى . وارتعت ثعالب القنا كلاً الكلا . واكتست  
عرائس الهدى للعلى من دم الكفر الحلى . وخالطهم الفريق  
المستطيل . والحريق المستطير . ومطروا وبل الوبيل . قالهب عليهم  
يومهم المطير . فما زالت اللجج تفيض . والمهج تفيض . ومنابع الكفر  
تفيض . وملاحم الاسلام تفيض . والنفوس تقع . والرؤوس تطير .  
والقضب تدير . والقب تغير . ورحى الحرب تدور . وقوى الشرك  
تغور وتدور . واسد الوغى تجول وتجور . ومراحل الراجل والافارس  
تفور وتثور . حتى كست اشلاء مهلوكيهم عرى العراء . وحست  
شفاه الشفار من افلاذ مملوكيهم احساء الدماء . ورسست منا  
الهضاب حول ذلك القل . ورضيت اسدنا الغضاب بظهور القتلى  
بطون الذمل . وتداعى جناب الاضطراب . وكشف الرائب شك  
الحجاب . وتفتحت ابواب الطعان والضراب . وكثر مرعى الثعلب  
والذئب . وتقطعت اشراك الاشراك . وتوزعت منه اكتاف الفتاك .  
وانكسر من الصليبي صلبه . وبطل طلبه . وعليت وغلبت غلبه .  
وقلب قلبه . وخذل حزبه . وجرت الحرب عليه حزنه . وجيرت كمامته  
وكمية وقبابه وقبه . واحتلأت بملاهم جهنم . ومالك عليهم الصليب  
الاعظم . وذاك مصابهم الاعظم . ولما شاهدوا الصليب ساليا .  
ورقيب الردى قريبا . ايقنوا بالهلاك . واتخذوا بالضرب الدراك .  
فما برحوا يؤسرون ويقتلون ويخمدون ويحملون والوئوب يخفون .  
وبالجراح يثقلون . ومن مصارع القتل الى معاصر الاسر ينقلون .  
ويردون وهم لا يدرون . ويعقلون وهم لا يعقلون . وقرم بقوي  
القواطع مطعون . وقوم بجوى الجوامع يوصلون . والحديد تارة

يحل الاعناق وتارة يغلقها . واونه بالبيري يعررها . ومرة بالسبي  
يذلها . ونكبوا في ارواحهم وانفسهم . ووصلنا الى مقدمهم وملكهم  
وايرنسههم . فتم اسر الملك . وابرنس الكرك . واخي الملك جفري .  
واوك صاحب جبيل. وهنفري . ابن هنفري ، وابن صاحب اسكندرونة  
وصاحب مرقية ، واسر من نجا من القتل من الداوية ومقدمها . ومن  
الاسبتارية ومعظمها . ومن البارونية من اخطا به البال لما عز  
الدين . ودر البأس . ودارت عليهم بعقار عقرهم الكاس \* وقوي بنا  
الرجاء ومنهم اليأس \* وعروا من ملابس العز . وضفا عليهم من  
ملابس الصغار اللباس . وتعرضت للسوء في السوا في طول  
حسومهم الادراس . ووجبت في اجناس غنائمهم الاجناس . ولما جد  
بهم حكم القضاء لم يجدهم الاحترار والاحتراس . ورسفت  
وارسفت الانفس والانقاس . وانعقد الاجماع بتحليل تركيب  
جمعهم . ونص النصر وصح القياس . وجبر الاسلام بكسرهم .  
وقتلوا واسروا باسرهم . فمن شاهد القتل قال : ما هناك اسير .  
ومن عاين الاسرى قال : ما هناك قتيل . ومذا استولى الفرنج  
بساحل الشام ما شفي للمسلمين كيوم حطين غليل . فآله عز وجل  
سلط السلطان واقدره على ما اعجز عنه الملوك . وهده من التوفيق  
لامتثال امره ، واقامة فرضه النهج المسالوك . ونظم له في حتوف  
اعدائه والفتوح لاوليائه السلوك . وخصه بهذا اليوم الاغر . والنصر  
الاير . واليمن الاسر . والنجح الادر . ولو لم يكن له الا فضيلة هذا  
اليوم لكان متفردا على الملوك السالفة . فكيف ملوك العصر في السمو  
والسوم . غير ان هذه النوبة المباركة كانت للفتح القدسي مقدمة .  
ولعاهد النصر وقواعده مبرمة محكمة .

ومن عجائب هذه الواقعة . وغرائب هذه الدفعة . ان فارسهم ما  
دام فرسه سالما لم يذل للصرعة . فانه من لبسه الزردي من قرنه الى  
قدمه كانه قطعة حديد . ودراك الضرب والرمى اليه غير مفيد . لكن  
فرسه اذا هلك فرس وملك . فلم يغنم من خيلهم ودوابهم - وكانت  
الوفا - ما هو سالم . وما ترجل فارس الا والطعن والرمي لمركوبه  
كالم وثالم . فما سلمت لهم دابة ولا ذابة . ولا مورد الروح سائبة

ولالنار الروح شابة . وغنمنا ما لا يحصى من بيض مكذون وزغف  
موضون . وبلد وحصون وسهول وحزون . وابتذلنا منهم بهذا الفتح  
كل اقليم مصون . وذلك سوى ما استبيح من مال مخزون .  
واستخرج من كنز مدقون . و .... حاصلة . و ... (٦) تحقق اهله .  
ومصاحبة قديمة . ومناصحة كريمة . ومراوحة في عمارة القلب .

واتفق انه سرقت لي في طريقنا الى حمص ثلاثة اجمال بما لها من  
عدة ورجال . وكنت قد سلوتها . وتمكن عني فوتها . فجاءنا هذا  
الامير بعد يومين . وقد اتانا من الجمال المسروقة بقطارين . وقال :  
لما سرتم عرفت ان وراءكم لصوصا وانهم ان ظفروا بجناح غادروه  
محصوصا . ورتبت اصحابي على الطرق . وفي الدواضع البعيدة من  
العمارة ليتوصلوا الخارجين من اهل الذعارة . فوجدوا هذه الجمال  
التي احضرتها . وقد حرمت على المفسدين الحركة وحظرتها .  
فتاملتها واذا جمالي بأعيانها . فشكرت همتته الكريمة على  
احسانها . ونشد كل من له ضالة . فوجدها لاجل امن الطرق التي  
حفظ هذا الامير ورصدها . ولم تزل الثغور بسداده مسدودة  
والخطوب بصنده مصدودة . والظلال باشتماله ممدودة . والرعايا  
بسياسته محروسة . والبلاد بحراسته مسوسة . ورايات الكفر  
بنكاياته مذكوسة . وايات الدين بهدايته مانوسة . والمواضع  
معمورة . والمنافع موفورة . والصنائع مشكورة . والشرائع  
مشهورة .

وهؤلاء الذين قرضتهم ووصفتهم وعرفتهم وعرفتهم تذكرت  
معرفتهم . وتذكرت صفوتهم بعد الايام السلطانية . وانقلبست  
سجيتهم بعد الدولة الصلاحية . فهم صادقوني لصدق الحاجة .  
وصادفوني مقدما للذب عنهم تحت العجاجة . غائضا لاستخراج  
جواهر مقاصدهم لجج اللجاجة . فلما استفنوا عني جهلوا معرفتي  
وانكروا عارفتي . وهذه سنة اخلاء الدنيا في بين الاخلال . وملة  
الملال . واستحالة الحال . وتعريض عرض الود لذلة الزوال . فمما  
ابعدوا غريبا وما ابعدوا قريبا . ولا اعجبوا بانبا . ولا ابدا عجيبا (٧) .

كتاب الفتح القسي في الفتح القدسي

للعامد الأصفهاني الكاتب



## بسم الله الرحمن الرحيم

نسأل الله من الحمد ما يبلغ قضاء حقه وإن حقه لعظيم . ومن  
الرشد ما يكتب سلامة نياتنا في الطريق إلى كرمه وإنه لكريم .  
ونشكر بسر القلب وجهر اللسان إحسانه إلينا بأنهما حادث  
وقديم . ونستزيده ونستنيمه نعمه ولن يخيب على الشكر والرضا  
مستزيد ومستنيم . ونستعين به على الدهر وقد فعل فإنا وهو الذي  
بيننا ( وبينه عداوة كأنه ولي حميم ) ( فصلت : ٣٤ ) . والحمد  
لله الذي بدأ بنعمه متطولا . وبمزيده متفضلا . وعلمنا شكر فضله  
الموقور . وقبل منا عفو خواطرنا المنزور . فلا يكلفنا من الشكر فوق  
الطاقة . ولا يطلع من النعم الطبيعة إلا وراءها من المزيد الساقه .  
وقد وصف المشكور منه نفسه بأنه شاكر عليم . فرب غافل منا عن  
الشكر ما غفل عنه فضله العظيم . فلا عدمن ينتاب منتابه راجيا  
وداعيا . ومستيقظا وساهيا . وصامتا ومتقاضيا . لنا منه على كل  
حال كل حال من مواهب ربما عطل عنها . لسان شكرنا وضمير  
ذكرنا . وباتت سارية إلينا لاطيفا بل حقيقة على نوم فكرنا . ثم إن  
الله سامحنا في حقه من الشكر فقبله من عينا وبليغنا . ومتجرعنا  
ومسيغنا . فتارة يقبله ضميرا مجمما . وتارة يحيط به قدولا  
مترجما . ومرة يعلمه نظرا من قلب ينفذ نور الذكر من ظلمات  
ضلوعه . ومرة يسمعه همسا من لسان يناجي ملكه بنغمات  
مسموعة . وكيف لا ( يعلم السر وأخفى ) ( طه : ٧ ) من بعينه  
مسارحه . وكيف لا يعلم الغيب من عنده مفاتحه . ونرغب إليه في أن  
يحمل عنا حق نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم فإننا لانرضى بعفو  
استحقاقه من الوصف جهدنا . فنصل إليه صلاتنا ونؤدي إليه  
ودنا . ونعظم موقعه حين كان منه كقاب قوسين أو أدنى . ونشكره  
على أن فتح علينا الدار التي كانت إلى الله طريقه ليلة أسري به .  
فانبعث صلى الله عليه وسلم سهما فكان كقاب قوسين في إقترابه .

ما كذب الفؤاد . ولا خاب المراد . ولا صدق المراد . وأين من أخبر عنه أنه رآه بالأفق الأعلى ممن امتن عليه بأذك بالواد . فمن كان في روض القرآن يسرح . فرق بين المنزلتين من رب اشرح وألم ذشرح . ونصلي على آله وأصحابه ولالة الحق . وقضاة الخلق . ورتقة الفتق . وغرر السبق . وألسنة الفرق . وفتحة الغرب والشرق . منهم من رد ردة العرب عن اسلامها . ومنهم من استنزل أرجل العجم عن أسرتها وتيجانها عن هامها . وأحمد عبدة نيرانه أن يطعموها حطباً ولو وصلت إليهم لاكتلهم . وأحمد عبدة أوثانه عن أن يقعوا لها سجداً ولو وقعت عليهم لقتلتهم . ومنهم من أنفق في سبيل الله وجهز . ومنهم من قتل أعداء الله فأجهز . ومنهم الأشداء على الكفار . ومنهم الأسداء إذا زاغت الابصار . ومنهم الساجدون الراكعون . ومنهم السابقون ومنهم التابعون . ومنهم نحن أهل الزمن الآخر . وقد سلم علينا سلام الله عليه في زمنه الحاضر . وسمانا أخوانا . واشتاق إلى أن يلقانا . فنحن الآن إنما نرد عليه تحيته والبادى أكرم . وإنما نرجو شفاعته بالوادة التي قدمها والفضل للأقدم .

هذا كتاب أسهمت فيه بين الأدباء الذين يتطلعون الى الفرر المتجلية . وبين المستخبرين الذين يستشرفون إلى السير المتجلية . يأخذ الفريقان منه على قدر القرائح والعقول . ويكون حظ المستخبر أن يسمع واللايب أن يقول . فان فيه من الالفاظ ما صار معدنا من معادن الجواهر التي نولدها . ومن غرائب الوقائع ما صار به لسانا من السنة العجائب التي نوردها . وإنما بدأنا بالتاريخ به لاستقبال سنة ثلاث وثمانين وخمسماية لأن التواريخ معتادها إما أن تكون مستفتحة من بدء نشأة البشر الأولى . وإما مستفتحة بمعقب من الدول الأخرى . فلا أمة من الأمم ذوات الملل . وذوات الدول . إلا ولهم تاريخ يرجعون إليه . ويعولون عليه . ينقله خلفها عن سلفها وحاضرها عن غابرها تقيد به شوارد الأيام . وتنصب به معالم الأعلام . ولولا ذلك لانقطعت الوصل . وجهلت الدول . ومات في أيام الآخر ذكر الأول . ولم يعلم الناس انهم لعرق الثرى . وأنهم نطف في

ظلمات الأضلاب طويلة السرى . وأن أعمارهم مبتدأة من العهد الذي تقدم . لأدم . وقد أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم . ذرياتهم . لما أرادهم من ظهورهم . فليعلم المرء قبل انقضاء عمره . وقيل نزول قبره . ما استبعده أهل الطي من حقيقة النثر . وتقبل في واحدة من الأطوار شهادة عشر . فقد قطع عمرا بعد عمر . وسار دهرًا بعد دهر . وثنى وأنشر في الف قبر . وإنما كان من الظهور في ليل إلى أن وصل من العيون إلى فجر . ولولا التاريخ لضاعت مساعي أهل السياسات الفاضلة . ولم تكن المدايح بينهم وبين المذام هي الفاصلة . ولقل الاعتبار بمسألة العواقب وعقوبتها . وجهل ما وراء صعوبة الأيام من سهولتها وما وراء سهولتها من صعوبتها . فأرخ بذو آدم بيومه . وكان أول من اشترى الموت نفسه وقام النزع مقام سومه . ثم أرخ الأولون بالطوفان الذي بلل الأرض وأغرقها . ثم بالعام الذي بلبل الألسن وفرقها ، وأرخت الفرس أربعة تواريخ لأربع طبقات من ملوكها أولهم كاشاه ، ومعني هذا الاسم ملك الطين . فإليه ترجع الفرس بأنسابها . وعليه يذسق عقد حسابها . وهي الآن تؤرخ بيزدجرد آخر ملوكها وهو الذي بزى الاسلام تاج إيوانه . وأطفأ نور الله بيت نيرانه . وأرخ اليونان من فيلبس أبي الاسكندر والى قلوب بطره آخرهم وهؤلاء المسمون بالحففاء وهم الصابئون ، وأرخ الروم بالاسكندر لعظم خطره . وشهرة أثره . وأرخ النبط بالعراق والقبط بمصر بتواريخ موجودة في الكتب التي خلدوها . والازياج التي رصدوها . وأرخ اليهود بأنبيائهم وخلفائهم . وبعمارة البيت المقدس وبخرابه على ما اقتضاه نقل أوائلهم وأبائهم . وكانت العرب قبل ظهور الاسلام تؤرخ بتواريخ كثيرة فكانت حمير تؤرخ بالتبابعة ممن يلقب بذو ويسمى بقبل . وكانت غسان تؤرخ بعام الاسد حين أرسل الله عرم السيل . وأرخت العرب اليمانية بظهور الحبشة على اليمن ثم بغلبة الفرس عليه ، وأرخت معد بغلبة جرهم للعماليق وأخرجهم عن الحرم ، ثم أرخوا بعام الفساد وهو عام وقع فيه بين قبائل العرب تنازع في الديار فذقلوا منها . واقترقوا عنها . ثم أرخوا بحرب بكر وتغلب ابني وائل

وهي حرب البسوس ، ثم أرخوا بحرب عبس وذبيان ابني بغيض  
وهي حرب داحس والغبراء ، وكانت قبل المبعث بستين سنة . ثم  
أرخوا بعام الخناب قال النابغة الذبياني :

فمن يك سائلا عني فإني  
من الفتیان في عام الخناب

وأرخوا بعده من مشاهير أيامهم وأعوامهم بعام المخالق وعام  
الذئاب ويوم ذي قار وبحرب الفجار . وهي أربع حروب ذكرها  
المؤرخون . وأسندها الراون ، وأدنى ما أرخوا به قبل الاسلام  
بحلف الفضول منصرف قريش من الفجار الرابع . وبحلف المطيبين  
وهو قبل حلف الفضول . ثم بعام الفيل وهو الجار ذو القربى لتاريخ  
الاسلام . وبعده خرج امام الجمعة فطويت الصحف وجفت الأقلام .  
وأظهر الله على الألبان الدين القيم . ونسخ تاريخ الهجرة كل تاريخ  
متقدم . فأمن وقوع الخلف الواقع في تواريخ الأمم .

وجبت الهجرة ما قبلها جب الأنوار للظلم . ودفع الله الناس  
بعضهم ببعض . واستدار الزمان كهياتة يوم خلق الله السموات  
والارض . وسأل الله عباده على يد وكيل حقه من الأموال والأنفس  
ما يعيده إليهم مضاعفا من القرض . ووقت هذه الهجرة الوقت الذي  
أمر به أمر الاسلام . ويومها اليوم الذي ما ولدت الليالي مثله من  
بنها الأيام . وعامها الخاص بالفضل وكل ما بعده يعد من عوام  
الأعوام .

وأنا أرخت بهجرة ثانية تشهد للهجرة الاولى بأن الاولى أمدها  
بالقيامة معذوق . وبأن موعدها الموعد الصحيح غير المدفوع  
والصريح غير المذوق . وهذه الهجرة هي هجرة الاسلام الى البيت  
المقدس وقائمه السلطان صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب  
وعلى عامها يحسن أن يبني التاريخ وينسق . وتسفر عن أهلتها  
دادىء المداد وتنشق . وهي وإن كانت هجرة الاسلام إلى القدس

ثانية . فقد كان اذنتي عن وطنه منها لما ثنته يد الكفر ثانية . وهذه الهجرة أبقي الهجرتين . وهذه الكرة بقوة الله أبقي الكرتين . فإن العرب كانت إذا تناهت في وصف الرجل بالقوة قالت كأنه كسر ثم جبر . والحق أن نقول إن أطول الحياتين حياة المرء إذا مات ثم نشر . والعيان يشهد أن أمتع السورين ما عمر بعد أن ثغر . والفرق بين فتوح الشام في هذا العصر وبين فتوحه في أول الامر . فرق يتبين تبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر . فإن الشام فتح أول والعهد بالرسول صلى الله عليه وسلم فغير بعيد . والوحي ماكاد يتعطل في طريقه من السماء إلى الأرض بريد . والعيون التي شاهدت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسلي سيوفها من أجفانها . والقلوب التي شهدت مواقف معجزاته أوثق بخبره في الفتح منها بعيانها . ورسول عالم الغيب إلى عالم الشهادة بالآيات المؤتلفة مختلفة . ونجدات السماء إلى الأرض متصلة باللائكة منزلة ومسومة ومردمه . وقد أخبرهم سيدنا وسيدهم أن الأرض زويت له مشارقها ومغاربها . وأنه سيبلغ ملك أمته المثوبة المرحومة ما ضمت عليه جوانبها . والروم حينئذ بغاث ما استنسر . والفرس يومئذ رخم ما استبصر . والحديد ما تذوعت أشكاله الرائعة . ولا طبع سيوفه هذه القاطعة . ولا نسجت ثيابه هذه المانعة . والبروج لا تعرف إلا مشيدة لمجلدة . والمنجنيقات لا يتوثب ما يتوثب اليوم من خشبها المسندة . والأقران لا تتراجع بالنيران المذكاه . والأسوار لا تتناطح بالكباش المشلاه . وبصائر السلف الصالح رضوان الله عليهم يقاتل بها لو كانوا عزلا . والواحد منهم يسوق العشرة كما يساقون إلى الموقف حفاة عزلا . وكانوا أحرص على الموت منا على البقاء . وكان شوقهم إلى لقاء الله باعثهم على لقاء الأعداء بذلك اللقاء . والشام الآن قد فتح حيث الاسلام قد وهن العظم منه واشتعل الرأس شيبا . وهريق شبابه واستشن أديمه وقد عاد غريبا كما بدأ غريبا . وقد أطلع شرف الستمائة وهي للملك المعترك . وكثرت معائنه بما نصب الشرك من الشرك . وأخلق الجديان ثوبه وكان القشيب . وذوى غصنه وكان الرطيب . ونصلت كفه وكانت الخضيب . وطال الأمد على القلوب فقسست ورانت الفتسن على

البصائر فطمست . وعرض هذا الأبنى قد أعمى وأصم حبه . ومتاع هذه الحياة قليل قد شغل عن الحظ الجزيل في الآخرة كسبه . والكفار قد خشنت عراذكهم . واتسعت ممالكهم . واستبصروا في الضلال . واستبضعوا للقتال . وخرجوا من بيارهم يخطبون غاشية الموت . ونفروا من وراء البحر يطلبون أمامهم من البر ناشية الصوت . وقاتلوا جندا ورعية . واستباحوا الانفس متورعين فلا ترى أعجب من أن تري استباحة ورعيه . وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون . وأمدهم في طغيانهم يعمهون . ورفعوا التكليفات فلا ينزع الحديد لوضوء ولا مسح . واستشعروا لبوس البوس فلم يلبسوا وجها إلا مزور الشفاء على القطوب بلا بشر ولا مزج . شقرا كأنما لفحت النار وجوههم وهم فيها كالدون . زرقا كأنما عيونهم من فهم بقلوبهم وعيونهم يكافحون . قد نزع الله الرقة من قلوبهم . ونقلها إلى غروبهم . وعذب بهم لما يريده من تعذيبهم . واشتعلت نار جهلهم في فحم ندوبهم . تستعيز المردة من مردتهم . ويدعى النار بالعون على الاطلاع على أفئدتهم . فظاظ غلاظ . جهنميون كلامهم شرر وأنفاسهم شواظ . ( لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم أذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ) ( الأعراف : ١٧٩ ) . خلق الله الخلق من طين وخلقهم من حجارة فهم المكني عنهم بوقود جهنم حين قال ( وقودها الناس والحجارة ) ( البقرة : ٢٤ ) والا فالحجارة لا تستحق الوقود . إلا أن يراد بها القلوب التي هي كالجمود في الجمود . ومضت ملوك الاسلام . ومضت أيامهم كالبارق وإن لم تخلع الاظلام . وزابت أيامهم الايام خبالا فتنازع الناس طرائف الاحلام . وحاربوا هذا العدو الكافر فما أثروا فيهم وكانوا محاربين كمسالمين . وبذلوا جهدهم فلا نقول انهم مظلومون بالعجز وما نسميهم ظالمين . اللهم غفرا ( لكل أجل كتاب ) ( الرعد : ٣٨ ) و( كل يوم هو في شان ) ( الرحمن : ٢٩ ) ولكل مقدور أجل ولكل ما خلق له تيسير . ولكل ما تقدم الكتاب الموقوت تأخير . والايام تمخض وتمطل بالزبدة . والاسود تتلى إلى أن تأتي بالسجدة .

- ٥٨٢٠ -

والناس يريدون الخروج ولكن ما أعدوا له عدة . والعذر على كل  
لسان لكل قوم مدة .

إننا عجزوا قالوا مقادير قدرت  
وما العجز إلا ما تجر المقادير .

وأبى الله من يقبل عذرا صحيحا . وكفى بلفظة النبوة لوما  
صريحا . فلما أراد الله الساعة التي جلاها لوقتها . وأظهر الآية  
التي لا أخت لها فذوق هي أكبر من أختها . أفضت الليلة الماطلة  
إلى فجرها . ووصلت الدنيا الحامل إلى تمام شهرها . وجاءت  
بواحدتها الذي تضاف إليه الأعداد . وما لكها الذي له السماء خيمة  
والحبك أطناب والأرض بساط والجبال أوتاد . والشمس دينار .  
والقطر دراهم . والأفلاك خدم . والنجوم أولاد . صلاح الدنيا  
والدين ومهما دعونا له فإن الله قد سبق إليه كونا . ورأينا بين منانا  
وبين كرمه بونا . فهو سبحانه أكرم بالذوال . منا بالسؤال .  
والكريم بكرم الله مجزي . والساكت عن الدعاء له مكفي . فان قلنا  
أحسن الله إليه فقد قال ( إننا لانضيع أجر من أحسن عملا )  
( الكهف : ٣٠ ) وأن قلنا جزاه الله بالاحسان فقد قال : ( هل  
جزاء الاحسان إلا الاحسان ) ( الرحمن : ٦٠ ) وإن قلنا هداه الله  
سبيله فقد قال : ( والذين جاهدوا فينا لنهـدينهم سـبـلنا )  
( العنكبوت : ٦٩ ) وأن قلنا لاضيع الله عمله فقد قال ( فاستجاب  
لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل ) ( آل عمران : ١٩٥ ) وإن قلنا  
لاجعل الله لدهر عليه سبيلا فقد قال : ( ما على المحسنين من  
سبيل ) ( التوبة : ٩١ ) وإن قلنا زاده الله هدى فقد قال : ( والذين  
اهتدوا زادهم هدى ) ( محمد : ١٧ )

كل مسؤول سائل

في معاليه قد كمل

لايسل فيه سائل

سبق الجود ما سأل

### وليصح تأملا

يجد الله قد فعل

ونعود إلى ذكره أعز الله ذكره . فجاد إلى أن لم يبق مال ولا أمل . وجاهد إلى أن لم يبق سيف ولا قلل . فلا كفتح على يديه فتح وما هو فتح واحد ما هو إلا فتحة فتح والدم ذائب وفتح والذهب جامد . فما البلاد التي جمعها فاتحا . بأغرب من البلاد التي فرقها مانحا . فقد استوعب بأسه أكثر مما ولدت المعادن جديدا وزاد لأنه ضرب بالسيف التي كسرهما ثم ضربها . واستوعب جوده ما ولدت المعادن ذهباً وزاد لأنه نقل إلى الأعداء ثمن سلع تم نهبها فوهبها . فكل معاد معادى إلا هذا المعاد . وكل مداد يكتب به أسود إلا هذا المداد . ( أفسح هذا أم أنتم لاتبصرون ) ( الطور : ٦٥ ) أما يرى الناس ما على وجه الصدق من قبول القرائح . وما على يد الجود من قبل المدائح .

الناس أكيس من أن يمدحوا ملكا .  
ولم يروا عنده آثار احسان

وإننا لنرجو أن نكون قد كتبنا بمدحه مع الصادقين الذين أمر الذين أمروا أن يكونوا معهم . وأن نكون قد كتبنا مع المحسنين لأننا أحسنا وصف إحسان الله إلى عباده ولم يقطع بنا ما قطعهم . وإن كنا رعاياه لنرى أنفسنا ملوكا ونرى الملوك وهم له سوقه . وإن القلم في أيدينا ليهتز طرباً لذكره كأنه جان وكأن السيف يشنع بانه فروقه . ولأسنا نسميه قصيرا وإن جدع أنفه . ولكنا نركبه كما ركب قصير العصا إلى وصف هذا السلطان ليدرك وصفه . ونقول للقلم إذا فاخره السيف ( إن شانتك هو الأبتى ) ( الكوثر : ٣ ) . ونريد إذا أوردناه وصف مولانا ( أنا اعطيناك الكوثر ) ( الكوثر ) . على أن هذا القلم يلزم الأدب لذكره أعلاه الله فيذكس رأسه . ويقبل بين يديه كما يقبل حامله الأرض قرطاسه . ولست ببعيد في تقييد هذه الفاخر . وتشبيد هذه المآثر . من رجال الطعن والضرب الذين

فتحوا بين يديه . ووجبوا الحق عليه . بل حقي من حقوقهم أوجه  
وأوجب . وقلمي من سيوفهم أضرى وأضرب . ومن رماحهم أخطى  
وأخطب . ومن سهامهم أنجى وأنجب . ومن قسيهم أكسى وأكسب .  
ومن جياهم أسرى وأسرب . ومداي من نفعهم أغلى وأغلب .  
وقرطاسي من راياتهم أجلى وأجلب . وسيوفهم قد أغمدت وجردت  
منه مالا يعمد ولا يعمد . وأثار السيف من الجراح قد رقا دمها  
وأثاري من الذكر لا تخمل ولا تخمد .

وما السيف أشوى ضربه من لسانيا .

فكل أثر خبر به غيرى يموت الخبر بموته وينقطع صيت الأثر  
بانقطاع صوته . والذي أخبر أنا به عنه روض يزهر وإذا أقلت  
الأيام سحباً . ونجم يبدو إذا أفاض الشفق على فضة النجوم ذهباً .  
فهو قول يذكر وينسى كل فعل وفاعله . لا قول يؤثر مهما عاش اليوم  
عالمه ثم لا يأتي في غد إلا جاهله . فهذه الكتب نهب الأعمار الثانية .  
وتفاخر الألسنة القائلة بها الأيدي الكاتبة البانية . فانظروا إلى  
أيوان كسرى وسينية البحري في وصفه تجردوا الأيوان قد خرت  
شعقاته . وعفرت شرفاته . وتجدوا سينية البحري قد بقي بها اسم  
كسرى في ديوانه . أضعاف ما بقي شخصه في إيوانه . وإنما نراوح  
بين الأوصاف الغابية . وتناوب بين السمات السامية . للإشارة إلى  
من يذبه على مسماه . ويذوه بسيماه . فأما من يقول الله لا سمه أنت  
من معقبات حمدي . ويقول الدهر لذكره أنت الباقي من بعدي فانما  
يلزم الأدب بوصف فضله العظيم . ويرفع قدر القول بفضله وصفه  
الكريم ، ويسر الله هذه الفتوح . وأنزل بها الملائكة والروح . في أيام  
سيدنا ومولانا الامام الناصر لدين الله أمير المؤمنين أبي العباس  
أحمد بن الامام المستضيء بالله أبي محمد الحسن بن الامام  
المستنجد بالله أبي المظفر يوسف بن الامام المقتدي بالله عبد الله بن  
الخير محمد بن الامام القائم بأمر الله عبد الله بن الامام القادر  
بالله أبي العباس أحمد بن الامير اسحق بن الامام المقتدر بالله أبي  
الفضل جعفر بن الامام المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الموفق

بالله أبي أحمد طلحة بن الامام المتوكل على الله أبي الفضل جعفر  
ابن الامام المعتصم بالله أبي اسحق محمد بن الامام الرشيد بالله  
أبي جعفر هرون بن الامام المهدي بالله أبي عبد الله محمد بن الامام  
المنصور أبي جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس  
صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين والخلفاء الراشدين . وهي  
الايام التي زواهر أيامها ذواه ومضاء مضاربيها للقضاء مضاه . فما  
أجلها فضلا وأفضلها جلالا . وأقبلها جدا وأجدها قبالا وأقربها  
ندى ونوالا . وأبعدها مدى ومنالا . وما أعلى سني مجدها . وأحلى  
جني رفسها . وأفهم ريا رياض فضائلها . وأفعم حيا حياض  
قواضلها . واسح سماء سماحها أمطارا . وأصح جناح نجاحها  
مطارا . والسلطان صلاح الدنيا والدين أبو المظفر يوسف بن أيوب  
ناصر دعوته . وداعي نصرته . وولي الطائع . وسيفه القاطع  
والمحكم بأمره . والمؤمر بحكمه . فرأيت إبداء ميامن هذه الايام الغر  
على الآباد بفرر الآداب . وقيدت شوارد معانيها وسيرت محامد  
معاليها بهذا الكتاب . وأودعته من فوائد الكلام والفرائد الفذ  
والتوأم در السحاب ودر السخاب . وسميته الفتح القدسي تنبها على  
جلالة قدره . وتدويها بدلالة فخره . وعرضته على القاضي الأجل  
الفاضل . وهو الذي في سوق فضله تعرض بضائع الفضائل . فقال  
لي سممه ( الفتح القسي في الفتح القدسي ) فقد فتح الله عليك فيه  
بفصاحة قس وبلاغته . وصاغت صيغة بياذك فيه ما يعجز ذوو  
القدرة في البيان عن صياغته . ولما كان هذا الفتح في سنة ثلاث  
وثمانين وخمسمائة بدأت بها . وأنشأت رياضي بسحبها . وما  
شهدت إلا بما شاهدته وشهدته . وما استمطرت إلا عهاد العهد الذي  
عهدته . وما عنيت إلا بايراد ما عاينته ، ولا بنيت القاعدة الا على  
أس ما تبينته فبينته، وما توخيت إلا الصدق وما انهيت إلا الحق . ولا  
ذكرت كلمة تسقط . ولا اعتمدت إلا ما يرضي الله ولا يسخط .  
وبالله التوفيق والعصمة . وله الحمد ومنه النعمة

دخلت سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة؛ وكتب الملك الناصر صلاح  
الدين يوسف بن أيوب إلى الاقطار والبلاد . يستدعي من جميع

الجهات جموع الجهاد . وأهل للاستدعاء أهل الاستعداد .  
واستحضر الغزو . من الحضر والبدو . وبرز من دمشق يوم السبت  
مستهل المحرم قبل استنجد الجنود . واستحشاد الحشود .  
وإصهار الأسود . واحضار البيض والأسود . مضي العزم ماضي  
العزم . صائب السهم ثائب الفهم . ثابت السعود . كابت الحسود .  
وخيم على قصر سلامة من بصرى وكفت يد رعبه الطولى من الفرنج  
اليد القصرى . وأقام علي ارتقاب اقتراب الحجاج . وقد رتب  
الفرنج من الارصاد أفواجا على تلك الفجاج . لاسيما ابرنس  
الكرك . فانه كان حريصا على الدرك . ناصبا شر الشرك نصب  
الشرك . فلما شم ذلك الذئب رائحة الأسد . عاود دخول حصنه حذار  
خروج روحه من الجسد . ووصل الحاج في أول صفر . وقد قضوا  
حاجهم . ورضوا منهاجهم . وخرجوا عن فرضهم . وبخلوا إلى  
أرضهم . وفرغ القلب من شغلهم . وخف مالزم من ثقلهم . وانتظر  
السلطان وصول العسكر المصري المستدعى . ورعى منه حصول  
العدد المسترعى . فأبطا عليه وروده . واختلفت في الاسراع وعوده .  
فأمر ولده الأكبر الملك الأفضل نور الدين عليا . ولم يزل مكانه عنده  
عليا . أن يقيم على رأس الأمراء برأس الماء . وتجتمع العساكر  
الواصله منه تحت اللواء . وتقدم السلطان في اتباعه وأشياعه . إلى  
الكرك وضياعه . فأقام عليها يرهق ويزهق . ويحرب . ويحرق .  
ويرعد بصاعقة بأسه ويبرق حتي الحق الموجود بالمعدوم . وأتي  
بالقطع على البساتين والكروم . ورعى الزروع وعرى الضروع .  
واستأصل الأصول والفروع . حتي أقوت من الأقوات . واستعرت  
الغلة بغلاء سعر الغلات . وحلت أجال الأرزاق . وانحلت عرا  
الأرماق . واقفر بلد الشرك . وامتلا من الكرد والترك . وسار إلي  
الشوبك فأسار به شوبا . وأحفه من عريه ثوبا . وأخلاه من زرع  
ونبات . وفرغه من أقوات وقوات . وأذهب ضياء تلك الضياع .  
وأزال بقاء تلك البقاع . وجاس الخلال . وداس الغلال . وقشر  
الثرى وبشره . وحشر الردى ونشره . وسلب قرار القرى وسكون  
مسكونها . وفجع الفرنج بكرمها وزيتونها . فقد عدم ليلها  
المصباح . وصباحها الاصباح . ووصل عسكر مصر فتلقاه

بالقريتين . وفرقه على أعمال القلعتين . وأقام على هذه الحالة في ذلك الجانب شهرين . والملك الأفضل ولده مقيم برأس الماء . في جمع عظيم من العظماء . وعنده الجحافل الحافلة . والحواصل الواصلة والعساكر الكاسره . والقساور القاسره . والبواتر الواتره . والخضرم الضرم . والعمرم العرم . والهام الملتهم . والجيش الجأش . والترك والأكادش . والجذود والبذود . والاسود السود . والفيالق الفواق . والبيارق البوارق . وبنات الاغماد قد برزن من خدورها حبا لمعاذقة العدى . ظامئات إلى ورد الوريد وما أحسن حلي نجيع الكفر على عرائس الهدى . والعزم يستنهضه . والعز يحرضه . والدين يستبطيه . والنصر يستعطيه . والقدر يحركه . والظفر يدركه . والكفر قد مات من زعره . والاسلام قد مت بعذره . وهو ينتظر أمرا من أبيه يأتيه بما يأتيه . ويكتب إليه ويقتضيه من رأيه بما رأيه يقتضيه . ولما استمر تأخر الأمر استمر التأخير وقدم في الاقدام التبكير والتكبير . وانتهاز الفرصة واحراز الحصاة . وانتحى وانتخب الاجناد الانجاد . وجرد الجرد واستجاد الجياد . وسرى السرية السرية . وأمرها بالغارة على الغرة بأعمال طبرية . ومظفر الدين بن زين الدين علي كوجك المقدم المقدام . والهام الهام . والاسد الاسد . والأرشد الأشد . وعلى عسكر دمشق قايمان النجمي ، وعلى عسكر حلب دلدريم الياروقي . فساروا مدججين . وسروا مدلجين . وصباحوا صفورية ( فساء صباح المنذرين ) ( الصافات : ١٧٧ ) . فخرج اليهم الفرنج في جمع شاك . وجمر ذاك . وقنطاريات طائرات . وسابريات سابغات . ولداوى دوي وللاسبتاري هوي . والباروني يقدم على البوار والتركبولي يلقي نفسه على النار . وقد ثاروا والثار قد وقد والجو قد عقد . وقد انصدع زجاج الزجاج . وارتجز عجاج العجاج . وانفض الفضاء وانقض القضاء . وكادوا يفلون الجمع ويجمعون الفل . ويحلون العقد ويعقدون ما انحل . فثبت قايمان النجمي في صدورهم . وأشرع الاسنة الى نحوهم . وروى اللهازم من تامورهم . وعطف مظفر الدين يشلهم ويفلهم . ولايكثر بكثرتهم ويستقلهم . ولقيهم دلدريم بالوجه الابيض . والعزم الانهض . والجذ

الأجد . والحد الأحد . وانجلى الغبار . وقد عم الفرنج القتل  
والاسار . وفجع بقتل مقدمهم الاسبتار . وأفلت مقدم الداوية وله  
حصاص . ووقع الباقون ولم يكن لهم من الهالك محاص . واخلفت  
رنة السراء أنة الاسراء . وكانت هذه الذوبة بلا نبوة . والهبة بلا  
هبة . وسكنت القلوب بهذه الحركة . وركنت النفوس إلى هذه  
البركة . وسارت البشرى وسرت . ودارت النعمى ودرت . وعد ذلك  
من إقبال الملك الافضل . وفضل الملك المقبل . وحسنت السنة  
بالنصر . وأحسننت الالسنه في الشكر . هذا العساكر في كل يوم  
يفدون ويفيدون . وفيما يجدون الطريق إليه من الزكايه في العدو  
يجدون ويجيدون . وجاءتنا البشارة ونحن بالكرك . فأيقنت الآمال  
بالتجج والدرك . وسار سلطاننا الملك الفاصر صلاح الدين ووصل  
السير بالسرى وخيم بعشتر . ففصت بسيول الخيول الوهاد  
والذرى . واجتمع به ولده . وقر عينا بشبل العرين أسده . وما  
رأيت عسكري أبرك منه ولا أكبر . ولا أكرث للكفر ولا أكثر . وكان  
يوم عرضه مذكرا بيوم العرض . وما شاهده الا من تلا ( والله جنود  
السموات والأرض ) ( الفتح : ٤٠ ) . في ألوية كأنما عقدتها حور  
الجنان بخمرها . وبيارق كأنما حبها أنف الرياض بزهرها . ويوم  
كالليل عجا . وليل كالיום ابتلاجا . ومناصل بالمنى صلت .  
وقساطل بالقسي طلت . وفيلق لهام يفلق . وقلوب يمانية رقاق في  
صدور الاغماد تقلق . وطيور سهام من أوتار الحنايا إلى أوكار  
المنيا تمرق . وسوابغ مفاضه . وسوابق مرتاضه . وهضاب  
راسيات . وهواضب ساريات . ولما تم العرض . حم الفرض .  
وتعين الجهاد . وتبين الاجتهاد . واضطربت السهول والوعوث .  
وانبعثت الهمم وهمت البعوث . وسمع الفرنج بكثرة الجمع الجم .  
وزخرة اليم الخضم . وبرز التوحيد إلى التثليث . وانتهاض الطيب  
لأبحاض الخبيث . فخافوا وخابوا . وهبوا وهابوا . وعرفوا أن  
حزبهم مخذول . وأن غريبهم مفلول . وأن حدهم مذلوم . وأن جندهم  
مهزوم . وأنه قد جاءهم ما لا عهد لهم بمثله . وأن الايمان كله برز  
إلى الشرك كله . وقد كان بينهم حيثذ خلف مذيعث . وحلف منتكث .  
ووقع نفار بين الأنفار . ووقود شرار بين الشرار . ولما استندوا

حين حينهم . سـعـوا في إصلاح ذات بينهم . وبخـل المـلك على القـومـص . ليتـقـمص له بالود الأـخـلص . ورمى عليه بـنـفـسـه . واستبدل وحشته بأذنة . فاصطحبا بعدما اصطلحا . وأصبحا بعد ما جمحا . وتزاورا الفرنج وتوازروا . وتأمروا ما بينهم وتشاوروا . وقالوا هذا بين متى لنا منه الوها هوى . وعود إذا عاد الأذى ذوى . فالمسيح لنا . والصليب معنا . والمعمودية عمـدـتنا . والنصرانية نصرتنا . ورماحنا مراحنا . وصحافتنا صفاحنا . وفي لوائنا اللاواء . ومع أوبائنا الداوية الأدواء . وطوارقنا الطوارق . وبيارقنا البوائق . وسيف الاستتار بتار . ولقرن الباروني من مقارنته بوار . ومعنا الدلاص والصلاد . والصعاب والصعاد . وفي كل قنطاري قنطار . ولكل سابري من اسنتنا مسبار . وقد عم بحرنا الساحل . وشددنا به المعاهد والمعازل . وهذه الأرض تسعنا نيفا وتسعين سنة وما تضيق بنا في هذه السنة . وأرماحنا إلى هذه الغاية من الأسواء أسوار هذه البقاع والامكنة . وسلاطين الاسلام ما صدقوا أن يسلموا إلينا ويسالمون . ويبذلوا لنا القـطـائع ويقاطعوننا . وطالما ناصفونا وما صافونا . وهادونا وهادونا . وفي جمعنا تفريقهم . وفي وقعتنا تعويقهم . فقال القومص وكان محربا مجربا . متدبر متدربا . هذا صلاح الدين لا يقاس بأحد من السلاطين لتسلطه . واقدامه على المخاوف وتورطه . وإن كسرهم مرة فلا يصح لكم الجبر . وليس إلا المراوغة والمفاورة والصبر . والصواب أن لا نخالطه ولا نباسطه . ولا نخالفه ونقبل شرائطه . فقال له الملك : أنت قد قلبتك الآفة . وفي قلبك المخافة . وأنت للخور رخو . والخشية حشو . وأنا لا بد أن أصدمه وأصده . وأكدمه وأكده . وأراد به حتي أربه . وأقيم صليب الصابوت فلا يقعد عنه من أهل الأحد أحد . وأمد يد الأيد لجمعي فلا تمتد لأهل الجمعة يد . فقبل القومص قوله على مضض وصح ظاهره معه على ما كان في الباطن من مرض . ولما أحس منه الملك بالوفاء والوفاق . وعدم الشقاء ما وجدوه بينهما من الشقاق . اشتغلوا بالحشد والحشر والطبي والنشر .

## ذكر ما كان بين ملك الافرنج وبين القومص من الخلف

لما هلك الملك أماري بن فلك في آخر سنة تسع وخمس مائة خلف ولدا مجذوما، وكان مع الوجود معدوما • قد أعضل دأؤه • وأيس شفاؤه • وطال بلاؤه • فوضع الافرنج التاج على رأسه • وتمسكوا مع امراضه بامراسه • ونفذوا في ضرمه • وتسمنوا بورمه • وصحوا بسقمه ورقوا في سلمه ، ورضوا بتقدمه • واكبروه وأركبوه • وأقدموا به وقدموه • وهم يكرثون بجذا (١) ملكهم هذا ولا يكرثون بجذامه • ويحمون حماه ان يحم حلول حماه • وبقي بينهم زهاء عشر سنين ملكا مطاعا • معاررا من اشفاقهم واتفاقهم مراعى • فلما احس بهلاكه • وسكون حراكه . احضر البطررك والقسوس • والمقدمين والرؤوس • وكان له ابن اخت صغير • عن التناول الى الملك قصير • وقال لهم الملك في هذا ولكن القومص (٢) يكفيه مدة سني صغره • وهو يستقل به بعد كبره • فهو الان لا يستبد • ومن أمر القومص يستمد • فقبل القومص الوصية • وجمع اليه الاطراف • الدانية والقاصية • وسكن بطبرية فان صاحبها كانت تزوجت به ، وطمعت في قوته وقربه • وهلك الملك المجذوم • وظهر المكتوم وطمع القومص في الملك استقلالا فعدم موافقة الداوية • وقالوا يلزمك العمل بشرط الوصية فكفل بالامر وهو مغلوب • وتفقد اختياره فاذا هو مسلوب • ورغب في مقاربة السلطان صلاح الدين ليقوى بجانبه • ويحظى من مواهبه • فاشتد ازره واشتد امره • واستقل بذفسه ، واستولى على جنسه • حتى مات الملك الصغير • فانتقل الملك منه الى امه • وبطل ما كان في عزم القومص برغمه • وانتقل الملك اليها • واجتمع الافرنج عليها • فقالت لهم زوجي أقدر وهو احق بالملك واجدر • واخذت التاج من رأسها فوضعتة على رأسه • وعاش رجاءه بعد يأسه • ورأى غناه بعد افلاسه • وانتاش إبليس بعد ابلاسه • وقامت قيامة القومص باجلاسه • وطالبه الملك الجديد بحساب ما تولاها • فما اجاب دعوته

مرتضى • ولكل نام منتمى • ولكل سام مسمى • ولكل اسم مسمى • وعين لكل امير موقفا في الميمنة والميسرة لا ينتقل عنه • ولا يغيب جمعه ولا يبرح احد منه • واخرج الجاليشية الرماة الكماسة من كل طلب • ووصى كل حزب بما بقربه من حزب • وقال اذا دخلنا بلد العدو فهذه هيئة عساكرنا ، وصورة موارينا ومصادرنا • ومواضع اطلالنا • ومطالع ابطالنا • ومصارع اسنتنا • وشوارع اعنتنا • وميادين جردنا • وبساتين وردنا • ومواقف صروفنا • ومصارف وقوفنا • ومرامي مرامنا • ومجالي مجالنا • وقوى الآمال بما بذله من الاموال • وحقق في انجاز المواعد وانجاح المقاصد رجاء الرجال • وجمع العدد • وفرق العدد • وهب الجياد واجاد المواهب • ورغب في العطايا واعطى الرغائب • ونثر الخزائن • ونثر الكنائن • وانفق الذخائر • واستنفذ كرائمها والاخير وقسم احمال الذخاب • ففترق الناس منه بأكثر من ملء الجعاب • واجرى الجرد واجنى الاجناد • واذكى المذاكي واشهد الاشهاد • واذال مناقب المناقب • واستمال معاطف المعاطب • وقوى القواطع • وروى الروائع • وعاد الى المخيم مسرورا محبورا • مقبولا مبرورا • موفورا مشكورا • وقد رتب وربت • وقنب وكتب وثبت ونبت • قد بر عمله وابرامله • وفاح نشره • ولاح بشره • وتأرج رياه • وتبلغ محياه • وايقن بالظفر وظفر باليقين • وامن الى الدعوة المستدعية للتأمين • وتيمن باوضح عرابه الميامين • وايضاح اعرابه في اقتضاء بين الدين • واذس ببهجة الخيل ولهجة الخير • وسر سره بما سرى له من وجه السير • وشد حزم الحزم • وجد في العزم الجزم • وقدم الاسراح للاسراء • والجم العراب للعراء .

ورحل يوم الجمعة سابع عشر ربيع الآخر والتوفيق مساييره • والتأييد مؤازره • والتمكين مضافره • والسعد مظاهره • والجد مكائره • واليمن محاضره • والعز مسامره • والظفر مجاوره • والاسلام شاكره • والله عز وجل ناصره • وسار على الهيئة التي قدمنا ذكرها من المقانب المقتنبة • والكتائب المكتنبة • والماراتب

مرتضى • ولكل نام منتمى • ولكل سام مسمى • ولكل اسم مسمى • وعين لكل امير موقفا في الميمنة والميسرة لا ينتقل عنه • ولا يغيب جمعه ولا يبرح احد منه • واخرج الجاليشية الرماة الكماسة من كل طلب • ووصى كل حزب بما بقربه من حزب • وقال اذا دخلنا بلد العدو فهذه هيئة عساكرنا ، وصورة مواردها ومصادرها • ومواضع اطلالها • ومطالع ابطالنا • ومصارع اسنتنا • وشوارع اعنتنا • وميادين جردنا • وبساتين وردنا • ومواقف صروفنا • ومصارف وقوفنا • ومرامي مرامنا • ومجالي مجالنا • وقوى الآمال بما بذله من الاموال • وحقق في انجاز المواعد وانجاح المقاصد رجاء الرجال • وجمع العدد • وفرق العدد • وهب الجياد واجاد المواهب • ورغب في العطايا واعطى الرغائب • ونثر الخزائن • ونزل الكنائن • وانفق النخائر • واستنفذ كرائمها والاخير وقسم احمال الذخاب • ففرق الناس منه بأكثر من ملء الجعاب • واجرى الجرد واجنى الاجناد • واذكى المذاكي واشهد الاشهاد • واذال مناقب المناقب • واستمال معاطف المعاطب • وقوى القواطع • وروى الروائع • وعاد الى المخيم مسرورا محبورا • مقبولا مبرورا • موفورا مشكورا • وقد رتب وربت • وقنب وكتب وثبت ونبت • قد بر عمله وابرامله • وفاح نشره • ولاح بشره • وتأرج رياه • وتبلج محياه • وايقن بالظفر وظفر باليقين • وامن الى الدعوة المستدعية للتأمين • وتيمن باوضح عرابه الميامين • وايضاح اعرابه في اقتضاء بين الدين • واذنس ببهجة الخيل ولهجة الخير • وسر سره بما سرى له من وجه السير • وشد حزم الحزم • وجد في العزم الجزم • وقدم الاسراح للاسراء • وأجم العراب للعراء .

ورحل يوم الجمعة سابع عشر ربيع الآخر والتوفيق مساييره • والتأييد مؤازره • والتمكين مضافره • والسعد مظاهره • والجد مكائره • واليمن محاضره • والعز مسامره • والظفر مجاوره • والاسلام شاكره • والله عز وجل ناصره • وسار على الهيئة التي قدمنا ذكرها من المقانب المقتبسة • والكتائب المكتبة • والماراتب

المرتبة • والمذاهب المهدية • والسلاهب المجنبية • والصوائب  
المجعية • والقواضب المقرية • والثعالب المنزبية • واللهانم  
الهزيمة • والصلادم اللازمة • والضراغم الضاغمة • وخيم على  
خسفين • وقد انبى الله الخسف بالعدو وخسوفه • وكسف الكفر  
ونكسوفه • وبات والوجوه سافرة • والعيون في سبيل الله ساهرة •  
والايدي لسيوف الايد شاهرة • والاسن لانعم الله شاكرة •  
والقلوب بالاخلاص عامرة • والاذفس للانس مسامرة • والاقدام  
بالاقدار متضافرة متظاهرة .

ثم اصبحت سائرا ونزل على الاربن بثغر الاقحوانة • بعزم  
الصيال وعز الصيانة • واحاط ببجيرة طبرية بحرته المحيط •  
وضاق ببسائط خيامه ذلك البسيط • وبرزت الارض في قشب  
اثوابها • وتفتحت السماء لتنزل الملائكة من ابوابها • ورست سفن  
المضارب على تلك الانباج • وطمت الاطلاب امواجا على امواج •  
وانعقدت سماء العجاج • وطلعت فيها انجم الخرصان والزجاج •  
واعاد الاقحوانة رياضاً نضرة • وحدائق مزهرة • من فرس رد  
وفارس كالاسد الورد • ومشرفيات كبطاقات الرياحين • ويزنيات  
كأشجار البساتين • ورايات صفراء تخفق بعذابات الياسمين •  
والوية حمراء كشقائق النعمان • وموضوعة زغف كالغدران •  
ومصقولة بيض كالخلجان • ومريشة زرق كالاطيار • ومحنية عوج  
كالافنان • وبيض تلمع كثغور الاقحوان • وجبب ترائك على بحور  
الدارعين • وعقبان صواهل ترووق وتروع الناظرين والسامعين •  
والفرنج قد صفوا راياتهم بصفورية • ولووا الالوية على مدود  
الضوامر الزواجر قناطر القنطاريات • واوقدوا في ظلام القتام  
الثائر سروج السريجات • وصوبوا الى صوب قرا الاقران نيات  
اليزنيات • واحاطوا حول مراكزهم بدوائرهم • وحاطوا  
بواشرهم • وجمعوا الاوشاب والاباش • ورتبوا الجيش •  
وثبتوا الجاش ، وحشدوا الفارس والراجل • والرامح والنابل •  
ونشروا الذوابل • وحشروا ابطال الباطل • ورفعوا صليب  
الصلبوت • فاجتمع اليه عباد الطاغوت • وضلال الناسوت

واللاهوت • ونادوا في نواحي اقاليم اهل الاقانيم • وصـالـبوا  
الصليب الاعظم بالتعظيم ، وماعصاهم من له عصا • وخرجوا عن  
العد والاحصا • وكانوا عدد الحصى • وصاروا في زهاء خمسين  
الفا ويزيدون • ويكيدون مايكيدون • قد تواقوا على صعيد •  
ووافوا من قريب وبعيد • وهم هناك مقيمون • لا يرومون حركة  
ولا يريمون • والسلطان صلاح الدين في كل صباح يسير اليهم  
ويشرف عليهم • ويراميهـم • وينـكـى فيهم • ويتعـرضـلهم  
ليتعرضوا له • ويردوا عن رقابهم سيوفه وعن شعابهم سيوله •  
فربضوا ومانبضوا • وقعدوا ومانهضوا • فلو برزوا لبرز اليهم  
القتل في مضاجعهم • وعايذوا مقام صارعهم • في سـوقهم الى  
مصارعهم • وفزعوا مما فيه وقعوا • وجبذوا عما له تشجعوا •  
فرأى السلطان ان يطيب ربه • من طبرية ويشرف على خطتها  
بالخطية والمشرقية • ويحوز حوزتها ويملك مملكتها • فجر على  
الاردن اردان الربينيات • واطلع الذقع المثار من البحر بجوافر  
الاعوجيات • واستسهل عليها ولم يستوعر عربيات العربيات •  
فأمر عساكره • وامراء جيشه واكابره • ان يقيموا قبالة الفرنج •  
ويضيقوا عليهم واسع النهج • فان خرجوا للمصاف بادروا الى  
الانتقام منهم والانتصاف • وان تحركوا الى بعض الجوانب • وذبوا  
بهم واثوب الاسود بالارانب • وان قصدوا طبرية لصونها وان يكونوا  
في عونها • عجلوا الاعلام ليعجل عليهم الاقدام .

### ذكر فتح طبرية

ونزل على طبرية في خـواصه ، وذوي اسـتـخلاصه . واحضر  
الجندارية والنقابين . والخراسانية . والحجارين . واطراف  
بسورها • وشرع في هدم معمرورها . وصدقها القتال . وماصـدف  
عنها النزال . وكان ذلك يوم الخميس . وهو يؤم الخميس . واخذ  
النقابون النقب في برج فهدوه وهدموه . وتسـالـقوا فيه وتسـالـموه .

وبذل الليل وصباح الفتح مسفر . وليل الويل على العدو معتكر .  
وامتنعت القلعة بمن فيها . من القومصية . ست طبرية وبنيتها . ولما  
سمع القومص بفتح طبرية واخذ بلده . سقط في يده . وخرج عن جلد  
جلده . وسمح للفرنج بسبده ولبده . وقال لهم لاقعود بعد اليوم .  
ولا بد لنا من وقم القوم . واذا اخذت طبرية اخذت البلاد . وذهبت  
الطراف والتلاد . وما بقي لي من صبر . وما بعد هذا الكسر . لي جبر  
وكان الملك قد حالفه . فما خالفه . ووافق . فما ناقه . وما حظه فما  
مازقه ووادده فما رادده . وواعده فما عاوده . ورحل بجمعه . وبصره  
وسمعه . وثعابينه وشياطينه . وسراجينه وسراحيه . واتباع غيه .  
واشباع بغيه . فمادت الارض بحركته . وغامت السماء من غبرته .  
ووصل الخبر بان الفرنج ركبوا . وثابوا عن ثبات ثباتهم ووثبوا .  
وعبوا وعبوا . ودبوا حتى يذبوا . وشبوا النار . ولبوا الثأر .  
وقدموا للنزل بالدار البدار . وذلك يوم الجمعة رابع عشرين ربيع  
الاخر . فما كذب السلطان الخبر حتى صدق عزمه . بما سبق به حكمه .  
وسر حين احاط بمسيرهم علمه . وقال : قد حصل المطلوب . وكمل  
المخطوب . وجاءنا مانريد . ولنا بحمد الله الجد الجديد . والحد  
الحديد . والبأس الشديد . والنصر العتيد . واذا صحت كسرتهم .  
وقتلت واسرت اسراتهم . فطبرية وجميع الساحل . مادونها مانع .  
ولا عن فتحها وازع . واستخار الله وسار . وعدم القرار . وجاء يوم  
الجمعة رابع عشرين شهر ربيع الاخر والفرنج سائرون الى طبرية  
بقضهم وقضيضهم . وكانهم على اليفاع في حضيضهم . وقد ماجت  
خضارهم . وهاجت ضراغمهم . وطارت قشاعهم . وثارت غماغمهم  
وسدت الافاق غماثمهم . وشاقت ضاربها جماجمهم . وهم كالجبال  
السائرة . وكالبحار الزاخرة . امواجها ملتزمة . وافواجها مزبحة .  
وفجاجها محتدمة . واعلاجها مصطلمة . وقد جوى الجو . وضوى  
الضو . ودوى الدو . والفضاء مذفض . والقضاء مذقض . والثرى قد  
استزار الثرى . وجر نيل الخيل قد برى البرى . والحوافر الحوافر  
للارض حوافر . والفوارس اللوابس في البيض سوافر . وذئاب  
النباد واجلاد الجلال قد حملوا كل عده . وكملوا كل عدة . فرتب  
السلطان في مقابلتهم اطر اطلابه . وقصر على مقاتلتهم ارابه .

وحصل بعسكره قدامهم . ورقب على الحملة اقدامهم . وحجز بينهم وبين الماء . ومنع زمامهم على النماء . وحلأهم عن الورد . وصدعهم بالصد . ذاك واليوم قيظ . والقوم غيظ . وقد وقدت الهاجرة . فوقدتها غير هاجرة . وشربت ماكان في اداوتها فهي على الظما غير صابرة . وحجز الليل بين الفريقين . وحجرت الخيل على الطريقين . وبات الاسلام للكفر مقابلا . والتوحيد للتذليل مقاتلا . والهدى للضلال مراقبا . والايمان للاشرك محاربا . وهيثت دركات النيران . وهنئت درجات الجنان . وانتظر مالك واستبشر رضوان . حتى اذا اسفر الصباح . وسفر الصباح . وفجر الفجر انهار النهار . ونفر النفر غراب الغبار . وانتهت في الجفون الصوارم . والتهبت في الضوامر الضوارج . وتيقظت الاوتار . وتغيظت النار . وسل الغرار . وسلب القرار . خرج الجاليشية تحرق بنيران النصال اهل النار . ورنق القسي وغنت الاوتار . ورقصت مران المراد . لجلاء عرائس الجلال . وبرزت البيض من ملائها في الملا عارية . ورتعت السممر لكلها من الكلى راعية . فرجا القرنج فرجا . وطلب طلبهم المحرج مخرجا . فكلما خرجوا جرحوا . وبرح بهم حر الحرب فما برحوا . وحملوا وهم ظماء . ومالهم سوى ما بأيديهم من ماء الفرند ماء . فشوتهم نار السهام واشوتهم . وصممت عليهم قلوب القسي القاسية واصمتهم . واعجزوا وازعجوا . واحرجوا واخرجوا . وكلما حملوا ردوا وارادوا . وكلما ساروا وشدوا اسروا وشدوا . وما دبت منهم نملة . ولا ذبت عنهم حملة . واضرموا واضطربوا . والتهفوا والتهبوا . وناشبههم النشاب فعادت اسودهم تنفذ . وضايقتهم السهام فوسعت فيهم الخرق النافذة . فأووا الى جبل حطين يعصمهم من طوفان الدمار . فأحاطت بحطين بوارق البوار . ورشفتهم الظبا . وفرشتهم على الربا . ورشقتهم الحنايا . وقشرتهم المنايا . وقشرتهم البلايا . ورقشتهم الرزايا . وصاروا للردى درايا . والقضايا رمايا . ولما احس القوم مص بالكسرة . حسر عن ذراع الحسرة . واقتال من العزيمة . واحتال في الهزيمة . وكان ذلك قبل اضطراب الجمع واضطرام الجمر . واحتداد الحرب واحتدام الحر . فخرج بطله يطلب الخروج . واعوج الى الوادي وماود ان يعوج .

ومضى كومض البرق . ووسع خطا خرقة قبل اتساع الخرق . واقلت في عدة معدودة . ولم يلتفت الى ردة مردودة . وغاب حالة حضور الوعي . ونابه الرعب الذي نوى الهزيمة به وماونى . ثم استجرت الحرب . واشتجر الطعن والضرب . واحيط بالفرنچ من حوالهم بما حووا اليهم . ودارت دائرة الدوائر عليهم . وشرعوا في ضرب خيامهم وضم نظامهم . فخطوا على حطين مضاربهم . وقلت حدود الرماة مضاربهم . واعجلوا عن نصب الخيم ورفعها . وشغلوا عن اصل الحياة وفرعها . وترجوا خيرا فتسرجلوا عن الخيل . وتجلدوا وتجالدوا فجرفهم السيف جرف السيل . واحاط بهم العسكر احاطة النار بأهلها . ولجأوا الى حزم الارض فبلغ حزامهم الطبيين من سهلها . واسر الشيطان وجنوده . وملك الملك وكذوده . وجلس السلطان لعرض اكابر الاسارى . وهم يتهادون في القيود تهادي السكارى . فقدم بدائه مقدم الداوية . ومعه عدة كثيرة منهم ومن الاسبتارية . واحضر الملك كي واخوه جفري . واوك صاحب جبيل وهذفري . والابرذس ارناط صاحب الكرك . وهو اول من وقع في الشرك . وكان السلطان نذر دمه . وقال لا عجلن عند وجدانه عدمه . فلما حضر بين يديه اجلسه الى جنب الملك والملك بجذبه . وقرعه على غدره وذكره بنذبه وقال له:كم تحلف وتحذث . وتعهد وتنكث . وتبرم الميثاق وتنقض . وتقبل على الوفاق ثم تعرض . فقال الترجمان عنه ان يقول قد جرت بذلك عادة الملوك . وما سلكت غير السنن الملوك . وكان الملك يلهث ظميا . ويميل من سكرة الرعب منتشيا . فأندسه السلطان وحاوره . وفتأ سورة الوجل الذي ساوره . وسكن رعبه . وامن قلبه . واتي بماء مثلوج ازال لهثة وأزاح من العطش ماكرثه . وناوله الابرذس ليخدم ايضا لهبه . فأخذه من يده وشربه . فقال السلطان للملك لم تأخذ مني في سقيه أننا • فلا يوجب ذلك له مني أمنا • ثم ركب وخلاهما • وبنار الوهل اصلاهما • ولم ينزل الى ضرب سرادقه • وركزت أعلامه وبيارقه • وعادت عن الحومة الى الحمى فيالقه • فلما بخل سرادقه • استحضر الابرذس فقام اليه وتلقاه بالسيف فحل عاتقه • وحين صرع . امر برأسه فقطع وجر برجله قدام الملك حين اخرج . فارتاع وانزعج . فعرف السلطان انه

خامره الفزع . وساوره الهلع وسامره الجزع . فاستدعاه واستدناه  
وامنه وطمنه . ومكنه من قربه وسكنه . وقال ذاك رداً عليه اودته .  
وغدرته كما تراه غادرته . وقد هلك بغيه وبغيه ونبازنه حياته ووردها  
عن وريه وريه . وصحت هذه الكسرة . وتمت هذه النصرة يوم  
السبت وضربت ذلة اهل السبت على اهل الاحد . وكاذوا اسودا  
فعادوا من النقد . فما اقلت من تلك الالاف الا احاد . ومانجا من  
اولئك الاعداء الا اعداد . وامتلأ الملا بالاسرى والقتلى . وانجلى  
الغبار عنهم بالنصر الذي تجلى . وقيدت الاسارى في الحبال واجبة  
القلوب . وفرشت القتلى في الوهاد والجبال واجبة الجنوب . وحطت  
حطين تلك الجيف عن متنها . وطاب نشر النصر بنتنها . وعبرت  
بها فلقيت أشلاء المشلولين في الملتقى ملقاه . بالعراء عراة . ممزقة  
بالمازق . مفصلة المفاصل . مفرقة المرافق . مفلقة المفاقر .  
محذوفة الرقاب . مقصوفة الاصلاب . مقطعة الهام . موزعة  
الاقدام . مجدوعة الأناف . منزوعة الاطراف . معضاة الاعضاء .  
مجزاة الاجزاء . مفقوعة العيون مبعوجة البطون . مخصوبة  
الضفائر . معضوبة المرائر ، مبرية البنان . مفرية اللبان مقصومة  
الاضالع . مفصومة الاشاجع . مرضوضة الصدور . مفضوضة  
النحور . منصفدة الاجساد . مقصقة الاعضاء . مقلصة الشفاه .  
مخلصة الجباه . قانية الذوائب . دامية الترائب . مشكوكة الاضلع  
مفكوكة الاذرع . مكسورة العظام . محسورة اللثام . بائدة  
الوجوه . بانية المكروه . مبشورة الابشار . معشورة الاعشار .  
منشورة الشعور . مقشورة الظهور . مهدومة البنيان . مهتومة  
الاسنان . مهركة الدماء . مرهقة الذماء . هاوية الذرى . واهية  
العرى . سائلة الاحداق . مائلة الاعناق . مفتونة الافلاذ . مبتوتة  
الافخاذ . مشدوخة الهامات . مسلوخة اللبسات . عديمة الارواح .  
هشيمة الاشباح . كالحجار بين الاحجار . عبرة لاولي الابصار .  
وصارت تلك المعركة بالدماء أدماء . وعادت الغبرة حمراء . وجرت  
انهار الدم المنهمر . وسفر تلك الخباثت المظلمة وجه الدين المطهر .  
فما اطيب نفحات الظفر من ذلك الخبث . وما الهب عذابات العذاب  
في تلك الجثث . وما أحسن عمارات القلوب بقبح ذلك الشعث . وما

أجزى صلوات البشائر بوقوع ذلك الحدث • هذا وحساب من قتل فقد  
حصرت السنة الأمم عن حصره وعده • وأما من أسر فلم تكف  
أطناب الخيم لقيده وشده • ولقد رأيت في حبل واحد ثلاثين وأربعين  
يقودهم فارس • وفي بقعة واحدة مائة ومائتين يحميهم حارس •  
وهناك العتاة عناة • والعداة عراة • وذوو الاسرة أسرى • وأولو  
الآثره عثرى • والقوامص قنائص • والفوارس فرائس • وغوالي  
الارواح رخائص • ووجوه الداوية الداوية عوابس • والرؤوس تحت  
الاخامص • ومطالع الاجسام ذوات المقاطع والمخالص • فكما اصيد  
صيد • وقائد وقيد • ومشارك مكشر • وكافر مفكر • ومثلث  
منصف • ومكيف مكثف • وجارح مجروح • وقارح مقروح • ومالك  
مملوك • وهاتك مهتوك • ومتبر مبتور • ومحسر محسور • وكاب  
في الكبول • ومغتال في الغلول • وحر في الرق • ومبطل في يد الحق •

### ذكر الصليب الاعظم والاستيلاء عليه يوم المصاف

ولم يؤسر الملك حتى اخذ صليب الصليبوت • واهلك دونه اهل  
الطاغوت • وهو الذي اذا نصب واقيم ورفع • سجد له كل نصراني  
وركع • وهم يزعمون انه من الخشبة التي يزعمون انه صلب عليها  
معبودهم ومسجودهم • وقد غلفوه بالذهب الاحمر • وكللوه بالدر  
والجوهر • واعدوه ليوم الروح المشهود • ولموسم عيدهم الموعود •  
فاذا اخرجته القسوس • وحملته الرؤوس • تبادروا اليه • وانثالوا  
عليه ولا يسع لاحدهم عنه التخاف ولا يسوغ للمتخاف عن اتباعه في  
نفسه التصرف • واخذ اعظم عندهم من اسر الملك وهو اشد مصاب  
لهم في ذلك المعترك • فان الصليب السليب ماله عوض • ولا لهم في  
سواه غرض والتأله له عليهم مفترض • فهو إلههم • وتعفر له  
جباهم • وتسبح له افواههم • يتغاشون عند احضاره • يتعاشون  
لابصاره • ويتلاشون لآظهاره • ويتفاضون اذا شاهده •  
ويتواجدون اذا وجدوه • ويبذلون دونه المهج • ويطلبون به الفرج بل  
صاغوا على مثاله صلابا يعبدونها • ويخشعون لها في بيوتهم

ويشهدونها • فلما اخذ هذا الصليب الأعظم عظم مصابهم . ووهت  
اصلابهم . وكان الجمع المكسور عظيما . والموقف المنصور كريما .  
فكانهم لما عرفوا اخراج هذا الصليب لم يتخلف احد من يومهم  
العصيب . فهلكوا قتلا واسرا وملكوا قهرا وقسرا . ونزل السلطان  
على صحراء طبرية كالاسد المصحر . والقمر المبدر .

### ذكر فتح حصن طبرية

ونذب الي حصنها من تسلمه امانا . واسكنه بعد الكفر ايمانا .  
وكانت الست صاحبة طبرية قد حمته . ونقلت اليه كل ما ملكته  
ودوته . فأمناها على اصحابها واموالها . وخرجت بذسائها ورجالها  
ورجالها . وسارت الى طرابلس بلد زوجها القومص بمالها  
وحالها . وغادرت طبرية أهلة آمنة باهل الايمان . وعين لولايتها  
صارم البين قايماز النجمي ، وهو من الاكابر الاعيان . وهذا الملك  
الناصر نازل ظاهر طبرية . وقد طب البرية . وعسكره طبق البرية .

### ذكر ما اعتمده في الاسارى الداوية والاسبثارية من ضرب رقابهم واعطاء بشر الوجوه باعطابهم

فلما أصبح يوم الاثنين سابع عشري شهر ربيع الاخر بعد الفتح  
بيومين . طلب الاسارى من الداوية والاسبثارية ، وقال : أنا أظهر  
الأرض من الجذسين النجسين . وجعل لكل من يحضر منهما اسيرا  
خمسسين . فأحضر العسكر في الحال مئتين . وأمر بضرب اعناقهم .  
واختار قتلهم على استرقاقهم . وكان عنده جماعة من اهل العلم  
والتصوف . وعدة من ذوي التعفف والتعيف . فسأل كل واحد في قتل  
واحد . وسل سيفه . وحسر عن ساعد . والسلطان جالس . ووجه  
باشر والكفر عابس . والعساكر صفوف . والامراء في السماطين

وقوف . فمنهم من فرى وبرى وشكر . ومنهم من أبى ونبا وعذر .  
ومنهم من يضحك منه . ويذوب سواه عنه . وشاهدت هناك الضحوك  
القتال . ورأيت منه القوال الفعال . فكلم وعد انجزه . وحمد احرز .  
واجر استدأه بدم اجراه . وبر اعنق اليه بعنق براه . ونصل  
خضبه . لنصر خطبه . واسل اعتقله . لاسد عقله . وداء داواه  
لداوي ادواه . وقوة اهداها لهداة قواها .

ولواء نشره للأواء طواها . وكفر أماته لاسلام أحياء . وشرك  
هدمه لتوحيد بناءه . وعزما مضاهها . لامة ارضاهها . وعدو قصمه .  
لولي عصمة . وسير ملك القرنج وأخاه وهذفري وصاحب جبيل  
ومقدم الداوية وجميع اكابرهم المأسورين الى دمشق ليودعوا  
السجون . وتستبدل حركاتهم السكون . وتفرقت العساكر بما حوته  
أيديهم من السبي ايدي سبأ وخمد جمر جمع الكفر وخبا .

## ذكر فتح عكا

ورحل السلطان ظهر يوم الثلاثاء ظاهرا على اهل التثليث مديلا  
الطيب . مزيلا للخبث . وسار عسكره . وثار عثيره . وظهرت  
راياته . وبهرت آياته . ونعرت كوساته . وصاحت بوقاته . وجالت  
خيوله . وسالت سيوله . وطلعت في سماء العجاج نجوم خروصاته  
وقلعت قلائع تلك الجبال جبال فرسانه . وحفرت مدواف الصلاد م  
أصلاب الصلاد الصلاب . وفصحت باعراب الحمام صواهل  
الجياد العراب . والاسنة مشرعة . والأعنة مسرعة . وبحور السوابح  
متموجة وغدران السوابغ مترجرجة . وبوارق البيارق متبرجة .  
وأوضح الجرد وغررها كأوضح النصر وغرره متبلجة . ونزل عشية  
بأرض لوبية لداعي الفتوح ملييا . ولجيش النصر معيا . ولولود  
الملك العقيم بتلقيح الحرب العوان مربيا . وبات بها معرسا بانيا  
على عروس الظفر البكر . جانبا ثمار الاماني من غروس البيض

والسمر • وأصبح وقد اصحب جماح الدهر • وصح نجاح الأمر •  
وحص جناح الكفر • واسفر فجر الفرج • وسفر وجه البهج • وسار  
سارا سره بارا بأرباب الدين بره • زائرة أسوده • طائرة بذوده •  
ظاهرة جنوده زاهرة جدوده • سامية أضواؤه • هامية أنواؤه • رائعة  
مواكيه • رائقة مراكيه • مجنبة عتاقه • فكان رسول الله صلى الله  
عليه وسلم سير للفقير الى نصرته من يثري به • وهذا الأمير عز  
الدين أبو فليته القاسم بن المهنا الحسنى قد وفد في تلك السنة أوان  
عود الحاج • وهو ذو شيبة تقد كالسراج • وما برح مع الملك الناصر •  
مأثور المأثر • ميمون الصحبة • مأمون المحبة • مبارك الطلعة •  
مشارك في الوقعة فما تم فتح تلك السنين الا بحضوره • ولا أشرق  
مطلع من النصر الا بذوره • فرأيته ذلك اليوم للسلطان مسائرا •  
ورأيت السلطان له مشاورا محاورا • وأنا أسير معهما • وقد بذوت  
منهما ليسمعاني وأسمعهما • ولاحت أعلام عكا وكان بيارق الفرنج  
المركوزة عليها السنة من الخوف تتشكى • وكان عذبات النيران  
تصاعدت لعذاب أهلها • وقد توافرت عساكر الاسلام اليها من  
وعرها وسهلها • فلما قرب منها خيم وراء تلها • وأننت عروش  
معاشر الشرك بذلها • وعقود معاقدي الكفر بحلها • وأصبح يوم  
الخميس وركب في خميسه • ووقف كالأسد في عريسه • فخرج أهل  
البلد يطلبون الامان • ويبذلون الانعان فامنهم وخيرهم بين المقام  
والانتقال • ووهب لهم عصمة الانفس والاموال • وكان في ظنهم أنه  
يستبيح دماءهم • ويسبي ذريتهم ونسائهم • وأمهلهم أياما حتى  
ينقل من يختار الذلة • واغتدوا تلك المهلة • وفتح الباب  
للخاصة • واستغنى بالدخول الى البلد جماعة من ذوي الخصاصة •  
فان القوم ما صدقوا من الخوف المزعج • والفرج المخرج • كيف  
يتركون دورهم بما فيها ويسلمون • وعندهم أنهم إذا نجوا بأنفسهم  
أنهم يغزمون • فترك معظمهم المدينة • وعندهم انه ما كسب السكنة •  
الا من ركب السفينة • وذلك ان الجند لما دخلوها • استولوا على  
الدور ونزلوها • وركز كل منهم بيرقه على دار • وقال صاحبها كيف  
يصح المقام مع الأسد في غابه ولا مقام على زار • وكان السلطان  
جعل للفقيه عيسى الهكاري كل ما يتعلق بالدأوية من منازل وضياع •

ومواضع ورباع • فأخذها بما فيها من غلال ومتاع . ووهب عكا  
لولده الملك الأفضل • فأجراها من نظره على الاحسن الاجمل •  
ودخلناها يوم الجمعة مستهل جمادى الأولى فاقمنا بها الجمعة •  
ووصلنا فريضتها المنقطعة • وأعدنا الكنيسة العظمى مسجدا  
جامعا • وعاد نور الهدى الخافي بالضلالة لامعا • وحضر القاضي  
الاجل الفاضل فأمر بترتيب القبلة والمذبح ، وتبسم بميامنه للاسلام  
بعد الاظلام سني الصبح المسفر ، وخطب جمال الدين عبد اللطيف  
ابن الشيخ أبي النجيب السهروردي ، فإنه تولى بها القضاء  
والخطابة ، وملأنا بعد الذئاب بالاساد السادة السادة تلك  
الغابة ، وخلي سكان البلد دروهم ، ومخزونهم ومنخورهم وتركوهما  
لن أخذها ، ونبذوا ماحووه لمن حواها ما نبذها ، وافترق من القرنج  
أغنياء ، واستغنى من أجنادنا فقراء ، ولونخرت تلك الحواصل  
وحصلت تلك النخائر ، وجمع لبيت المال ذلك المال المجموع  
الوافر ، لكان عدة ليوم الشدائد ، وعمدة لنجح المقاصد ، فرتعت في  
خضرائها بل صفرائها وبيضائها سروج الاطماع ، وطال لمستحليها  
ومستحليها الأمتاع بذلك المتاع ، وأقام السلطان بباب عكا على التل  
مخيما ، وعلى فتح سائر بلاد الساحل مصمما ، ولملكتهما  
متمما ، وكان قد كتب الى أخيه الملك العادل سيف الدين أبي بكر  
وهو بمصر ، بما اتاحه الله من النصر ، وقبضه له من اقتضااض  
الفتح البكر ، فوصلت البشرى بوصله باشرا ، وللواء الحمد  
ناشرا ، ولاستفتاح مافي طريقه من الحصون مباشرة ، وأنه فتح  
حصن مجدل يابا ومدينة يافا عنوة ، واغتنمها غزوة ، وتسلمها  
حظوة ، فقصده من عساكرنا القصاد ، ووفد اليه من عندنا  
الوفاد ، فحباهم بالحباء من السبايا ، وآتاهم المرباع  
والصفايا ، وخصهم من الحاصل بالنقود ، ووعدهم مما سيحصل  
بالنسايا ، وشرع يستضيف حصنا فحصنا ، ويستضيف حرسنا  
وحسنا ، ويستزيد بلدا ، ويستزير مددا ، ويستزير من الكفر  
يدا ، ويستميل الى الهدى هدى ، والدين بسيف سيفه  
منصور ، والاسلام بنصر ناصره مسرور ، والملك العادل ممالك  
بعده ، سالك نهج النجاح بفضله ، فائز العزيمة حائز

الغنيمة ، ماضي الضريبة قاضي الكتيبة ، ميمون النقيبة مأمول  
الرجبة .

### ذكر فتح عدة من البلاد

وأقام السلطان بمخيمه ، ظافرا بمغذمه ظاهرا بكرمه ، شاكرا  
عرام عرمرمه ، ملها ضرام مخذمه ، مرويا أوارلهذمه ، وأمر  
أمرائه بقصد البلاد المجاورة ، وأمدهم بالضراغم المراوغة  
المغاورة .

### فتح الناصرة وصفورية

فسار مظفر الدين كوكبـوري الى الناصرة فاستباح  
حماها ، واستبى دماها ، وحلها واستحلها ، وأزالها  
وأزلها ، وخف اليها واستخفها ، واستشفها وشفها ، وشافها  
بشفار البواتر ، فشفه منها موارد النخائر ، واجتلى  
عرائسها ، واجتني مغارسها ، وجمع نفادسها ونزع  
ملايسها ، واستدر طبيها ، واسترد سبيها ، واستقل منها بما  
استقل به من كل غانية عانية • ورقيقة رقيقة • ومصابة  
مصيبة ، ومسببة مصيبة ، ومجلوة مجلوبة ، وسالبة  
مسالوبة ، ودمية دامية ، وجارية لطيفة بالعنف جارية ، واسيرة  
من أسره ، وحاسرة عن حسره ، وثاكلة لواحدتها ، وأكلة  
لساعدها ، وعاضة على يديها ، وفاضة ختم الدمع على خديها •  
وناهة متنهدة ، وفريضة متفردة ، وناعمة شقية ، وقينة  
نقية ، وعذراء مفترعة ، وحسناء منتزعة ، ومخططة ، وقوية  
مستضعفة ، وعزيزة ذليلة ، وصحيحة عليلة ، وساجية  
عبرى ، وصاحبة سكرى ، وغريرة غراء ، وظبية

ظلمياء ، وغضيضة غضة ، وفضة منفضة ، وخمارة  
مخمورة ، وسحارة مسحورة ، ومخدرة مهتوكة ، وموقرة  
منهوكة ، وجاءوا بالأسارى بين يديه مقرنين في الأصفاد ، مقولين  
في الأقياد ، مسوقين الى السوق ، والحديد منهم في الأعناق والسوق  
وصفرت صفورية من سكانها فلم يوجد بها صافر ، وكان بها من  
النخائر مبلغ واقر .

### فتح قيسارية

وتوجه بدر الدين دلدرد وغرس الدين قليج وجماعة من الأمراء  
الى قيسارية ، فافتتحوها بالسيف ، وسلطوا على الأنفس بها  
حاكمي الحتف والحيث ، وسلبوا ، وحلبوا ، وارتبوا ، وارتبوا ،  
وسلبوا ، وجلبوا ، وجالوا ، ونالوا ووقدوا ، وأخذوا ، واحتبوا  
وارتبوا ، وربطوا ، وضبطوا واستفادوا ، وفارسوا  
الفوارس ، وكسبوا الكنائس ، واستتبوا الأبكار  
العرائس ، والعون العوانس ، وتسلمت بعدها حيفا  
وأرسوف ، واستولى على تلك الشمووس والأقمار الكسوف  
والخسوف ..

### فتح نابلس

وسار حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين على سمت نابلس  
حاسما بحسامه داء الشرك ، مالتا بسهام الفتك جعاب  
الترك . تاليا أي الفتح . جاليا رأي النجح ، ووصل الى سمسطية  
فقدسلمها ، وتعجل مغنمها . ووجد مشهد زكريا عليه السلام قد  
اتخذ القسوس كنيسة ، واعادوها بالصور والآلات النفيسة  
أميسة . فاستخرج المصونات والمصوغات ، واستوعب العدد

والآلات . وأعادته مشهدا ، ورده مسجدا ، ووضع فيه من بره بالاسلام منبرا ، وأصبح الدين به مثرىا والكفر مقترا ، ثم أناخ على نابلس وناب حده غير ناب ، وطرف حده غير كاب ، وحد بأسه طرير . وناظر الدولة به قرير . وكان من قبل سلب ساكنوها من الفرنج والنصارى السكون . وأيقنوا أنهم ان اقاموا لايأمنون المنون ، فان المسلمين بها وباعمالها نهضوا اليهم في مواطنهم ، فأجفلوا من مساكنهم ، وانتقلوا من أماكنهم ، وخلوا دورهم وأخلوها ، وتسألوا منها وسلوها ، وتحول الاقوياء الى قلعتها ، وتحصنوا بتلعتها . ونازلها حسام الدين وحاصرها . وطال عليه حصرها وصابرها ، ولم يزل عليها مقيما . ولقاتلها مديما ، الى أن وثقوا بأمانه ، وعلقوا باحسانه . وسلموا وسلموا . واستأمنوا وأمنوا ، وخلصت له نابلس واعمالها . وحليت به احوالها . ولكون معظم اهلها وجميع سكان نواحيها مسلمين ، لم يسع الفرنج المتحصنين عند مضايقتهم الا ان يكونوا لحصنهم مسلمين ، فاندحى بالسعود رسم النحوس . ونزعنا عنها لبوس البوس ، واستبشرت وجوه اهلها بعد العبوس . وقام جاه الأذان وانكسر ناموس الناقوس .

### فتح القولة وغيرها

وكانت القولة احسن قلعة واحصنها . واملاها بالرجال والعدد واشحنها . وهي الداوية حصن حصين . ومكان مكين وركن ركين . وفيها مشتاها ومضيفهم . ومقراهم ومضيفهم . ومربط خيولهم . ومجر نيولهم . ومجرى سيولهم . ومجمع اخوانهم . ومشروع شيطانهم . وموضع صلبانهم . ومورد حمتهم . وموقد جمرتهم . فلما اتفق يوم المصاف خرجوا بأجمعهم الى مصرعهم . واثقين بأن الكدر لا يتمكن من صفو مشرعهم . فلما كسروا واسروا . وخسروا وتحسروا . خلت طلول القولة . بحدود

اهلها المفلولة . وماء داويتها المفلولة . ولم يجتمع شمل غموودها  
بالسيوف المسالولة . ولم يبق بها الا رعايا رعا . وغلمان  
واتباع . واشياع شعاع . فعدموا مكان حماية المكان . ووجدوا  
امنهم في الاسستثمان . فسللوا الحصن بمافيها الى  
السلطان . وكانت فيه اخاير الذخائر . ونفائس الاعلاق . فوثقوا  
بما احكموه من الميثاق . وخرجوا ناجين . وبخلوا في الزمام  
لاجين . وللسلامة راجين . وتسلم جميع ما كان في تلك الناحية من  
البلاد مثل دبورية وجينين وزرعين والطور والجبون . وبيسان  
والقيمون . وجميع ما لطبرية وعكا من الولايات . والزيب ومعليا  
والبعنة واسكندورنة ومذوات .

### فتح تبنين

ولما خلصت تلك الممالك والأعمال ، وقلصت من الضلال تلك  
الظلال ، وصفت الممالك ، ووفت المدارك ، أوعز السلطان الى ابن  
أخيه الملك المظفر عمرا بن شاهنشاه تقي الدين بقصد حصن  
تبنين ، وأن يتوكل على الله فيه ويستعين ، فالقى عليه جرار  
بأسه ، ولقي بالتذليل جرار ناسه ، وأخذ في مضايقته  
بأنفاسه ، ولح مالمع من قبس فتحه فشفت باقتباسه ، وسنح له  
قنصه فاشرب باقتناصه وافتراسه ، وكتب الى السلطان يبعثه على  
الوصول اليه بعسكره ، والنهوض نحوه بأبيضه وأسمره . فضرب  
الكوس ، وسمت الذفوس ، والنهوض في ظلام القتام من الترك  
والترائك الأقمار والشموس ، واشتعلت من شبيب البيارق في شعاع  
تلك البوارق الرؤوس ، وتحرك السواد كمهيل الذقا ، واشتبك على  
الأساد غيل القنا ، وسالت الاودية بالسباحات العتاق ، وطالت على  
السير أعناق الاعناق ، ومالت الى الرقاب الغلاظ من أهل الكفر  
رقاب الرقاق ، وجرت الفجاج ، وتموجت الأفواج ، وتفوجت  
الأمواج وتحركت غدران السوابخ ، من رياح السوابخ ، وتدركت  
ضوا من الضوا من بالأرفاد في ارداد الحق اللاحق ، وأسفر من بريق

البيض والبيض فلق الفيالق ، وترنمت الصواهل ، وترنحت الذوابل  
وساح الساحل ، وراح الراحل ، ووصلنا الى تبنين في ثلاث  
مراحل ، فرمينا أهل التذليل فيها بثلاثة الاثافي ، وأوطأناهم بشفاه  
الشفار على حدود الاشافي ، ونزلنا عليها بالنوازل ، وبسطنا من  
المجانيق عليها أيدي الغوائل ، فتبدلوا من الرعب ، وتجلدوا على  
الحرب ، ثم خاروا وشاروا ، وجأروا وجأروا ، ورغبوا  
ورهبوا ، وصحوا من سكر الجماع وأصبحو ، وعجزوا  
فجزعوا ، وفزهم الحصر وفزعوا ، وشكوا الندوب وندبوا فدانوا  
ودنوا ، وأذغذوا إذغذوا ، واعتذروا مما جذا ، ورأسوا  
السلطان ، وسألوا الأمان ، واستمهلوا خمسة ايام لينزلوا بأموالهم  
فأمهلوا ، وبذلوا رهائن من مقدميهم ووفوا بما بذلوا ، واقلع من  
بالقلعة عن الجهلة ، وتعلق لبت العلق بالمهلة ، وتقربوا باطلاق  
الاسارى المسلمين ، فخرج المأسورون مسرورين ، وأصبح الصحب  
المكسورين مجبورين ، محبوسين بالقرج بعد الشدة محبوسين ، وسر  
بهم السلطان وسر بهم ، وأقرهم وقربهم ، وكساهم  
وحباهم ، وآتاهم بعد ردهم الى مغانيهم غنائهم ، وهذا دأبه في كل  
بلد يفتحه وملك يربحه ، أنه يبدأ بالأسارى فيفك قيودها ، ويعيد  
بعد عدمها وجودها ، ويحيي بعد اليأس آمالها ، ويوسع أرزاقها  
بعدما أجال عليها ضيق الأسر آجالها ، فخلص تلك السنة من الأسر  
أكثر من عشرين ألف اسير للقيود الف ، ووقع في أسرنا من الكفار  
مائة الف ، ولما خلوا القلعة ، وأخلوا البقعة ، سيرهم ومعهم من  
العسكر المنصور ، من أوصلهم الى صور ، ورتب في الموضع مملوكه  
سنقر الدووي ، فأرشد به ذلك الصقع القوي ، فان أعمال جبل  
عاملة مجبولة على الشر ، وأهلها وان كانوا مسلمين كانوا أعوانا  
لأهل الكفر ، فوصى سنقر بتأنيديس النافر ، وتعكيس  
الكافر ، وتأليف الجافل ، وتعريف الجاهل ، وقال له تبني بتبنين  
ماهدم بالمنجنيق ، وتجد لسورها وخذقها كل مايمكن من التوثيق  
والتعميق ، ورحل ومعه رفيق التفويق ، وكان النزول على تبنين  
يوم الأحد حادي عشر جمادى الاولى وتسلمها يوم الأحد الثامن  
عشر منه .

## فتح صيدا

يوم الأربعاء الحادي والعشرين من جمادى الأولى يوم النزول عليها . وسنحت له صيدا فتصدى لصيدها ، وكانت همته في قيدها وبادرها اشفاقا من مكر العداة وكيدها ، وسرنا وسرنا مرتاح ، ونصرنا متاح ، والجد جديد والمزاح مزاح والعزم جزم ، والحكم حتم ، وذفحات الفتوح لما شق أهل الهدى تفوح ، وذفحات الردى لأعين العدى تلوح ، ونص النصر قد تنزل ، وقصد الصدق قد تعدل ، وفكر الكفر قد توزع ، وشرك الشرك قد تقطع وتقلع ، وظل الظفر ضاف ، وسر السرور غير خاف ، والقدر عون والمعين قادر ، والنظر سعيد والسعد ناظر ، وأوجهنا وأوجه البشائر باشر ، وقد جفت أجفانها البواتر الواطرة ، وجلت بياجير الذقع من لعمان الحديد السوافر الوافرة ، واتصلت للممالك من الملائك أمداد النصر المتواترة المتواترة ، ووصلنا في يومين الى صيذاء الى منهل فتحها صابن ، وعن حمى الحق دونها لأهل الباطل صابن ، ولما نزلنا من الوعر الى السهل سهل ماتوعر ، وصفا من الأمر ماظن أنه تكدر ، فصرنا الأعنة الى صرند ، وأسمننا في مسارحها الجند ، وهي مدينة لطيفة على الساحل ، موروبة المناهل ، ذات بساتين ، وأزهار ورياحين ، وأشجار النارج والأترنج ، تعرب مسراتها لجناتها عن أشجان القرنج ، فجسنا خللالها ، وكل قلب مشغول خللالها ، وراقتنا وشاقتنا تلك الحالة والحلية ، وقرتنا بما اشتهينا من فواكهها تلك القرية ، ولم نخرج عليها حتى خيمنا على صيدا وقد حصلنا على صيدها ، وخلصنا من كيدها ، وانطلقت هممنا من قيدها ، فقد جاءت رسل صاحبها بمفاتيحها ، وانهبنا ظلماتها من العزائم الغر بمصاييحها وطلعت الراية الصفراء باليد البيضاء على سورها ، وجلت غياهب تلك المذاهب بذوارها ، وفتحت أبوابها ، وأنجحت آرابها ، وعادت معالمها

مأهولة ، بعد أن كانت مقفرة مجهولة ، وصدق منبرها ، وصدق  
مفخرها ، وربح متجرها ، ووضح منظرها ، وأقيمت بها الجمعة  
والجماعة ، واستديمت بها بعد العصيان لله الطاعة ،

### فتح بيروت

وكان النزول عليها يوم الخميس ثاني  
عشري جمادي الأول وتسلمها يوم الخميس  
التاسع والعشرين منه

ولما فرغ من شغل صيداء وتبين ، وجمع لهما التحصين  
والتدسين ، قال لعصمة الله شبيدي مابصيدا وتبين  
تبين ، والحفيهما رداء الحماية فما يضيع ماتحفظين ، ولايطرق  
ماتحمين ، ثم صرف عنانه ، وارهف سنانه ، ورحل على سمت  
بيروت ، مالئا بعسكره الآكام والمروت ، وسار على الساحل ، بتلك  
الجحافل ، يجر على البحر مائج ، ومجر مجرالى الهياج  
هائج ، ونقد من عقد الجد رائج ، وعزم على صدق القصد  
عائج ، ووصل اليها ونزل عليها ، وبنيت القباب ، وطفا على  
خضم المعسكر من الخيم الحباب ، وزحف الى الأعداء  
الاخباب ، وضويق البلد ، وفورق الجلد ، وأحاط الرجال  
بأرجائه ، ورجمت بشهب النصال شياطين الضلال في  
سمائه ، وانقضت نجوم السهام من أبراجه ، وتلاطم عباب ذلك  
الجمع الجم بأفواج أفواجه ، وترجل دونه الناس ، وتعجل نحوه  
الباس ، واصططقت التراس ، واشتد المراس ، واحتد  
القتال ، واحتدم النزال ، وامتد المصاع والمصال ، واتصل خروج  
الجروح للجروح ، ودام احتراق الروح على اقتراح القروح ، وامت  
الجفاتي ، كأنها أعناق البخاتي ، وأتى العاتي وعتا الآتي ، وأحمد  
النصر المواتي المواتي ، ودارت كؤوس المنايا للأرواح بخذي

وهاتي ، وطارت القوارير ، وثارت المساعير ، واشتعل  
الذفت ، واشتغل الرهط ، والتهم الزارق والتهب الحراق ، ومرق  
الشهم الكمي ، مروق السهم من الرمي ، وأتي الوادي فطم على  
القرى ، ودبت الدبابة بليوث الرجال ، وصبت الصبابة غيوث  
النبال ، وارتجزت رواعد الأبطال ، وأنجـزت مـواعـد  
الآجال ، وجالت في الضمائر ضوامر الأوجال ، وهالت بالذوازل  
نوازي الأهـوال ، ورعدت بـوارق البـوار ، واسـعدت  
الاقدار ، بالأقدار ، وشغلت الرقاب ، قواضي القواضب ، وحملت  
الذواكب على المناكب ، وخفت للأثقال اكتاف الفتاك ، وهتكت  
ستائر السـور فـوهت أشراك الأشرار ، ودام  
القتال أياما ، يتضاعف اصطلاء واصطلاما ، ويتظاهر اضطرابا  
واضطرابا ، وبنات الحنايا هائجة ، وأمات المنايا ناتجة ، ورجمت  
بشهب الذفـاطات شياطين الداوية المردة ، وتعاتت الاسود  
العادية ، على أولئك القرية ، حتى خرق الخندق وطرق ، وعلق  
الذقاب بالسور فنقب وعلق ، وكاد النقب يتسع ، والبرج  
يقع ، والجدار ينقض ، والحجار بالحجار تنفض وترفض ، وسوار  
السور ينكسر ، وقناع الذقع لا ينحسر ، وخرج من البلد رجال ، الى  
الموت عجال ، وقفوا دون الباشورة مباشرين ، ولمعشر أصحابنا  
بمعاطاة كؤوس المذون معاشرين ، فتلاقوا بسلام السلام ، وكلام  
الكلام ، وتصافحوا بالصفائح ، وتجاروا بالجرائح ، وتواصلوا  
بالقواطع ، وتعانقوا بالمقامع ، وتصارعوا على المصارع ، وتجلدوا  
وتجالدوا وتواقحوا وتواقعوا وتعاقروا وتقارعوا ، والبيض  
يقد ، والبيض تقد ، والباسل يرد ، والباس يرد ، والصقيل  
الصادي يصدأ بالدم ويروي ، وحزب الكفر يضعف وحزب الاسلام  
يقوى ، ثم انحصروا في البلد ، وانحشروا على الدد ، وضافهم  
الرعب ، وضاق بهم الرحب ، وذلوا وخاروا ، وضلوا  
وحاروا ، ولما خام المقاتلة وخذلوا ، ظن أهل بيروت ان المسلمين  
دخلوا ، فأجفلوا الى البحر اذ عدموا سكينتهم ، ليركبوا  
سفينتهم ، ويخلوا مدينتهم ، فخرج أحد المقدمين يستدعي  
الامان ، ويستعدي الايمان ، ويطلب مثالا يعصمهم ، وذماما

يحرّمهم ، وعهدا يسلمون به ويسلمهم ، وعقدا في عقد الأمن  
ينظمهم ، وكنت يومئذ في مرض قد أزعجني وأعجزني ، ومضض  
أجفاني ولعيون العواد أبرزني ، واندقطعت عن الحضور عند  
السلطان وضعفت عن تحرير كتاب الأمان ، فطلب السلطان كل  
كاتب في بيواني ، وكل من يمسك قلماً من أفاضل الملك  
وأعيانه ، فلم يرضه ما كتبوه ، ولم يكفه ما رتبوه فجاءني في تلك  
الحالة من استملاء مني ومرضت أذهان الأصحاء ولم يمرض  
نهنّي ، فتسلم بيروت بخطي وأصبحوا وأنا الآخذ والمعطي ، وكان  
الناس قد اندسوا بما أسطره وأزبره ، وأنسوا سوى ما أذكره  
وأحبره ، وألفوا الصحة فيه فألفوه ، ولقوا السقم في غيره  
فأنفوه ، فلم يكن في ذلك التوقيع تعويق ، بل كله بتوفيق من الله  
توثيق ، فما فتح إلا بمفتاحه ، ولارتق فتق إلا باصلاحه ، ولاجلي  
ظلام إلا باصباحه ، ولاوري زند إلا باقتداحه ، وكانت يومئذ جمره  
الحر متوهجة ، ووقدة القيط متأججة ، وضررم مرضي  
ملتهب ، وروح روحي منتهبا ، وبقيت مضطربا ، ولقيت من ذلك  
الوصب نصيبا \* وحصلت من الإقامة أو السفر على الخطر أو  
الحذر ، وتعذر المقام لعذر السقام ، واشتغلت عن الآء شغلي بالآلام  
وحملني اختلالي بنصبي ، على اخلالي بمنصبي ، وعزت علي  
مفارقة السلطان ، وهو باعزازي على مواصلة الاحسان ، فمضيت  
على مضض وانصرفت بمضرة ومرض ، وحملت الى دمشق في  
محفة ، وحصلت بفضل الله من طيب هوائها بعد  
الثقل ، بخفة ، فتفضل الله بالشفاء ، وبذل الكدر بالصفاء ، وعدت  
الى السلطان يوم فتح القدس ، وانتهت الودشة الى  
الأنس ، وتسلم السلطان بيروت يوم الخميس التاسع والعشرين من  
جمادى الاولى مطاع الامر ، مذاع السر في تضوع الذشر \* وتوضع  
البشر ، مستفيض الزيادة ، ناجح الارادة ، راجح العبادة ، راجح  
المتجر ، واضح المدخر ، قد شب غرب الهدى ، وجب غارب العدى  
واستجدي من من الله منحا ، واستجد باستفتاحه فتحا ، واستفاد  
ملكا ، واستزاد ملكا ، وبرر بيروت ان برت ، وحفلت له اخلاف

الفتوحات قدرت • واستمرى صوب من عزائميه وصرائمه  
فاستمرت .

## فتح جبيل

### يوم الثلاثاء سابع عشرين جمادى الاولى

ووصل كتاب الصفي ابن القابض . وهو يومئذ قد فوضت منه  
دمشق الى الكافي الناهض . يتضمن ان اوك صاحب جبيل أسر اليه  
في أسره . واستشاره في أمره . وقال له ان قنع مني بتسليم جبيل  
سلمت وسلمت . وابحتها لكم وتحرمتم . واخرجتها من عصمتي  
وخرجت واعتصمت . فأنا اطلقها ان اطلقت . وأزيلها من وثاقي  
اذا وثقت . فأجيب باحترازه من كيد . واحضاره في  
قيده . فأحضر في صفده وسامح ببليه . فخلص ناجيا وملص  
راجيا . وملك مدينة جبيل وجرت عليها الفتوح النيل . ونحن  
يومئذ على بيروت حاضرون حاضرون . ولاعداء الله مصابرون  
مكابرون . وكان معظم أهل صيدا وبيروت وجبيل  
مسلمين . مساكين لمساكنة الفرنج مستسلمين . فذاقوا العزة بعد  
الذلة وفاقوا الكثرة بعد القلة . وصدقت البشائر . وصبحت  
المنابر . وترنمت المحاريب . وترنحت المطاريب . وتليت  
الآيات . وجلت الغيايات . وخربت الكنائس . وعمرت المدارس  
وظهر غيب البيع . وشهر جمع اجمع . وقرىء القرآن . واستشاط  
الشیطان . ونطقست الأعواد . وحقت الأعياد . وخرست  
النواقيس . وبطلت الذواميس . ورفع المسلمون رؤوسهم وعرفوا  
نفوسهم . وانتعشوا من شكاة عثارهم . وانتفشوا من شوكة  
عارهم . وقروا في بيارهم . وقروا ابصار بأنصارهم . وكان كل  
من استأن من الكفار . يمضي الى صبور محمي الذمار . وصارت

صور عش غشهم . ووكر مكرهم . وملجأ طريدهم . ومنجأ  
شريدهم . ومأمن خاشيهم . ومكمن عاشيهم . وهي التي فر  
القومص اليها يوم كسرتهم . بل يوم حسرتهم .

### ذكر هلاك القومص وبخول المركيس الى صور

ولما عرف القومص قرب السلطان منها اخلاها وخلهاها . وأوى  
الى طرابلس وتوآى . فما متع بما ملك . وكان مما قيل :

راح يبغي نجوة من هلاك فهاك

فما انجاه الفرار من القضاء . وفر من البلاء الى بلاده فوقع في  
البلاء . وظن ان صور خلّت . وان مجانيها حلت . وان جماحها  
اذعن . وان كفاحها امكن . وان فرصتها انتهزت . وان حصتها  
احرزت . وان قيادها اطاع . وان مرتادها استطاع لكنها تعوضت  
عن القومص بالمركيس . كما يتعوض عن الشيطان بابليس . فادرك  
نماء الكفر بعدما اشفى . وايقظ روع الروع بعدما اغفى . وضبط  
صور بمن فيها . من مهزموي الفرنج وبمنفييها . وكان المركيس من  
اكبر طواغيت الكفر واغوى شياطينه . وأضرى سراحينه . وأخبث  
ذنابه . وانجس كلابه . وأنهش ضلاله . وافدش ضلاله . وأعوى  
اعوانه . وأخون اخوانه . وأبغى بغاته . وأجفى جفاته . وأرعى  
حماته . وأحمى رعاته . وشر شراره . وأنكر نكاره . وافجر  
فجاره . وأروغ ثعالبه . وألسب عقاربه . وأخذ  
معاهديه . وأذكت معاقبيه . وهو الطاغية الداهية . الذي خلقت له  
ولأمثاله الهاوية . ولم يكن وصل الى بلاد الساحل قبل هذا  
العام . ولا خلف مقدمي الكفر غيره في الاقدام على خلاف  
الاسلام . واتفق وصوله الى ميناء عكا وهو بفتحها جاهل . وعمن  
فيها من المسلمين ناهل . فعزم على ارساء الشيني بالمينا . ثم

الموثقة ويبرمه . ويجمع المفرق وينظمه . وسنذكر ما تجدد منه في أوقاته . وما فات من فرصه الامكان في دفع آفاته .

## ذكر فتح عسقلان وغزة والداروم والمعازل التي يأتي ذكرها

وكان النزول على عسقلان يوم الاحد السادس عشر من جمادى الآخرة. ولما فرغ السلطان من فتح بيروت وجبيل . ثنى عنانه يجر ويجري من العسكر والعثير على السماء والارض النيل والسييل . وعاد عابرا على صيدا وصرفند . وقد اورى فيهما باقتداح اقتراحه الزند . وجاء الى صور ناظرا اليها وعابرا عليها . غير مكترث بأمرها . ولا متحدث في حصرها . ولا معتقد في تعقدها . ولا متند في تدويرها . وعلم ايضا انها ممتنعة . وعن سومها مرتفعة . فعمل بالحزم وعمد الى العزم . ودلته الفراسة على ان محاولتها تصعب . ومزاولتها تتعب . وليس بالساحل بلد منها أحصن . فعطف الأعنة الى ما هو منها أهون . وكان قد استحضر ملك الفرنج ومقدم الداوية . وشرط معهما واستوثق منهما انه يطلقهما من الاسر والبلية . متى تمكن باعانتها من البلاد البقية . وعبر والعيون صور الى صور . والمركيس ما شك انه بها محصور محصور . فلما أرخى من وثاقه . واتسع ضيق خناقه . حلق في مطار اوطاره . وحرك لغواته أوتار أوتاره . واجتمع السلطان بأخيه الملك العادل . واتفقا على طي المراحل ونشر القساطل . وحل معاقد المعازل . وسل قواصم القواصل . ونزل عسقلان . وشييدها قد لان . وقد آتاها الله الخذلان . فتجلد من بها على الحصار . وتخوفت أسودها الخادرة من الاصهار . وتربصوا وتصبروا . وتقرسوا وتستروا . وحاصروا وصاحوا . وحانوا ونادوا . وابلسوا واسبلوا . واعولوا مما عليه عولوا . وشبوا وشابوا . وخبوا وخابوا . لكنهم استقبلوا الموت

الموثقة ويبرمه . ويجمع المفرق وينظمه . وسنذكر ما تجدد منه في أوقاته . وما فات من فرصه الامكان في دفع آفاته .

## ذكر فتح عسقلان وغزة والداروم والمعازل التي يأتي ذكرها

وكان النزول على عسقلان يوم الاحد السادس عشر من جمادى الآخرة . ولما فرغ السلطان من فتح بيروت وجبيل . ثنى عنانه يجر ويجري من العسكر والعثير على السماء والأرض النيل والسيل . وعاد عابرا على صيدا وصرفند . وقد أوى فيهما باقتداح اقتراحه الزند . وجاء الى صور ناظرا اليها وعابرا عليها . غير مكترث بأمرها . ولا متحدث في حصرها . ولا معتقد في تعقدها . ولا متند في تدويرها . وعلم ايضا انها ممتنعة . وعن سؤمها مرتفعة . فعمل بالحزم وعمد الى العزم . ودلته الفراسة على ان محاولتها تصعب . ومزاولتها تتعب . وليس بالساحل بلد منها أحسن . فعطف الأعنة الى ما هو منها أهون . وكان قد استحضر ملك الفرنج ومقدم الداوية . وشرط معهما واستوثق منهما انه يطلقهما من الاسر والبلىة . متى تمكن باعانتها من البلاد البقية . وعبر والعيون صور الى صور . والمركيس ما شك انه بها محصور محصور . فلما أرخى من وثاقه . واتسع ضيق خناقه . حلق في مطار اوطاره . وحرك لغواته أوتار أوتاره . واجتمع السلطان بأخيه الملك العادل . واتفقا على طي المراحل ونشر القساطل . وحل معاقد المعازل . وسل قواصم القواصل . ونزل عسقلان . وشييدها قد لان . وقد آتاها الله الخذلان . فتجلد من بها على الحصار . وتخوفت أسودها الخادرة من الاصهار . وتربصوا وتصبروا . وتترسوا وتستروا . وحاصروا وصاحوا . وحاذوا وناحوا . وابلسوا واسبلوا . واعولوا مما عليه عولوا . وشبوا وشابوا . وخبوا وخابوا . لكنهم استقبلوا الموت

واستقفلوا . وتعقدوا على الفتح وماتحالفوا . واحزنوا في الالباء وما  
اسهلوا . وجهدوا وجهلوا . فأقام السلطان عليها مجانيق مجت  
نيقها . وفرجت بالحجار طريقها . ورجت بالتفريق  
فريقها . ووسعت بالتضييق ضيقها . وأضعفت بالتوثيق  
وثوقها . وجمع شمل الحجارة ب ( النار التي وقودها الناس  
والحجارة ) ( البقرة ٢٤ ) ولفحتهم نيرانها وتوالت عليهم بعد  
الشرارة . وخربت منهم العمارة . ووجبت بالجسارة منا لهم  
الخرارة . وتهدمت الصخور بالصخور . ولزم عيث بـورهم  
بالثبور . وجسر النقاب فحسر النقاب . وباشر الباشورة فرفع  
الحجاب . واشتد القتال . واحتد المصال . وراسلهم عند ذلك الملك  
المأسور . وقال قد بان عذركم حين نقب السور . وجرت  
حالات . وتكررت حوالات . وترددت رسالات . وقال لهم الملك  
الاسير . لا تخالفوا ما به اشير . واطيعوني ما  
استطعتم . واسمعوا مني اذا سمعتم . واحفظوا رأسي فهو رأس  
مالككم . وحلية حالكم . ولا تخطروا غيري ببالكم . فاني اذا  
تخلصت خلصت . واذا استنفذت استنفذت . وخرج . مقدمون  
وشاوروا الملك . ونهجو في التسليم نهجا سلك . وسلموا عسقلان  
على خروجهم بأموالهم سالمين . واستوفوا بذلك الميثاق  
واليمين . وذلك يوم السبت لانسلاخ جمادى الآخرة . وتلالت  
السعود في أوجها بالأوجه السافرة . وممن استشهد على عسقلان  
من الامراء الكبراء ابراهيم بن حسين المهراني وهو اول امير افتتح  
بالشهامة . واختتم بالسعاية . وكان السلطان قد أخذ في طريقه  
اليها الرملة . ويبنى . وبيت لحم . والخليل . واقام بها حتى تسلم  
حصون الداوية : غزة . والنطرون . وبيت جبريل . وكان قد استصحب  
معه مقدم الداوية وشرط معه انه متى سلم معاقلهم اطلقه . فسلم  
هذه المواضع الوثيقة لما أخذ موثقته . واجتمع بالسلطان ولده  
صاحب مصر الملك العزيز عثمان . على عسقلان . بشارة  
وبشارة . وراية وآية . وهيأة وهيبة . وثرة وثروه . وهزة وعده .  
وجدة وجده . وشد وشدة . وحد وحدة . وضوغة . وروعه . ونخوه .  
وسطوه . وصوت وصيت . ومصاعيب ومصاليت . ومساعير .

ومغاوير . ودهم . وذهم . وشهب وكمت وصلاب وصلاد . وانجاب  
وانجاد . وجلب ولجب \* وبيض ويلب . وبيض وسود واساود  
وسود . وجرد . ومرد . وكهول . وفحول . ورقاق . وعقاق .  
وقود . واطلاب وابطال . وفوارس . ورجال . وخفاف  
وئقال . وعراب واعاريب . وسراحين وسراحيب . وحدلا يكل .  
وجد لا يمل . وجمر يتقى . وجمع لا يلتقي . ومعه رماة الاحداق  
كمأة الاتراك . وهداة التوحيد عادة الاشراك . فقررت عينه  
بولده . واعتضد بعضده . ووضع يده بتأييد الله . في يده . وكان قد  
استدعى الاساطيل المنصورة فواقت كالفتخ الكواسر . بالفلك  
المواخر . وجاءت كأنها امواج تلاطم امواج . وافواجا تزامم  
افواجا . تدب على البحر عقاربها . وتخب كقطع الليل  
سحائبها . وتجر بالذواجل ذوائبها . وتزامم مناكب الاطواد  
مناكبها . والحاجب لؤلؤ مقدمها ومقدمها \* وضرغام غابها  
وهمامها \* فطفق يكسر ويكسب ويسل ويسلب . ويقطع الطريق  
على سدف العدو ومراكبه . ويقف له في جزائر البحر على  
مذاهبه . وسيأتي ذكر ذلك في موضعه . ويظهر في وقائعه حسن  
موقعه .

### فتح بيت الله المقدس

ثم رحل من عسقلان للقدس طالبا . وبالعزم غالبا . والنصر  
مصاحبا ولنيل العز ساحبا . قد اصحب ريش مناه . واخصب  
روض غناه . واصبح رائج الرجاء . أرج الأرجاء سيب العرف .  
طيب العرف . ظاهر اليد . قاهر الايد . سني عسكره قد فاض  
بالفضاء فضاء . وملا الملا فافاض الآلاء . وقد بسط عتير فيلقه  
ملائته على الفلق . وكأئما اعاد العجاج وأد الضحى جنح  
الغسق . فالأرض شاكية من اجحاف الجحافل \* والسماء حافظة  
بأقساط القساطل \* وسار سارا بالاحوال الحوالي . مروية

احاديث فتوحه العوالي من العوالي . مطوية مدارج مناجحة على  
ماتذشره الآمال من الامالي . وقد حلت وعلت من مفارس النصر  
ومطالعة المجاني والمجالي . والاسلام يضطرب من القدس  
عروسا . ويبذلها في المهر نفوسا ويحمل اليها نعي ليحمل عنها  
بوسي . ويهدي بشرا .

ليذهب عبوسا . ويسمع صرخة الصخرة المستدعية المستعنية  
لاعدائها على اعدائها . واجابة دعائها . وتلبية ندائها . واطلاع  
زهر المصابيح في سمائها . واعادة الايمان الفريب منها الى  
وطنه . ورده الى سكونه وسكنه . واقصاء النين اقصاصهم الله  
يلعننه من الاقصى . وجذب قياد فتحه الذي استعصى . واسكات  
الناقوس منه بانطلاق الاذان . وكف كفا الكفر عنه بايمان  
الايمان . وتطهيره من نجاس تلك الاجناس . واناس اننى  
الناس . وافحام الافهام باخراس الاجراس . وطار الخبر الى  
القدس فطارت قلوب من به رعبا وطاشت . وخففت افئدتهم خوفا  
من جيش الاسلام وجاشت . وتمنت الفرنج لما شاعت الاخبار انها  
ما عاشت . وكان به من مقدمي الافرنج باليان بن بارزان والبطرك  
الاعظم . ومن كلا الطائفتين الاسبتارية والداوية المقدم . فاشتغل  
بال باليان . واشتغل بالنيران . وخدمت نار بطر البطرك . وضاعت  
بالقوم منازلهم فكان كل دار منها شرك للمشرك . وقاموا بالتدبير في  
مقام الادبار . وتقسمت افكار الكفار . وايس الفرنج من  
الفرج . واجمعوا على بذل المهج .

### ذكر كنيسة قمامة

وقالوا ههنا نطرح الرؤوس . ونسبك النفوس . ونسفك  
الدماء . ونهلك الدهماء . ونصبر على اقتراح القروح واجتراح  
الجروح . ونسمح بالارواح شحا بمحل الروح . فهذه قمامتنا فيها  
مقامتنا • ومنها قيامتنا • وتصيح همامتنا • وتصيح

ندامتنا . وتسبح علامتنا . وتسبح عماقتنا . وبها غرامنا . وعليها  
غرامتنا . وبأكرامها كرامتنا . وبسلامتها سلامتنا . وباستقامتها  
استقامتنا . وفي استدامتها استدامتنا . وإن تخلينا عنها لزمنا  
لامتنا . ووجب ملامتنا . ففيها المصلب والمطلب . والمذبح  
والمقرب . والمجمع والمعبد . والمهبط والمصعد . والمرقي  
والمرقب . والمشب والمصب . والممويه والمذهب . والمطلع  
والمقطع . والمربى والمربع . والمرخم والمخرم . والمحال  
والمحرم . والصور والاشكال . والانظار والامثال . والآساد  
والاشبال . والاشباه والاشباح . والاعمدة والالواح . والاجسام  
والارواح . وفيها صور الحواريين في حوارهم . والاحبار في  
احبارهم . والرهبايين في صوامعهم . والاقساء في  
مجامعهم . والسحرة وحبالها . والكهنة وخیالها . ومثال السيدة  
والسيد . والهيكل والمولد . والمائدة والحوت . والمنعوت  
والمندوت . والتلميذ والمعلم . والمهد والصبي المتكلم . وصورة  
الكبش والحمار . والجنة والنار . والنواقيس . والنواميس . قالوا:  
وفيها صلب المسيح . وقرب الذبيح . وتجسد اللاهوت . وتآله  
الناسوت . واستقام التركيب . وقام الصليب . ونزل النور . وزال  
الليجور . وازدوجت الطبيعة بالاقنوم . وامتزج الوجود  
بالمعدوم . وعمدت معمودية المعبود . ومخضت البتول  
بالمولود . وأضافوا الى متعبدتهم من هذه الضلالات . ما ضلوا فيه  
بالشبه عن نهج الدلالات . وقالوا دون مقبرة ربنا نموت . وعلى  
خوف فوتها منا نفوت . وعننا ندافع . وعليها نذارع . وما لنا لا  
نقاتل . وكيف لاننازع ولا ننازل . ولاي معنى نتركهم حتى يأخذوا .  
وندعهم حتى يستخلصوا ما استخلصناه منهم ويستنقذوا . وتأهبوا  
وتباهوا . وما انتهوا بل قناهوا . ونصبوا المجانيق امام الاسواء  
على الاسوار . وسبوا بسظلمات السبائير وجسده  
الانوار . واستشاطت شياطينهم . وسرحت سراحينهم وطففت  
طواغيتهم . وأصلت مصاليتهم . ونشرت طواميرهم . وتسعرت  
مسايرهم . وهاج هائجهم . وماج مائجهم . ودعت  
دواعيهم . وعدت عواينهم . وسعت افاعيهم . وحضتهم

قوسوسهم . وحرضتهم رؤوسهم . وحركتهم نفوسهم . وجاءتهم  
بجوى السوء جواسيسهم . واخبرتهم باقبال العساكر الناصرية  
منصورة الجنود . منذورة البذود . موصولة القواطع بالاشاجع  
مهجورة الغمود . مشهورة القواضب . مشهورة الكتائب . مقبولة  
الضوامر الى نار العدى . موقدة الضمائر بنار الهدى . مشدودة  
العزائم . مجذونة الصلادم . مسئولة الظببا . مطلولة  
الربا . مجذوبة أجنة اغمادها . مسذونة اسنة صعادها . مطاوعة  
اعنة جيادها . محقة مظنة طرادها . قد سالت الوهاد  
باكامها . وجالت الاعلام في اعلامها . وسدت الفجاج  
امواجها . وحجبت الغزالة عقبانها . والهبت الذبالة  
خرسانها . وجرت بالجبال رياحها . وجرت كالحبال رماحها  
واشتمل على الضراغم غيلها . واقبل بالعظائم قبيلها . ووافى كل  
واف بعهد ربه . كاف لكف خطبه . شاف لهم قلبه . ضاف بفيض  
شربه . خاف في لبوسه . باسل بيباسه . عاسل بأمراسه . ناسل  
بنت الغمد من جفنه . غاسل نبت الحد بدم قرنه . واصل بيض الهند  
بسواعه . فاصل خطاب الخطوب ببوارقه ورواعه حاد بجهه . جاد  
بحده . وكل شاب لنار الحرب شاب . ورب بين لبين الرب  
راب . وكل جيش كالبحر عباب . وكل سال ذي نباب عن الهدى  
ذاب . وكل قائل بالآخرة للحياة الدنيا قال . سائل من الله الشهادة  
عن حب البقاء سال . مائل في سبيل الله الى انفاق مال . واقبل  
السلطان باقبال سلطانه . وابطل شجعانه . واقبال أولاده  
واخوانه . واشبال مماليكه وغلمانه . وكرام امرائه . وعظام  
أوليائه . في مقانب بالمناقب مقنبيه . وكتائب بالموالك  
مكتبة . وذوابل بالكواكب منصله . وجحافل بمضاء المضارب  
محفله . وألوية صفير للأواء بني الأصفر . وبيض وسمر تزررق  
العدا من الموت الأحمر . وقباب وقبائل . وقنا وقنابل . وصوافن  
صواهل . وعوامل وعواسل . وفوارس فوارس . وكل من يبذل  
للشع بينه النفوس والنقائس . وأصبح يسأل عن الاقصى وطريقه  
الادنى . وفريقه الاسنى . يذكر مايفتح الله عليه بحسن فتحه من  
الحسنى .

## وصف البيت المقدس

وقال ان اسعدنا من الله على اخراج اعدائه من بيته المقدس فما اسعدنا . وأي يد له عندنا اذا ايننا . فانه مكث في يد الكفر احدي وتسعين سنة . لم يتقبل الله فيه من عابد حسنه . ودامت همم الملوك دونه متوسنة . وخلت القرون عنه متخلية . وحلت الفرنج به متولية . فما ابخر الله فضيلة فتحه . الا لآل ايوب . ليجمع لهم بالقبول القلوب . وخص به عصر الامام الناصر لدين الله ليفضله به على الاعصار . ولتفخر به مصر وعسكرها على سائر الامصار . وكيف لا يهتم بافتتاح البيت المقدس الاقوى . والمسجد الاقصى المؤسس على التقوى . وهو مقام الانبياء . وموقف الاولياء . ومعبد الاتقياء ومزار ابدال الأرض وملائكة السماء . ومنه المحشر والمذشر . ويتوافد اليه من اولياء الله بعد المعشر . وفيه الصخرة التي صينت جنة ابهاجها من الانهاج . ومنها منهاج المعراج . ولها القبة السماء التي على رأسها كالتاج . وفيه ومض البارق ومضى البراق وأضاءت ليلة الاسراء بحلول السراج المنير فيه الآفاق . ومن ابوابه باب الرحمة الذي يستوجب داخله الى الجنة بالدخول الخلود . وفيه كرسي سليمان ومحراب داود . وله عين سلوان التي تمثل لوازيها من الكوثر الحوض المورود . وهو اول القبلتين . وثاني البيتين . وثالث الحرمين . وهو احد المساجد الثلاثة التي جاء في الخبر النبوي انها تشد اليها الرحال . ويعقد الرجاء بها الرجال . ولعل الله يعيده بنا الى احسن صوره . كما شرفه بذكره مع اشرف خلقه في أول سورة . وقال عز من قائل : «سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى» . وله فضائل ومناقب لا تحصى . واليه ومنه كان الاسراء . ولأرضه فتحت السماء . وعنه تؤثر انباء الانبياء وآلاء الاولياء . ومشاهد الشهداء . وكرامات الكرماء . وعلامات العلماء . وفيه مبارك المبار . ومسارح المسار . وصخرته الطولى . القبلة الاولى . ومنها

تعالت القدم النبوية . وتوالت البركة العلوية . وعندها صلى نبينا  
صلى الله عليه وسلم بالذبييين . وصحب الروح الامين . وصعد منها  
الى اعلى عليين . وفيه محراب مريم عليها السلام الذي قال الله  
فيه : « كلما دخل عليها زكريا . ونهاره التعبد واليله  
المحيا . وهو الذي اسسه داود واوصى ببناؤه سليمان . ولاجل  
اجلاله انزل الله « سبحان » . وهو الذي افتتحه الفاروق وافتتحت به  
سورة من الفرقان . فما اجله واعظمه . واشرفه وافخمه . واعلاه  
واجلاه . واسماه واسناه . وايمن بركاته وابرك ميامنه . واحسن  
حالاته واحلى محاسنه . وازين مباهجه وابهج مزايينه . وقد اظهر  
الله طوله وطوله . بقوله : « الذي باركنا حوله » . وكم فيه من الآيات  
التي اراها الله نبيه . وجعل مسموعنا من فضائله مرئية . ووصف  
السلطان من خصائصه ومزاياه . ما وثق على استعانة الآله  
مواثيقه والاياه . واقسم لا يبرح حتى يبر قسمه . ويرفع بأعلاه  
علمه . وتخطو الى زيارة موضع القدم النبوية قدمه . ويصغي الى  
صرخة الصخرة . ويبغي بالبشرى بشر اسرة الاسرة . وسار واثقا  
بكمال النصره وزوال العسرة . وحسر الفرنج قناع العسرة . ونزل  
على غربي القدس يوم الأحد خامس عشر رجب . وقلب الكفر قد  
وجب . وحزب الشرك قد شارف الشجى والشجب . والقدر قد  
اظهر العجب . وكان في القدس حينئذ من الفرنج سـتـون الف  
مقاتل . من سائف ونابل . وبطل للباطل . وعاس عاسل  
بالعاسل . قد وقفوا دون البلد يبارزون ويحاجزون . ويعاجزون  
ويناجزون . ويرمون ويدمون . ويحمونه ويحمون . ويحتدون  
ويحتدمون ويضطربون ويضطرمون . ويذودون ويذبون . ويشببون  
ويسبون . ويصرخون ويحرضون . ويلهثون ويتغوثن . ويلوذون  
ويلوبون . ويجولون ويجوبون . ويقدمون ويحجمون . ويتململون  
ويألمون . ويتعاونون . ويتضاعفون ويحترقون للبلايا . ويقترحون  
المنايا . وقاتلوا اشد قتال . وناضلوا أحد نضال . ونازلوا اجد  
نزال . وطافوا بصحاف الصفا . لارواء الظبا الظماء من ماء  
الارواح . وجالوا بالأوجال . واجالوا قداح الأجال . وصالوا لقطع

الأوصال . والتهموا . والتهبوا . وتأشبهوا ونشبهوا . واستهدفوا  
للسهام . واستوقفوا الحمام . وقالوا كل واحد منا بعشرين . وكل  
عشرين بمئتين . ودون القمامة تقوم القيامة . ولحب سلامتها تقل  
السلامة . ودامت الحرب . واستمر الطعن والضرب . فانتقل  
السلطان يوم الجمعة العشرين من رجب الى الجانب الشمالي وخيم  
هناك . وضيق على الفرنج المسالك . ووسع عليهم المهالك ونصب  
المجانيق . ومري من أفاتها الافاويق . واصرخ الصخرة  
بالصخور . وحشر حشر السوء منهم وراء السور . فما عادوا  
يخرجون من السور الرؤوس . الا ويلقون البوس . واليوم  
العبوس . ويلقون على الردى الذفوس . فلداوية دوي . ولبارونية  
من البوار في الهاوية هوى . وللاسبتار تبار . وما للفريرية من  
الموت فرار . وما بين الحجار المحلقة وبين المرمى اليهم  
حجاب . وفي كل قلب من الفتتين من نار حرصه التهاب . اذا لوجوه  
لقبل النصال مكشوفة . والقلوب للوجد بالقتال ملهوفة . والايدي  
على قوائم السيوف المفتوحة مضمومة . والذفوس لاستبطاء الهمم  
في الاهتمام مهمومة . وقواعد السور ونواجز شراريفه بالاحجار  
الخارجة من الكفات مهدومة مهتومة . فكائن المجانيق مجانين  
يرامون . ومناجيد لا يرامون . وجبال تجذبها حبال . ورجال  
تنجدها رجال . وأمات الدواهي والمنايا . وحوامل تلد البلايا . لا  
حجر عليها في حجر . ولا أمن عندها من حذر . ولا تخطر سهامها  
الا بالخطر . ولا خطر مرورها الا مرارات ذوي الفطر . فكم نجم  
من سمائها ينقض . وصخر من أرضها يرفض . وجمر من شرارها  
ينفض . وما شيء كآفات كفاتها . وآيات نكاياتها . وركات  
ادراكاتها . ولفقات فلتاتها وجذبات عذباتها . فما زالت تقلع  
بمقالعها . وتقرع بمقارعها وتمتج بأشطانها . وتمرح في  
ارسانها . وتصدم . وتهدم . وتصرع . وتصعد . وتنهز  
بدلائها . وتجهز ببلائها . وتحل تركيب الجلاميد بأفراد  
جلاميدها . وتفل شمل المباني بتفريقها وتببيدها وتقوض القواعد  
بضربها من اساه . وتدنقض المعاهد بجذبها في أمراسها . وتشفه

الموارد بشرها من كأسها . حتى تركت السور سورا . وجعلت  
الذاب عنه محسورا . وعاد العدو من نظمه المبدور مبدورا . وخرق  
الخندق وحفر الزحف . وظهر للاسلام الفتحة والكفر الحذف . واخذ  
النقب . وسهل الصعب . وبذل المجهود . وحصل المقصود . وكمل  
المراد . وكلم المراد . وثغر الثغر . وأمر الأمر . وأربى  
الأرب . واستتب السبب وخاف القوم الوقم . واستعاضوا من  
الصحة السقم . واسلم البلد وقطع زنا خندقه . وبرز ابن بارزان  
ليأمن من السلطان بموثق . وطلب الامان لقومه . وتمنع السلطان  
وتسامى في سومه . وقال لا أمن لكم ولا أمان . وما هو الا أن ننيم  
لكم الهوان . وغدا نملككم قسرا . ونوسعكم قتلا . ونسفك من  
الرجال الدماء . ونسلط على الذرية والنساء السباء . وابى في  
تأمينهم الا الالباء . فتعرضوا للتضرع . وتخوفوا وخوفوا عاقبة  
التسرع وقالوا اذا آيسنا من أمانكم . وخفنا من سلطانكم . وخبنا  
من احسانكم . وأيقنا ان لا نجاة ولا نجاح . ولا صلح ولا  
صلاح . ولا سلم ولا سلامة . ولا نعمة ولا كرامة . فانا نستقتل  
فنقاتل قتال الدم . ونقابل الوجود بالعدم . ونقدم اقدام المستشري  
بالشر . ونقتحم اقتحام المستشري من الضر . ونلقي انفسنا على  
النار . ولا نلقي بأيدينا الى التهلكة والعار . ولا يجرح واحد منا  
حتى يجرح عشرة . ولا تضمننا يد الفتك حتى ترى ايدينا بالفتك  
منتشرة . وانا نحرق الدروب ونخرب القبة . ونترك عليكم في سبينا  
السبه . ونقلع الصخرة . ونوجدكم عليها الحسرة . ونقتل كل من  
عندنا من اسارى المسلمين وهم الوف . وقد عرف ان كلامنا من  
الذل عزوف وللعز الوف . واما الاموال فإنا نعطيها ولا  
نعطيها . واما الذراري فانا نسارع الى اعدامها ولا  
نستبطيها . فأية فائدة لكم في هذا الشح وكل خسر لكم في هذا  
الربح . ورب خيبة جاءت من رجاء النجح . ولا يصلح السوء سوى  
الصلح . ورب مدلج اضله ظلام الليل قبل اسفار الصبح . فعقد  
السلطان محضرا للمشورة . وأحضر كبراء عساكره  
المنصورة . وشاورهم في الأمر . وحاوهم في السر

والجهر . واستطلع خبايا ضمائرهم . واستكشف خفايا  
سرائرهم . واستورى زندهم . واستعلم ما عندهم . وراوضهم  
على المصلحة المترجحة . وفاوضهم في المصلحة المربحة . وقال ان  
الفرصة قد امكنت فنحرص في انتهازها . وأن الحصة قد حصلت  
ونستخير الله في احرازها . وأن فاتت لاتستدرك . وان افلتت لا  
تملك . فقالوا قد خصك الله بالسعاية . واخلصك لهذه  
العبادة . ورأيك حاشد . وكلنا لك في اغتنام فتح هذا الموضع  
الشريف مناشد . واستقر بعد مراديات ومعاودات . ومفاوضات  
وتفويضات وضراعات من القوم وشفاعات . على قطيعة تكمل بها  
الغبطة . وتحصل منها الحوطة اشترى بها منا انفسهم وأموالهم  
وخلصوا بها رجالهم ونساءهم وأطفالهم . على انه من اعجز بعد  
اربعين يوما عما لزمه . أو امتنع منه وما سلمه . ضرب عليه  
الرق . وثبت في تملكه لنا الحق . وهو عن كل رجل عشرة ننانير  
وكل امرأة خمسة وكل صغير أو صغيرة ديناران . وبخل ابن  
بارزان والبطرك ومقدا الداوية والاسبطار في الضمان . وبذل ابن  
بارزان ثلاثين الف دينار عن الفقراء . وقام ابالاداء ولم يذكل عن  
الوفاء . فمن سلم خرج من بيته آمنا . ولم يعد اليه  
ساكنا . وسلموا البلد يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب على  
هذه القطيعة . وردوه بالرغم رد القصب لا الوديعة . وكان فيه أكثر  
من مائة الف انسان . من رجال ونساء وصبيان . فأغلقت دونهم  
الابواب . ورتب لعرضهم واستخراج ما يلزمهم الذواب . ووكل بكل  
باب أمير . ومقدم كبير . يحصر الخارجين ويحصى الداخلين فمن  
استخرج منه خرج . ومن لم يقدم بما عليه قعد في الحبس وعدم  
الفرج . ولو حفظ هذا المال حق حفظه . لفاز منه بيت المال بأوفر  
حظه . لكنما تم التفريط . وعم التخليط . فكل من رشا مشى .  
وتنكب الامناء نهج الرشد بالرشا . فمنهم من ادلى من السور  
بالحيال . ومنهم من حمل مخفيا في الرحال . ومنهم من غيرت  
لبسته فخر بزي الجند . ومنهم من وقعت فيه شفاعاة مطاعة لم  
تقابل بالرد . وكانت في القدس ملكة رومية مترهبة . في عبادة

الصليب متصلبة . وعلى مصابها به متلهية . وفي التمسك بملتها  
متعصبة . انفاسها متصاعدة للحن . وعبراتها منحدره تحدر  
القطرات من المزن ولها حال ومال واشياء واشياع ومتاع  
واتباع . فمن عليها السلطان وعلى كل من معها بالافراج . وانن في  
اخراج كل مالها في الاكياس والاخراج . فراحت فرحى . وان كانت  
من شجنها قرحى . وكانت زوجة الملك المأسور ابنة الملك  
اماري . مقيمة في جوار القدس . مع مالها من الخدم والخول  
والجواري . فخلصت هي بمن معها ومن تبعها . ومن ادعى انه  
ممن صاحبها وشيعها . وكذلك الابرنساسة ابنة فليب ام هنفري  
اعفيت من الوزن . وتوفر مالها عليها في الخزن . واستطلق صاحب  
البيرة زهاء خمسمائة ارمني ذكر انهم من بلده . وان الواصل منهم  
الى القدس لأجل متعبده . وطلب مظفر الدين بن علي كوجك زهاء  
الف ارمني ادعى انهم من الرها . فأجراه السلطان من اطلاقهم له  
على ما اشتهى . وكان السلطان قد رتب عدة دواوين . في كل ديوان  
منها عدة من النواب من المصريين ومنهم من الشاميين . فمن اخذ  
من أحد الدواوين خطأ بالأداء انطلق مع الطلقاء . بعد عرض خطه  
على من بالباب من الامناء والوكلاء . فذكر لي من لا أشك في  
مقاله . انه كان يحضر في الديوان ويطلع على حاله . فربما كتبوا  
خطا لمن نقده في كيسهم . ويلبس امر تلبيسهم . فكانوا شركاء بيت  
المال لا امناء . وخازنوه على ما حصل لكل من الغنى والذفق وبقي من  
بقي تحت رق واسار . ينتظر به انقضاء المدة المضروبة . والعجز  
عن الوفاء بالقطيعة المطلوبة .

### ذكر يوم الفتح وهو سابع عشري رجب

واتفق فتح البيت المقدس في يوم كان في مثل ليلته منه  
المعراج . وتم بما وضع من منهاج النصر الابتهاج . وزاد من  
الالسة بالدعاء والابتهاج الالتهاج . وجلس السلطان للهناء . للقاء  
الأكابر والأمراء والمتصوفة والعلماء . وهو جالس على هيئة

التواضع وهيبة الوقار . بين الفقهاء واهل العلم جلسائه  
الأبرار . ووجهه بذور البشر سافر . وأمله بعز النجح ظافر . وبابه  
مفتوح ورفده ممزوح . وحجابه مرفوع وخطابه مسموع . ونشاطه  
مقبل . ومحياه يلوح . ورياه يفوح . ومحبته ترووق ومهابته  
تروع . وأفاقه تضيء ، وأخلاقه تضوع . ويده لفيض امواء  
السخاء . وفض أفواه العطاء . ظاهرها قبلة القبل . وباطنها كهبة  
الامل . قد حلت له حالة الظفر . وكأن دسسته به هالة  
القمير . والقراء جلوس يقرأون ويرشدون . والشعراء وقوف  
ينشدون وينشدون . والاعلام تبرز لتنشر . والاقلام تـزبر  
لتبشر . والعيون من فرط المسرة تدمع . والقلوب للفرح بالنصرة  
تخشع . والالسنه بالابتهال بالله تضرع . والكاتب يذشي ويوشي  
ويوشع . والبليغ يسهب ويوجز ويضيق ويوسع . فما شبهت قلومي  
الا بشائر أري البشائر . ولا وجهت كلمي الا لطائف وحي  
اللطائف . وما ارسلت يراعي الا ليراعي الرسائل . ويشيع  
الفواضل . ويشيع القول . ويسبغ الطول ويطول بالحجة وان كان  
في حجه قصر . ويصول باللهجة وان كان في هجمه حصر . ويسمن  
الملك به وهو نحيف . ويثقل الجيش به وهو خفيف . ويبدي بياض  
الفره من سواد . ويجلو بهجة الضياء من محجة الظلمة . ويجري  
بالآجال والارزاق والمنع والاطلاق . والخلف والوفاق . والارقاق  
والاعناق . والعدة والانجاز . والجنة والاعواز والفتق  
والرتق . والرقع والخرق . وهو الذي يجمع الجيوش . ويرفع  
العروش . ويوحش المستأنس المستوحش . وينعش العاثر ويعثر  
المتنعش . يجري بالاعداء على الاعداء وبالايلاء للاولياء . فبشرت  
باقلامي اقاليم البشر ، وعبرت باعاجيبي عن عجائب العبر وملأت  
البروج بالدراري والدروج بالدرر . ورويت تلك البشر حتى اطابت  
ريا الري وسمر سمر قند . واطربت وحلت حتى فاقت القنيد  
والقند . وعلقت بفتح القدس بلاد الاسلام وزينت . وشرحت  
فضيلتها وبينت . وابيت فريضة زيارتها وتعينت .

## ذكر حالي في العود الى الخدمة

وكننت قد انقطعت من الصحبة لما عرض لي في المرض من النوبة  
فأقمت بدمشق اداوي مزاجي واداري منهاجي واعالج تدييري وادبر  
علاجي الى ان وصل الخبر بان السلطان نزل على القدس فوجدت  
خفة في النفس وأندست بابلالي بعض الانس وامنت لو ذوقي بالصحة  
والاستقامة من الذكس ، فاولجته الى تلك الجهة وسرت بطاعة  
النفس المتنزهة ، وعصيان الطبيعة المذكرة واخترت تعب السفر  
على راحة الاقامة ورأيت في ركوب طريق العطب وجه السلامة  
ووصلت بكرة السبت ثاني يوم الفتح بالسعد واليمن والنجاح  
فوصلني السلطان عند وصولي باجلى بشاشة واحلى هشاشة  
وسرى عنه سر وبر وقال: اين كنت. ولم ابطأت. وحيث اصببت في  
المجىء فما اخطأت وقد كنا في انتظارك. والسؤال عن اخبارك. وهذا  
اوان احسانك. فاي احسان اوانك. فاجر بنانك بجرأة بياذك. واجر في  
ميدانك. وما للبشائر الا واصفها. والفرائد الا راصفها . وللقصاحة  
الا قسها . وللحصافة الا قيسها .

وكان قد جمع امس كتاب دواوينه على اذشاء كتب ما ارتضاها .  
واقترضاب معان وما اقتضاها ، وكانوا سألوه في كتاب الديوان  
العزیز. فقال لهذا من هو اقروم به وعناني. فلما راني ناداني  
واستلناني . فصرفت الى امتثال امره عناني . وسلم إلى الكتب  
التي كتبوها . بالالفاظ التي رتبوها . وقال :  
غيرها . ولا تسيرها . وغرضه اني اعدل معوجها . وابدل مثبجها .  
واقترح المعنى البكر للفتح البكر . واشح ذكر اياته بايات الذكر .  
فاستجديتها فمما استجديتها . واستجديتها فمما  
استملحتها . وشمممتها وبها سهك . وكشفتها وسترها هتك . وكانوا  
قد تعاونا عليها وفيها لهم شرك . فشرعت في افتضاض الابكار .  
واقترضاء الافكار . واقتراح القريحة . واقترءاء رحاب الكلم

الفصيحة . وافتتحت في بشرى الفتح . وكتاب الديوان العزيز  
واوردت المعنى البليغ في اللفظ الوجيز . ووشحت ووشعت وشعبت  
واشبعث . واطلت واطنبت . وصبت واصبت . واعجزت واعجبت .  
واطريت واطربت . وابدعت وابدعت وصرعت وصرعت . وطابقت  
وجانست . ووافقت واندست وبيئت فضل عصر الامام الناصر على  
الاعصار السابقة بالابصار الصادقة . وان هذا الفتح اخبره الله  
لزمانه ومكن منه لكانه . وسلط عليه بسلطانه . وحسنه لنا  
ياحسنه . فقد عبرت القرون الماضية على حسرته . وظفر وهو  
واشياعه بمسرته . وما حصل لنا الا ببركة ايامه وحركة اعتزامه .  
وذكرت من هذا كل مارق وشاق . ونور الافاق . وان هذه الفتوح  
تفوح بارح نشره . وتحيا بركة . فما ايمن ايامنا بايامه .  
وما اسعد اماننا بانعامه . وكتبت الى كل ذي طرف بمعنى طريف .  
ولفظ فصيح حصيف . وسهرت تلك الليالي حتى نظمت اللآلي .  
وحليت المعالي . وقرحت المعادي . وفرحت الموالي . وسارت  
شواردي الى المشرق والمغرب معربة عن هذا الفتح المعرب عن النصر  
المذهب . وبشرت المسجد الحرام بخلاص المسجد الاقصى وتلوت :  
( شرع لكم من الدين ما وصى ) ( الشورى ٤٢ ) وهنأت الحجر  
الاسود بالصخرة البيضاء . ومنزل الوحي بمحل الاسراء . ومقر  
سيد المرسلين وخاتم النبيين بمقر الرسل والانبياء . ومقام ابراهيم  
بموضع قدم محمد المصطفى صلى الله عليه وعليهم اجمعين . وادام  
اهل الاسلام بشرف بيتيه مستمتعين . وتسامع الناس بهذا النصر  
الكريم . والفتح العظيم فوفدوا لزيارته من كل فج عميق . وسلكوا  
اليه في كل طريق . واحرموا من البيت المقدس الى البيت العتيق .  
وتنزهوا من ازهار كراماته في الروض الانيق .

ذكر ماجرى عليه حال الفرنج في خروجهم من القدس

وشرع الافرنج في بيع الامتعة واستخراج ذخائرهم المودعة .  
وباعوا بالمجان في سوق الهوان . وتقاعد الناس بهم فابتاعوها

بارخص الاثمان . وباعوا بأقل من دينار كل مايساوى اكثر من عشرة . وجدوا في ضم ما وجدوا من امور لهم منتشرة . وكذبوا كنادسهم . واخذوا من نفائسهم . ونقلوا منها الذهبيات والفضيات . من الاواني والقناديل والحريريات والمذهبيات . من السطور والمناديل . ونقضوا من الكنادس الكنائس . واستخرجوا من الخزائن الدفائن . وجمع البطرك الكبير كل ما كان على القبر من صفائح التبر ومصوغات العسجد ومصدوعات اللجين . وجمع ما كان في قمامة من الجذسين والنسجين . فقلت للسسلطان بهذه اموال وافره . واحوال ظاهرة . تبلغ مائتي الف دينار . والامان على اموالهم لاموال الكنادس والاديار . فلا تتركها في ايدي هؤلاء القجار . فقال اذا تأولنا عليهم نسبونا الى الغدر وهم جاهلون بسر هذا الامر فنحن نجريهم على ظاهر الامان ولانتركهم يرمون اهل الايمان بذكث الايمان بل يتحدثون بما افضناه من الاحسان . فتركوا ما ثقل وحملوا ما عز . وخف ونفضوا من تراب تراثهم وقمامة قماتهم الكف وانتقل معظمهم الي صور . وكذبوا بالديجور . وبقي منهم زهاء خمسة عشر الفا امتنعوا من مشروع الحق فاختصوا بمشروط الرق . فاما الرجال وكانوا في تقدير سبعة آلاف فانهم افوا ذلا لم يكونوا به بالاف . فاقدستهم ايدي السبي ايدي سبا . وتفرق الغانمون بجمعهم في الوهاد والربا . واحصيت النساء والصبيان ثمانية الاف نسمة . عادت بيننا مقتسمة \* واصبحت ببيكاتها وجوه الدولة مبتسمة . فكم محجوبة هتكت . ومالكة ملكت . وعزباء ذكحت . وعزيزة منحت . وبخيلة تسمحت . وخيبة توقحت . ومجدة مزجت . ومصونة ابتذلت . وفارغة شغلت \* وعقيلة امتهنت . وجميلة امتحت . وعذراء افتدعت . وشماء فرعت . ولياه رشفت . وظمياء فرشت . وريضة اصحبت . ورضية اصبحت . فكم تسرى منهن سري . وتجراً عليهن جري . وقضى وطره عزب . ونفى نهمه سغب \* وفثأسورته شغب . وكم غانية استخلصت . وغالية استرخصت . ووالية اعتزلت . وعالية استنزلت . ووحشية صيدت . وعرشية قيدت . ولما تقدس القدس من رجس الفرنج اهل الرجز .

- ٥٨٧٠ -

وخلع لباس الذل ولبس خلع العز . ابى النصارى بعد اداء القسطية ان يخرجوا . وتضرعوا في ان يسكنوا ولايزعجوا . وبذلوا خدما وخدموا ببذل . وقابلوا كل مالزموا به بالتزام وقبول . واعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون . وشحت افواههم بما شجاهم فزاد شجاهم وهم فاغرون . وبخلوا في الذمة . وخرجوا الى العصمه . وشغلوا بالخدمه . واستعملوا في المهنة . وعدوا المنحة في تلك المحنة .

### ذكر ماظهره السلطان في القدس من الحسنات ومحاه من السيئات

ولما تسلم السلطان القدس امر باظهار المحراب . وحتم به امر الايجاب . وكان الداوية قد بنوا في وجهه جدارا وتركوه للغلة هريا . وقيل كانوا اتخذه مستراحا عدوانا وبغيا . وكانوا قد بنوا من غربي القبلة دارا وسبعة . وكنيسة رفيعة . فاوعز برفع ذلك الحجاب . وكشف النقاب . عن عروس المحراب . وهدم ماقدامه من الابنية . وتنظيف ماحوله من الافنية . بحيث يجتمع الناس في الجمعة . في العرصة المتسعة . ونصب المنبر واطهر المحراب المطهر . ونقض ماحدثوه بين السواري . وفرشوا تلك البسيطة بالبسط الرفيعة عوض الحصر والبواري . وعلقت القناديل . وتلى التنزيل . وحق الحق وبطلت الابطاطيل . وتولى الفرقان وعزل الانجيل . وصفت السجادات . وصفت العبادات . واقيمت الصلوات . واديمت الدعوات . وتجلت البركات . وانجلت الكربات . وانجابت الغيابات . وانتابت الهدايات . وتليت الايات . واعليت الرايات . ونطق الاذان وخرس الناقوس . وحضر المؤذنون وغاب القسوس . وزال العبوس والبوس . وطابت الانفاس والنفوس . واقبلت السعود وادبرت النحوس . وعاد الايمان الغريب منه الى موطنه . وطلب الفضل من معدنه . وورد القراء وقرىء

الاوراد . واجتمع الزهاد والعباد والابدال والاولاد . وعبد الواحد .  
ووجد العابد . وتوافد الراكع والساجد . والخاشع والواجد .  
والزاهي والزاهد . والحاكم والشاهد . والجاهد والمجاهد . والقائم  
والقاعد . والمتعهد الساهد . والزائر والوافد . وصدق المنبر .  
وصدع المذكر . وانبعث المعشر . وذكر البعث والمحشر . واملى  
الحفاظ . واسلى الوعاظ . وتذاكر العلماء وتناظر الفقهاء . وتحدث  
الرواة . وروى المحدثون . وتحذف الهداة وهدى المتحذفون .  
واخلص الداعوان ودعا المخلصون . واخذ بالعزيمة المترخصون .  
ولخص المفسرون . وفسر المخلصون . وانتدى الفضلاء وانتدب  
الخطباء . وكثر المترشدون للخطابة . المتوشحون بالاصابة .  
المعروفون بالفصاحة . الموصوفون بالحصافة فما فيهم الا من خطب  
الرتبة . ورتب الخطبة . وانشأ معني شائفا . ووشى لفظا رائفا .  
وسوى كلاما بالموضع لائفا . وروى مبتكرا من البلاغة فائفا .  
وفيهم من عرض علي خطبته . وطلب مني نصيبته . وتمنى ان ترجع  
فضيلته . وتنجح وسيلته . وتسبق منيته فيها امنيته . وكلهم طال  
الى الالتهاؤها عذقه . وسال من الالتهاؤها عرقه . وما منهم الا  
من يتأهب ويترقب . ويتوسل ويتقرب . وفيهم من يتعريض  
ويتضرع . ويتشوف ويتشفع . وكل قد لبس وقاره ووقر لباسه .  
وضرب في اخماسه اسداسه . ورفع لهذه الرياسة راسه . والسلطان  
لايعين . ولايبين . ولايخص . ولاينص . ومنهم من يقول ليتني  
خطبت في الجمعة الاولى . فلما دخل يوم الجمعة رابع شعبان .  
اصبح الناس يسألون في تعيين الخطيب السلطان . وامتلا  
الجامع . واحتفلت الجامع . وتوجست الابصار والمسامع .  
وفاضت لركة القلوب المدامع . وراعت لحلية تلك الحالة وبهاء تلك  
البهجة الروائع . وشاعت من سر السرور بلبس حبر الحبور  
الشوائع . وغصت بالسابقين اليها المواضع . وتوسعت العيون .  
وتقسمت الظنون . وقال الناس: هذا يوم كريم . وفضل عظيم .  
وموسم عظيم . هذا يوم تجاب فيه الدعوات . وتصاب البركات .  
وتسال العبرات . وتقال العثرات . ويتيقظ الغافلون . ويتعظ  
العاملون . وطوبى لمن عاش . حتى حضر هذا اليوم الذي فيه

انتعش الاسلام وارتاش • وما فضل هذه الطائفة الحاضرة •  
والعصبة الطاهرة • والامة الظاهرة • وما اكرم هذه النصرة  
الناصرية • والاسرة الامامية • والدعوة العباسية • والمملكة  
الايوبية • والدولة الصلاحية • وهل في بلاد الاسلام اشرف من هذه  
الجماعة • التي شرفها الله تعالى بالتوفيق لهذه الطاعة • وتكلموا  
فيمن يخطب • ولن يكون المنصب • وتفاوضوا في التفويض •  
وتحدثوا بالتصريح والتعريض • والاعلام تعالى • والمنبر يكسى  
ويجلى • والاصوات ترتفع • والجماعات تجتمع • والافواج  
تزدحم • والامواج تلتطم • والعارفين من الضجيج • ما في عرفات  
للحجيج • حتى حان الزوال • وزال الاعتدال • وحيعل  
الداعي ( ١ ) • واعجل الساعي • فنصب السلطان الخطيب  
بنصه • وابان عن اختياره بعد فحصه • واوعز الى القاضي محيي  
الدين ابي المعالي محمد بن زكي الدين على القرشي بان يرقى ذلك  
المرقى • وترك جباه الباقيين بتقديمه عرقى • فأعرتة من عندي اهبة  
سوداء من تشريف الخلافة • حتى تكتمل له شرف الافاضة  
والاضافة • فرقى العود • ولقى السعود • واهتزت اعطاف المنبر •  
واعتزت اطراف المعشر • وخطب وانصتوا • ونطق وسكتوا • وافصح  
واعرب • وابدع واغرب • وابدع واغرب • واعجز واعجب •  
واوجز واسهب • ووعز في خطيبته • وخطب بموعظتيه • وابان عن  
فضل البيت المقدس وتقديسه • والمسجد الاقصى من اول تأسيسه •  
وطهيره بعد تنجيسه • واخراس ناقوسه واخراج قسيسه • ودعا  
ال خليفة والسلطان • وختم بقوله تعالى « ان الله يأمر بالعدل  
والاحسان » ( النحل ٩٠ ) ونزل وصلى في المحراب • وافتتح ببسم  
الله من أم الكتاب • فائتم بذلك الامة • وثم نزول الرحمة • وكمل  
وصول النعمة • ولما قضيت الصلاة انتشر الناس • واشهر  
الايناس • وانهقد الاجتماع واطرد القياس • وكان قد نصب للوعظ  
تجاه القبلة سرير • ليفرعه كبير • فجلس عليه زين الدين ابو الحسن  
علي بن نجا • فذكر من خاف ومن رجا • ومن سعد ومن شقي • ومن  
هلك ومن نجا • وخوف بالحجة ذوي الحجا • وجلا بذور عظاته من  
ظلمات الشبهات مادجا • واتي بكل عظه للراقيين موقظة • وللظالمين

- ٥٨٧٣ -

محفظة . ولا ولياء الله مرققة ولا عداء الله مغلظة . وضج المتبساكون .  
وعج المتشاكون . ورققت القلوب . وخفت الكروب . وتصاعدت  
الذعرات . وتحدرت العبرات . وقاب المذنبون . واناب المتحويون .  
وصاح التوابون . وناح الاوابون . وجرت حالات جلت . وجلوات  
حلت . ودعوات علت . وضراعات قبلت . وفرص من الولاية الالهية  
انتهزت . وحصص من العناية الربانية احرزت . وصلى السلطان في  
قبة الصخرة والصفوف على سعة الصحن بها متصله . والامة الى  
الله بدوام نصره مبتهلة . والوجوه الموجهة الى القبلة عليه مقبلة .  
والايدي الى الله مرفوعة . والدعوات له مسموعة . ثم رتب في المسجد  
الاقصى خطيبا استمرت خطبته واستقرت نصيبته .

### وصف الصخرة المعظمة عمرها الله

واما الصخرة فقد كان الفرنج قد بذوا عليها كنيسة ومذبحا . ولم  
يتركوا فيها للايدي المتبركة ولا للعيون المدركة ملمسا ولا مطمحا . وقد  
زينوها بالصور والتماثيل . وعينوا بها مواضع الرهبان ومحط  
الانجيل . وكملاوا بها اسباب التعظيم والتبجيل . وافردوا فيها  
لموضع القدم قبة صغيرة مذهبة . باعمدة الرخام منصبة . وقالوا  
محل قدم المسيح . وهو مقام التقديس والتسبيح . وكانت فيها صور  
الانعام . مثبتة في الرخام . ورأيت في تلك التصاوير . اشباه الخنازير .  
والصخرة المقصودة المزوره بما عليها من الابنية مستوره .

وبتلك الكنيسة المعمورة مغمورة . فامر السلطان بكشف نقابها .  
ورفع حجابها . وحسر لثامها . وقشر رخامها . وكسر رجامها  
ونقض بنائها . وفض غطائها . وابرزها للزائرين . وأظهرها  
للناظرين . ونزع لبوسها . وزفاف عروسها . واخراج درها من  
الصدف . واطلع بدرها من السدف . وهدم سجنها وفك رهنها .

واراءة حسننها . واضاءة يمنها . وابداء وجهها الصبيح . وجلاء شرفها الصريح . وردها الى الحالة الحالية .

واشرقت القناديل من فوقها نورا على نور . وعملت عليها حظيرة من شبابيك حديد والاعتناء بها الى الان كل يوم في مزيد . ورتب السلطان في قبة الصخرة اماما من احسن القراء تلاوة . وازينهم تلاوة . وانداهم صوتا . واسماهم في الديانة صيتا . واعرفهم بالقراءات السبع بل العشر . واطيبهم في العرف والنشر . واغناه واقناه . واولاه لما ولاه . ووقف عليه دارا وارضا وبستانا . واسدى اليه معروفا دارا واحسانا . وحمل اليها والى محراب المسجد الاقصى مصاحف وختمات . وربعات معظمت . ولاتزال بين ايدي الزائرين على كراسيها مرفوعة . وعلى اسرتها موضوعة . ورتب لهذه القبة خاصة وللبيت المقدس عامه . قدومه تشمل مصالحها ضامه . فما ترتب الا العارفون العاكفون القائمون بالعبادة الواقفون . فما ابهج ليلها وقد حضرت الجموع . وزهرت الشموع . وبان الخشوع . ودان الخضوع . ودرت من المتقين الدموع . واستعرت من العارفين الضلوع . فهناك كل ولي يعبد ربه ويأمل بره . وكل اشعث اغبر لايوبه له لوا قسم على الله لابره . وهناك كل من يحيي الليل ويقومه . ويسمو بالحق ويسومه . وهناك من يختم القرآن ويرتله . ويطرد الشيطان ويبطله . ومن عرفته لمعرفته الاسحار . ومن افقه لتهجده الاوراد والاذكار . وما اسعد نهارها . حين تستقبل الملائكة زوارها . وتلحف الشمس انوارها أنوارها . وتحمل القلوب اليها اسرارها . وتضع الجنة عندها اوزارها . وتستهدي صبيحة كل يوم منها اسفارها . وما اظهر من تولى اظهارها . واظهر من باشر اظهارها . وكان الفرنج قد قطعوا من الصخرة قطعا وحملوا منها الى قسطنطينية . ونقلوا منها الى صقلية . وقيل باعوها بوزنها ذهبيا . واتخذوا ذلك مكسبا . ولما ظهرت ظهرت مواضعها . وقطعها القلوب لما بانَت مقاطعها . فهي الان مبرزة للعيون بحزها . باقية على الايام بعزها .

مصونة للاسلام في خدرها وحرزها . وهذا كله تم بعد انفصال  
السلطان . والشروع في العمران • وامر بتدعيم محراب الاقصى وان  
يبالغ فيه ويستقصى . وتنافس ملوك بني ايوب فيما يؤثر بها من  
الاثار الحسنه . وفيما يجمع لهم ود القلوب وشكر الاسنة . فما  
منهم الا من اجمل واحسن . وفعل ما يمكن . وجلى وبين وحلى وزين .  
واشفق وانفق . واغنى واقنى . واعتنى وابتنى . ووفى واوفى .  
واصفى واضفى . واتى الملك العادل سيف الدين ابو بكر . بكل صنع  
بكر . موجب لكل شكر . وكل فعل جميل ورفد جزيل . ومن جلى ومنح  
جليل . ومكرمة حميدة . ومحمدة كريمة . وفضيلة بها ترجع .  
ووسيلة بها نجح . واتى الملك المظفر تقي الدين عمر . بكل ماعم به  
العرف وغمر . ونهى وامر . وبني وعمر . ومن جملة افعاله  
المشكورة • ومكرماته المشهورة • انه حضر يوما في قبة الصخرة .  
مع جماعة من السراة الاسرة . ومعه من ماء الورد احمال . ولاجل  
الصدقة والرغد مال . فانتهاز فرصة هذه الفضيلة التي ابتكرها  
بالافتراض . وتولى بيده كدس تلك الساحات والعراض . ثم غسلها  
بالماء مرارا حتى تطهرت . ثم اتبع الماء بماء الورد صبا حتى تعطرت .  
وكذاك طهر حيطانها . وغسل جدرانها . ثم اتى بمجامر الطيب  
فتبخرت . وتوضعت وتعرفت وفغمت مناشق اهل الهدى • وأرغمت  
أناف العدى • ومازال مع قوته • في تطهير البقعة المباركة طول  
يومه • حتى تيقنت طهارتها • وبينت عمارتها • وراقب  
نضارتها • ووقفت عليها الاستحسان نظارتها • ثم فرق ذلك المال  
فيها على ذوي الاستحقاق • وافتخر بأن فاق الكرام بالانفاق •  
وجاء الملك الافضل نور الدين علي . بكل نور جلي • وكرم ملي •  
واحسان سني • وانعام هني وعرف زكي وعرف زكي • وعطاء  
مبتدع • وانطلق بحمده الالسن • وبسط بها الصنيعة وفرش فيها  
البسط الرفيعة • وهدي واهدي • واعاد بعد ما ابدى • وانا  
واسدى • وافاض الندى • وفض الجدا • ونفض الاكياس • حتى  
خلنا به الانفاض والافلاس • وسيأتي ذكر ما اعتمده من بناء اسوار  
القدس وحفر خنادقه • واعجز بما اعجب من سوابق معروفة

ولواحدة • مالم يشق احد فيه غبارة • ولا ملك سابق فيه مضماره •  
واما الملك العزيز عثمان • فانه اتى بالاحسان الذي استظهر به  
الايمان • وذلك انه لما عاد الى مصر • وقد شاهد الفتح والنصر •  
ترك خزانة سلاحه بالقدس كلها • ولم ير بعد حصولها به نقلها •  
وكانت احمالا باموال • واثقالا كجبال • ونخائر وافية • وعددا  
واقية ودروعا سوابغ • ونصولا دوامخ • وخوذا وتراثك •  
ورماحات ونيازك • وقنا وقنابل • وصواقل وذوابل • وجروخا  
وقسيا • ويمانيا وهنديا • يزنيا • وربينيا ومشرفيا • وزيارات •  
ونفاسات وقطاعات • وعدد النقوب • وجميع ادوات الحروب •  
فاستظهرت بها المدينة • وتوثقت بها عراها المتينة • وكان من جملة  
ما شرط على الفرنج ان يتركوا لنا خيلهم وعدتهم • ويخرجوا قبل ان  
يستوفي الباكون في اداء القطيعة مدتهم • فتوفرت بذلك عدد البلد •  
واستغني بذلك عما يصل من المدد •

ذكر محراب داود عليه السلام • وغيره من المشاهد  
الكرام وتبطليل الكنائس • وانشاء المدارس

واما محراب داود عليه السلام خارج المسجد الاقصى فانه في حصن  
عند باب المدينة منيع وموضع عال رفيع • وهو الحصن الذي يقيم به  
الوالي • فاعتنى السلطان باحواله الحوالي ورتب له اماما •  
ومؤننين وقواما • وهو بمثابة الصالحين • ومزار الغادين  
والرائحين • فاحياه وجده • ونهج لقاصديه جده • وامر بعمارة  
جميع المساجد • وصون المشاهد وانجاح المقاصد • واصفاء الموارد  
للقاصد والوارد • وكان موضع هذه القلعة دار داود وسليمان عليهما  
السلام • وكان ينتابهما فيها الانام • وكان الملك العادل نازلا في  
كنيسة صهيون • واجناده على بابها مخيمون • وفاوض السلطان  
جلساؤه من العلماء الابرار والاتقياء الاخيار في مدرسة للفقهاء  
الشافعية • ورباط للصالحاء الصوفية • فعين للمدرسة الكنيسة

المعروفة بصند حنة عند باب اسباط . وعين دار البطرك وهي بقرب كنيسة قمامة الرباط . ووقف عليهما وقوفا . واسدى بذلك الى الطائفين معروفا . وارتاد ايضا مدارس للطوائف . ليضيفها الى ما ولاه من العوارف . وامر باغلاق ابواب كنيسة قمامة . وحرم على النصارى زيارتها ولا الالمامة . وتفاوض الناس عنده فيها .

فمنهم من اشار بهدم مبانيها . وتعفية اثارها . وتعمية نهج مزارها . وإزالة تماثيلها . وإزاحة اباطيلها . واطفاء قناديلها . واعفاء اناجيلها . وانهاب تساويلها . واكذاب اقاويلها . وقالوا اذا هدمت مبانيها . والحقت باسافلها اعاليلها . ونبشت المقبرة وعفيت . وأخمدت نيرانها وأطفيت . ومحيت رسومها ونفيت . وحرثت أرضها . ودمر طولها وعرضها . انقطعت عنها امداد الزوار . وانحسرت عن قصدها مواد اطماع اهل النار . ومهما استمرت العمارة . استمرت الزيارة . وقال أكثر الناس لافائدة في هدمها ولا هدها . ولا يؤنن بصد ابواب الزيارة عن الكفرة وسدها . فان متعبدهم موضع الصليب والقبر لا ما يشاهد من البناء . ولا يقطع عنها قصد اجناس النصرانية ولو نسفت أرضها في السماء . ولما فتح أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه القدس في صدر الاسلام أقرهم على هذا المكان . ولم يأمرهم بهدم البنيان .

ومما كتبه الى الديوان العزيز مجده الله للبشارة بفتح القدس مع الرسول ضياء الدين الشهر زوري من رسالة :

قد سبقت البشائر بما من الله به من الفتح العظيم . والنصر العميم . والعرف الجسيم . والفضل الوسيم . واليوم الاغر الاعز الكريم . والشرف الذي نخره الله لهذا العصر ليفضله . على الاعصار . وأراد تأخير فخاره الى هذه الايام ليكون بها تاريخ الفخار . فقد اعجز الملوك عن اقتضاء نصرته . واقتضاض عذرتة . وخص من اجراه على يده بسمو قدره ونمو قدرته . وأعاد به القدس الى قدسه . وأظهره وطهره من رجس الكفر ورجسه . وقد رجع

الاسلام الغريب منه إلى داره . وخرج قمر الهدى به من سراره .  
ونهب ظلم الضلالة بأنواره . وعادت الأرض المقدسة الى ماكانت  
موصوفة به من التقديس . وأمنت المخاوف فيها وبها فصارت صباح  
السرى ومناخ التعريس . وقد أقصي عن المسجد الأقصى الاقصيون  
من الله الابعدون . وتوافد اليه المصطفون الاقربون . والملائكة  
المقربون . وخرس الناكوس بزجل المسبحين . وخرج المفسدون  
بدخول المصلحين . وقال الحراب لأهله مرحبا وأهلا . وشمل  
جماعة المسلمين من اقامة الجمعة والجماعة ما جمع للاسلام فيه  
شملا . ورفعت الاعلام العباسية على منبره فأخذت من بره أوف  
نصيب . وتلت بالسنة عذبة : « نصر من الله وفتح قريب » .  
( الصف ١٣ ) وغسلت الصخرة المباركة بدموع المتقين من نذس  
المشركين . وبعد أهل الاحد من قربها بقرب الموحدين . فذكر بها ما  
كاد ينسى من عهد المعراج النبوي . وقامت بدلالاتها براهين الاعجاز  
المحمدي . وصافحت الايدي منها موضع القدم . وتجدد لها من  
البهجة والرسالة ما كان لها في القدم . فهو ثاني المسجدين . بل  
ثالث الحرمين . فليهن البيت الحرام خلاص أخيه البيت المقدس من  
الأسر . واسفار صبح الاسلام بعد طول اعتكار ليل الكفر . وتطهير  
مواقف الانبياء صلوات الله عليهم من أناس الارجاس . وتضوع  
أرج الرجاء في أرجائه بعد اليأس . فالحمد لله الذي أبدل الايحاش  
بالايناس . ونزع عنه بافاضة خلع الرحمة عليه لباس الباس .  
وجعل عصر مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه على العصر  
مفضلا . وكمل بهذا الفتح الشريف شرف زمانه فأصبح فخر الدين  
والدنيا به مكمل . ويسر ببركات أيامه فتح البلاد الساحلية  
بأسرها . وعجل هلاك هذه الطائفة الطاغية من الفرنج بقتلها  
وأسرها . ولقد حل الكفر عروة عروة . وهدد ذروة ذروة وعادت  
حباله رثا . وعقوده انكاثا . ومساكنه اجداثا . وصار حديثا بعد  
أن شوهد أهل الذمة أحداثا . فالرتاج مستفتح . والرجاء  
مستج . والبلاد مستخلصه . والقيم الغوالي منها بسوم العوالي  
مسترخصة . والعقائل مفتضة . والمعائل منفضة . ومناهل المنى

بمياه النجاح مرفضه . ونجوم الرجوم على شياطين الكفر بسيوف  
أهل الايمان منقضه . والثغور مبدسه . والأمور منتظمة .  
والحصون متسلمة . والخصوم مذعنة مستسلمة . وأرض الكفر  
يذقنها الاسلام كل يوم من أطرافها . بل يستولى على اوساطها  
وأكنافها ويعيد إلى الطاعة كرها مذهب خلافها . ولقد أينع زرعها  
وثمرها من رؤوس المشركين وهذا أوان حصادها وقطافها . والنعمة  
بحمد الله عظيمة . والموهبة وأن خصت هذا الاقليم فهي في جميع  
أقاليم المسلمين عميمة . فلو شرح ما لهذا الفتح من جلالة العظمة  
ودلالة المكرمة لكبا قلم البليغ في مضمار البيان ولم يبلغ مدى : « قل  
لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفذ كلمات ربي  
ولو جئنا بمثله مددا » (الكهف: ١٠٩) والقاضي ضياء الدين القاسم  
الشهر زوري قد توجه لهذه النعمة واصفا . وعندما يأمر به من إنهاء  
البشرى بها واقفا . وأولى من وصف العرف من كان بأوصافه  
عارفا . وأحق من شرح الحق والحقيقة من تفي بشرح الصدور  
مصادر شرحة . ويفتح على الاسلام أبواب الهناء بتأنهاء ما تسنى  
من فتحه . ويحدث وهو الضياء بإسفار صبحه .

### عاد الحديث الى ما جرى بعد فتح القدس

واقام السلطان على القدس حتي تسلم ما بقربها من حصون .  
واستباح كل ما للكفر بها من مصون . ورحل ولده الملك الافضل قبله  
الى عكا عائدا . وعن حوزتها ببأسه وجوده نائدا . ثم تبعه الملك  
المظفر فرحل . وسار الى عكا . وبها نزل . ثم عمد السلطان الى ما  
جمعه ففرقه . وأخرجه في ذوي الاستحقاق وأنفقته . وفرضه  
بعوارفه . وفضه في مصارفه . فسد خلة المعيل . وأسهم منه ابن  
السييل . وحمل به عن الغارم . وأحى به سنن المكارم . ووضع  
في أهله . وأحله في محله . وصرفه في حله . وقدم التوسعة على ذوي  
الاضافة . والانفاق في أهل الفاقة . واجنى الاجناد منه مقاطف .

وجعل المجاهدين منه وظائف . وأبقاه بأفئائه ذخرا للأخرة .  
وكسبها للمحامد الفاخرة . فأكثروا عذله على بذله . واستكثروا ما  
فضه بفضله . فقال كيف أ منع الحق مستحقه . وهذا الذي أنفقته هو  
الذي أبقيه . وإذا قبله مني المستحق فالمنة له علي فيه . فإنه  
يخلصني من الامانة ويطلقني من وثاقها . فان الذي في يدي وبيعة  
أحفظها لذوي استحقاقها . فما عاد الوعد إلا بوفر ودثر . والافاضة  
في نظم من حمده ونثر . وحاز كل ذي فضيلة منه فضلا . وتفيأ كل  
فئة ظلا . وكثر السائلون بالفضائل . والقائلون بالسائل .  
والقاصدون بالقصائد . والوافدون بالفوائد . والواردون بالفوائد .  
والسابقون بالشوافع والشافعون بالسوابق . والسالكون للطرائق .  
والمالكون للحقائق . فما ترى الا قارئا باللسان الفصيح . وراويا  
للكتاب الصحيح . ومتكلما في مسألة . ومتفحفا عن مشكلة وموردا  
لحديث نبوي . وذاكرا لحكم مذهبي . وسائلا عن لفظ لغوي .  
ومعنى نحوي أو مقرضا بقريض . أو معرضا بتصريح أو مصرحا  
بتعريض أو جالبا لمحه . أو طالبا لمنحه . أو مستضعفا بفاقه . أو  
مستسعفا بأفاقه . أو ناشدا بنشيد . أو مسمعا بتغريب وتغريد .  
وما فيهم الا من أحظي بسهم . أو ارضي بقسم . وأصيب وأجيب .  
وأجيز بتقرير وتقرير . ففيل له لو نخرت هذا المال للمال . لشفيت  
به مايقع من الاعتلال . وكفيت بالحقيقة ما يسئح من الاختلال .  
فقال أ ملي قوي من الله الكافل بنجح الآمال . وجمع الاسراء  
المطلقين . وكاذوا الوفا من المسلمين . فكساهم وأساهم .  
وواساهم . وأذهب أساهم . فانطلق كل منهم إلى وطنه ووطره .  
ناجيا من ضرره . ووضره ومكث السلطان عليه مقيما . للنظر في  
مصالحه مستقيما . ففيل ما قعودك عن صدور . فأنهض اليها  
عسكرك المنصور . وانت تنخلها يوم وصولك . وتحظى منها بمرادك  
وسؤالك ، فأنو السير . وأخو الخير . وأحصر الخبر . واحظر  
التأخير . وفي تعجيل النهضة . تحصيلها في القبض . وفي بدار  
الامام بدارها . بشرى أهلة الفتوح المقمرة بإبدارها . فأسر  
بالعسكر وأسرع . واقطع عن الكفر تلك الاعمال واقطع . وأكثر من  
كان يستحثه . وعلى النهوض يبعثه . الامير علي أبو أحمد المعروف

بالمشطوب . وكان من اكابر الامراء الكافين للخطوب . الكافين في الحروب . وكانت معه صيدا وبيروت . وهما بقرب صور وقد أشفق ان فتحها يفوت . فرأى الحظ في الحضر . وحرض على القرص . ولم يفكر في قوتها بانتقال رجال الساحل إليها . وأنه يشق في هذا الوقت النزول عليها . وكان المركيس عند اشتغالنا بالقدس باحكام صور مشغلا . وعلى الاستهتار بتحصينها مشغلا . وقد استجد قدامها من البحر الي البحر خندقا . وجعل الطريق إليها مضيقا . واحكم اسباب الاحكام . واخذ بالحزم في الاهتمام .

## ذكر رحيل السلطان عن القدس على قصد حصار

صور

ورحل السلطان عن القدس يوم الجمعة الخامس والعشرين من شعبان . وقد عنا لامره كل ناس ودان ودان . وودعه ولده عزيز مصر في اول منزله . وسايه لكرامية فراقه مقدار مرحلة . ثم اوصاه وشيعه واستصحب اخاه الملك العادل معه . مستظهرا بأخائه . ومستبشرا بالآله . مستبصرا بآرائه . مستنصرا بمضائه مستفنيا بغنائه . وموفيا بوفائه . وهو بعقده يعقد وبحله يحل . وبشده يشد وبحلوله يحل . والعساكر بالقضاء فائضه . والخطوب الريضة رائضه . والى استنهاض النصر لانصارها ناهضة . ومن هواها انها في دماء الدماء من اهل الكفر خائضة . فوصل الى عكا في اول شهر رمضان فخيم بظاهرها ظاهرا بخيمه . باهرا بتاخيرته وتقديمه . قاهرا بشباه المبير . زاهرا بسناه المنير . جاهرا بسره . ظاهرا في بحره . وأقام أياما يتفكر ويتدبر . ويستشير ويستخير . والمشطوب يستعجله . ولا يمهل . ويحرض بالبعث . ويحذر من المكث . ويقول الفرصة تدرك بالحث . وتذفوت باللبث . فسار لندائه مليا . ولجيش النصر معيا . ولرأيه مقلدا . وبالله عز وجل

متأيدا . فوصل الى صور تاسع شهر رمضان يوم الجمعة .  
بالجحافل المحتفلة والجموع المجتمعة . فنزل بعيدا من سورها .  
سعيدا في ترتيب أمورها . مضروبة قبابه . مجذوبة عرابه . محجوبة  
بالبنود والجنود أرضه وسماؤه . مذشورة راياته منصورة أراؤه .  
خافقة على الاعداء عذبات عذابه . دافقة في ثرى النجح في الانحاء  
ثرات صوب صوابه . قد كست خيامه عري العراء . وفشت أشعة  
بيضه وسمره الفضة بالقضاء . واحتوت مضاربه المضيئة بالائه  
وأرائه على مضارب المضاء . وباحت استباحه حمى المشركين  
للموحدين بهر السراء . فمكث أياما حتى تواصل المدد . وتكامل  
العدد . واستحضر آلات الحصار . واستكثر من المجانيق الصفار  
والكبار . ثم تقدم اليها وخيم عليها الثاني والعشرين من الشهر يوم  
الخميس . في خميس يسير في الوشيح كالأسد في الخيس . ونزلت  
الذوازل المركسة من نزوله ونزاله بالمركيس . فوقع في  
الدرديس . والعذاب البيدس . فكانما نفخ في صور صور . فحشر  
أهل جهنم وملأوا السور . واتصلت زيارة الزيارات للجروح  
بالجروح . وتوافت مناجاة المجانيق بالخدوش والشدوخ . وأرسلت  
الحجارات حجارة جاجزه . وألسنة أهل الرجس والرجز بالفدشاء  
راجزه . وكانت صور على السوء مستوية . وعلى كل من خرج من  
القدس وبلاد الساحل محتوية . فضجوا وارتجوا . وعاجوا  
وعجوا . ولجأوا ولجوا . ونصبوا على كل نيق منجنيقا . وشدوا من  
كل جانب ركنا وثيقا . وشدوا في الجبال . ومدوا في الحبال . ورموا  
من الشرافات الشرفات . بالشروور والافات . وسلب الحجار  
حجاها . وامت الامة وجاءها وجاها . فكم من رؤوس اطارت .  
ونفوس ابارت . وبر خسفت . وبدر كسفت . وبحر نذفت . وطود  
نذفت . فحول السلطان الى قربها له خيمة صغيرة . وانهض ينات  
الحنايا بالمنايا عليها مغيرة . وصف الجفاتي . فصدف اتيها  
الاتي . وعارض بحرها بعرض بحره . ورد كيد الكفر من المنجنيق  
بما نصبه من المنجنيق في نحره . فاحبط اعمالهم باعماله . واهبط  
رجالهم برجاله . وقابل الابراج بالابراج . وحاول بالردى علاج  
العلاج . ووالاها حجارات وصخورا . حتى جعلت سور صور

سورا . وجد في امرها . واجساد في حصرها . ووصل اليه في تلك  
الايام . من قوي به ظهر الاسلام . ولده الملك الظاهر غياث الدين  
غازي . وهو الذي جل في سماحته وحماسته عن الموازن والموازي .  
فقدم مبارك القدم . متدارك النعم . عالي الهمم . غالي القيم . ومعه  
عسكر مجر لجب جلبه من حلب . قد استصحب البيض والسمر  
والبيض واليلب . فظهر من الملك الظاهر ما ملك به قبول القلوب  
واغرى سيفه بسفك دم الكفر المطلول المطلوب ، ورأى نصب خيمته  
وراء خيمة ابيه المنصوبة ، وجد في استرجاع مدينة الاسلام  
المفصوبة ، وقدم بين يديه كل حجار راجح ، وكل نقاب  
ناجح ، لصم الصفاق مصافح ، وكل جاندار جان در الردى  
للكفار ، وكل زراق رزق الجسارة على اهل النار بالنار ، وكل  
منجنيقي من جناته تقتبس ذبالة البسالة ، وكل جرخي رخي البال  
بالهدى لاصماء اهل الضلالة ، وكل رام رام النجم في الافق  
فراماه ، وكل همام هم بالخطب النازل فتحاماه ، وكل مقدم قرنه  
دام ، وكل ضرغام صريعته في رغام . وكل قمقام ضارب  
بصمصام ، وكل حام شارب بكأس حمام ، وكل نمر  
مشيح ، لذار الكفر مبيع ، ولروح الجد مريح ، ولذماء المزاح  
مزيح ، وكل فاذك لحبل الوريد باتك ، ولستر الحياة هاتك ، ولدم  
العداة سافك ، وكل شجاع الى الموت داع ، والى المجد  
ساع ، وللإسلام راع ، وللإشراك ناع ، وكل فارس للفوارس  
فارس ، وللذوابل في النحور غارس ، وفي اليوم العابس غير  
ناج ، وكل راجل لقهر العدو راج ، وبسر البأس مناج ، ومن شر  
الناس بشجاعته ناج ، وبباغت المنون لمن يلاقيه شاج ، وكل عتال  
عات ، ونجار ونشار ونحات ، وحداد وقين وكل زائر للعدى بحين .  
فاجتمعوا وزحفوا . وجفوا على القوم ورجفوا واصموا وصمموا .  
وأوقدوا نارا واضرموا . وأطاروا من اعشاش الأقواس الى أوكار  
الاحداق أفراخا . واستصرخوا الأقدار لأقدارهم فحبتهم حين  
أحببتهم اصراخا . وغلظوا على الرقاب الغلاظ بالرقاق . وأولوا  
الشقاء لأولى الشقاق . وتساعدوا وتناصروا وتطاولوا وماتقاصروا  
ومافيهم الا من أبان عن جد . وأبان بجد . والان الشديد . وأعان

السيد . وأفلح ففلح الحديد بالحديد . أوجد الحديد ومد الحديد  
وصور مرتجة أبوابها . مرتجة أبوابها . مرتجة أبوابها . ومرتصة  
عصائبها . مشحونة أبراجها مسجونة أعلاجها محصورة كلابها .  
محصورة ذئابها محشورة ثعالبها مدشوبة كتائبها . والمركيس بها  
متجههم . وأبليس عليه متحكم . وقد سقط في يده . وسخط لبلده .  
وارتبط بجلده واختلط بكمده . وغلت مراحل غلوائه وعدت غواذل  
عدوانه . وطاش وجاش وأوخش الأوباش والأوخاش ( ٢ ) .  
وتوشح بالشر وتودش . وترشح للردى وتحرش . واشتعل بجمره .  
وبعل بأمره وضرى بضره . وجال بوجهه في مكر مكره . وكر في وكره  
وعشا عشه . وثبت على لجاجه . ونبت في اجاجه . وتعسر وتسعر .  
وتربص وتصبر . والسلطان مصيب حكمه . صائب سهمه . ماض  
عزمه . قاض حزمه بارحمه . ساطع سنى ايناسه . قد اتسقت  
اسبابه . واتسعت رحابه . واجتمع اصحابه . فازدحم على بابه  
وحول قبابه كل مبارز بار . وكل ضارب ضار . وكل حجار جار .  
وكل رامح ورام . وكل حامل سلاح وحام . وكل سائف حائف . وكل  
عاصف قاصف وكل أكل للحرب شارب . وكل طالع بالضرب غارب .  
وكل هاجم هائج . وكل راجم رائج . وكل معتقل متقلد . وكل مجرب  
مجرد . وكل ذكر مذكور . وكل غضنفر مشكور . وكل ليث ملاث .  
وكل غيث غياث . وكل سفاك لدم الكفر سفاك . وكل جراد لسيف  
الفتك جراح وكل مكتتم في درعه . مكتتم في نقهه . ملتئم بزغفه . مثلم  
بحرفه . مقنع بلامه . ملقع بقتامه . سايع في بحر الموت بسابحة .  
سامع في الصباح صوت صائحه . فجمع اليه أمراءه . واستحضر  
عظماء ملاكه وكبراءه . وقالوا هذا بلد حصين . ومكانه من الأرض  
مكين . في البحر ثلاثة ارباعه . وفي السماء ارتفاع بقاعه . وطريقه  
الذي يسلك من البر اليه . قد احاط به البحر من جانبيه . وقد قطعوا  
بخندق في عرضه . وعمقوا ونزلوا في أرضه . وكان من احكام  
الحزم . واتمام العزم . تكميل الآلات وتتميمها . وتحصيل  
المنجنيقات وتقنيها . وتركيب الأبراج والدبابات وتآليفها . وتقريب  
الجفاتي وتصفيها . وتسوية مناصب المجانيق وتسقيفها . وتنحية  
أثقال العسكر وتخفيفها . وتنحية نخب الرجال

وتصريفها ، وتسنية الأسباب ، وتهية الأخشاب ، واستحضار كل مايراد للحصار ، واستنفار كل من يرام من الأنصار ، فاذا حضرت هذه الأشياء والأشياء ، وتيسرت وتوفرت الأصول والاتباع ، رحب الذرع في الحصر والمضايقة وطال الباع ، وإذا حالت الأحوال وضاعت الأوضاع ، واختل واعتل النزال والنزاع ، وأمر السلطان بازاحة العلل ، وإزالة الخلل ، وشغل الصناع بالعمل . ونقل الأمل الى طريق الأجل . وتقدم بقطع أشجار الغياض . وحمل مايتلك النواحي من الانقاض ، فاجتمع هناك كل آلة وآلة ، وذباب وذبالة ، وقضيب ومقضب ، ومجرب ومحرب ، وسم وشهم وشهب ودهم وأحمال ، وأثقال ، ونظمت الستائر من القضيب ، وصفت من سور سور بالمكان القريب ، وكمنت من ورائها الكماة ، واستترت بالجفاتي قدامها الرماة ، واشتغل كل صانع بصنعه ، وكل جامع بجمعه ، وكل دافع مانع بمنعه ودفعه ، فمن جان بمنجنيق ، ودان الى نيق ، وداب بدبابة ، وذاب بذبابة ، ونازع في حنيه ، وناز بمنيه ، وقاذف بشراره ، وحاذف بحجاره ، وهاتك من ستاره ، وفاتك بجساره ، وجاذب في حبال ، وجالب لوبال ، ومرو في قلع ومسو لمقلع ، ومدبر بايجاف ومدمر بايجاع . ولم تزل المنجنيقات ترمي ، والحجارات تدمر وتدمي ، والدبابات تطير من أوكارها عقبان الجروح ، وأطباق البرج تبني وتغطي بالسلوخ ، حتى امتد الزمان ، واشتد الحران ، وضاق الحصر واعتاق النصر ، وكان العسكر قد ألف تيسر الفتح ، وتسرع النجح . فصعب عليه حين صعب ، وتبع هواه لما تعب ، ولم يألف الناس الا ارواء ظمأهم بنهله والحصول على اكساب سهله ، وفتح مايقصدونه من البلاد بغير مهله ، فلمما توفى هذا الفتح توفىوا ، وملوا وضجروا وتأفوا والسلطان مع ذلك يزداد في حده وجده ، وفي شدة شدة ، وفي جده جده ، يثبتهم بحته ويحثهم على الثبات ، ويقويهم بجوده ويوجههم القوات ، ويقول ان الله أمر بالمصابرة . ولا مصابرة الا بالمثابرة . فاصبروا تفلحوا وصابروا تفتحوا .

## ذكر ماتم على الاسطول

وكان السلطان قد نفذ من صدور ، واحضر اليها من عكا ما كان بها من مراكب الاسطول المنصور ، فوصلت منها عشر شوان ، على العدى جوان ولردى لهم جوان ، فعمرها بالرجال ، وجهازها للاقتال واتصلت بها مراكب لنا من بيروت وجبيل ، فاستشعر المراكيس واشياعه منها الويل ، وعمروا لهم مراكب ، ورفعوا بها مناكب ، وسفننا بالساحل عندنا مربوطة ، وبحفظنا مضبوطة محوطة ، ودامت تدب عقاربها ، وتذب سواريتها ، وتجري سواريتها وتسري جواريتها ، وتطير للقنص بزاتها ، وتغير للفرس غزاتها ، وتكسر بكواسرها ، وتدور بدوائرها ، وتلاطم الأمواح بأمواجها ، وتزاحم الأثباج بأثباجها ، وترفع شرع الهداة بشراعها ، وتقلع عرش الغواه باقلاعها ، وتنفذ على شياطين الكفر شهبها ، وترفض بشأبيب الذعر سحبها ، فكأنها الاساود والسود ، وركبتها الاسود ، من كل افعان وان يحمله افعان ، وشجاع امتطته شجعان ، وغراب بشقات العدى ناعق ، وسحاب بوميض الهدى بارق ، فيالها من اغربة دارت بعقبان . واجنحة طارت بظلمان . ورواس سوار ، وغواز بفوار ، وقد ملئت برماة الحندق وحماة الحلق ، وزراقى النار وطراقى النار ، والخطافين بالخطاطيف . والقاذفين بالمقانيف والكالمين بالكلايب . والساليين بالاساليب والصاربين بالمحاريب والراجمين بالرجام ، والمعلمين على الاعلام فاندشت مراثر الفرنج وازاحت سفنها عن النهج وقرنصت بزاة البيزانية . وتقلصت جناة الجذوية ، وكثرت ادواء الداوية . وكثرت اسواء الاسبتارية . وزادت الام الألمانية ، وعادت اسقام الافرنسية . وصارت مراكبهم في المينا لاتبين ، وشدتهم بشد شوانينا تكاد تلين . وقد ربطوا عندهم السفن فلو خرجت كانت جبالا تسفن . وانس اصحابنا بعلو الامر ، وخلوا البحر . وامدوا من الخوف ، وادموا على الطوف . ودام



واصبحت قلوبهم بما جرى على انظارهم مروعه . فتواقعوا الى  
الماء . وخافوا على دمائهم في الدماء ( ٥ ) . وخرجوا الى البر على  
وجوههم . وخافوا مكرهم في مكروهم . وفروا وفاروا . وطاروا  
وثاروا . ولم يلفت احد منهم لبتا . ولم يزدحم دعاؤهم الى التجمع  
الا تشتيتا . فظهر بهذه النوبة الواقعة . والنبوة الرائعة . ان نواب  
مصر لم يجر منهم بالاسطول احتفال . ولم يرتب فيه على ما يراد  
رجال . وانما حشدوا اليها مجمعة مجهولة غير عارفة ولا معروفة .  
ومستضعفة غير آلفة ولا مألوفة . فلا جرم لما شاهدوا الروع  
ارتاعوا . ولما الزموا بالطاعة ما استطاعوا . وكان في جملة شوانينا  
قطعة يتولاها رئيس جليل . وفيها بحرية من ذوي التجربة والتجري  
والتجربة ما لها حين ولا ميل . فطال بأسلحة الدفاع . وطار بأجنحة  
الشرع . وفاز بالسبق وفات . وهيئات ان يدرك هيئات . فنجى  
النجباء . وأب بهم الالباء . فبقيت المراكب الباقية . وقد اخلاها  
حماتها الواقية . فرفعناها الى البر . ورأينا الصحة منها في  
الكسر . وفرغنا من شغل المراكب في البحر . وهذا والمنجنقيات  
ترميمهم . والمفوقات الموفقات تعميهم وتصميهم . والقنائل  
قائم . والنزال دائم . والصخور تفلق . والصدور تقلق . والاحجار  
تقلقل . والاسوار تحلل . والاطوار تضعضع . والابراج القيام  
تسجد وتركع . والاصلاذ تقدح . والاجلاذ تقسرح . والالواح  
تصدع . والارواح بين اكفاء الكفاح مقسومة . والقروح بها قوارح  
القوارع موسومة . والحنايا واترة موترة . والمنايا مأثرة  
مؤثرة . وظعائن الضغائن تحدي بصليل البواتر . وصهيل  
الضوامر . وحقوق الحقود تقتضي بالسنه الاسنة . وعنت الاعنة من  
الغريم الكافر . والاداج شاخبة كالعيون البواكي . والابشار  
دامية من الزنبوركات والناوكات النواكي . وهناك العقل معزول  
بالتهور . والرأي مشغول عن التدبير . والعلم والحلم خالطهما  
الجهل والسفاه والجرحي يبتدىء ببسم الله . والمنجنيقي يختم بلا  
اله الا الله . والزراق بالنار يطيب القاروره . ويحسرق  
الساورة . والسباق الى المضمار يساور السور ويباشر  
الباشورة .

## ذكر خروج الفرنج للقتال

ولما عثر الفرنج على تلك العثرة . ظنوا فينا الفتور لاجل تلك  
الفترة . وقالوا مراكبهم انحل تركيبها . وكتائبهم اختل  
ترتيبها . وستجرى بها عنا الندامة التي يحدثها تجريبها . وهم  
الآن على صوت لهم مخيف . وفوت بهم مطيف . فلا معنى لتقاعنا  
عنهم . ولا وجه لتباعنا منهم . فلوخرجنا صدمناهم . وأقدمنا  
عليهم وهزمناهم . وخرجوا يوما قبل العصر . في عدة كالليل  
خارجة عن الحصر . قد التأموا واستلاموا وانضموا والتظموا  
وتقدموا . وأقدموا للطوارق حاملين . والجمالات مطرقين . وعلى  
الفرق مجتمعين . والجماعات مفرقين . وبالرهق جادين . وبالجِد  
مرهقين . والعقود حالين . ومن الغمود سالين . والمناصل  
منتصبين . والطوائل مقتضين . والسيوف مجريين . والسيول  
مجريين . وبالزغف ملتئمين . وفي الحذف مقتحمين . وبالقنطاريات  
طائرين . وبالزيارات زائرين . من كل مفوار وار . ومحضار  
ضار . وفجار جار . وجبار بار . وعدو عنود . وكند  
كنود . وداوي ذي دوي . وباروني غوي . ومن كل مصمم اذا  
وتر . مصمم اذا وتر . مصمم اذا نعر . مصر اذا نعر . هائج اذا  
استعر . مائج اذا نخر . متمم اذا زار . متذمر اذا  
زجر . فتناوبوا وتواثبوا . وتجاولوا وتجاوبوا . وبدوا من متارس  
المنجنيقات . وجذوا من مغارس الجنويات . وبدوا امرهم على ان  
الناس ناسون غارون . وان اهل البأس في خيمهم هاجعون  
قارون . فتلقاهم منا كل ضارب للهام . ضار بالحمام . وجار الى  
الاقدام . ملب للصوت . محب للموت . مشتهر باغناء . مشته  
اللقاء . مستهتر بالبلاء . ماض بالمواضي . متفاض بالقواضب  
القواضي . وكل ابيض بالبيض ضراب والبيض رضاض . واغلب  
المغلب قضقاض والى الحرب نهاض . وكل معتقل رماحه . معتقد  
مرحه . معتقد مزاحه . مهتز لطرب الشهادة . معتز بأرب

السعانة . متمن للمنون . متجن على الحنون . مضرم نار الحديد في  
ماء الوريد . مغرم في تفريق العدى بجمع العيد . مفرغ ماء الطباء  
على نار النجيع . مبلغ تلبية الهدى الى الصريخ السريع . قد تلثم  
باللام . وتلفع باللاثام . وتقنع بالزرد . وتدرع بالجلد . وتجوشن  
بالصبر . وتخشن بالزبر . وصال بالقضب . وجال بالهضب . وطال  
بالهندي على الفرنجي . وخاض من دم الشرك في البحر اللجي . فلم  
يسمع الا انين الحنية . لحنين المنية . ورنين الأوتار . من كنين  
الأوتار . وهفيف السهام . لذهيف اللهام . وصاليل بنات  
الغمود . من غليل ابناء الحقود . وهمهمة الابطال . وغمغمة  
الأقيال . وزئير الضرغام . وزفير الضرام . وقـرع الطـبـا  
بالظبا . ووقع الشبا على الشبا . وضجة الحديد من  
الحديد . وعجة الشديد . وجعجة رحي الحرب . وقعقة اداة  
الطعن . والضرب . وجرجرة الفحول . وزمجرة الفحول . وهديل  
حمام الحمام . وهدير قـروم الايدام . ووعوعة ذئاب  
الوغى . ومعمعة التهاب اللظى . ودعدة صاع المصاع . وجلجلة  
سباع القراع . وصلصلة الزبر . ولولة الزمر . وحيعة دعاة  
النصر . وهيضلة رعاة الكفر . ورفرفة المريشات  
الراشقة . وهسهسة الطعنات الفاهقة . وهزهزة اعطاف  
المران . وزهزة اصوات الشجعان . ونعير الفالين . وصخب  
السالين . ولجب الجالين . وزحير الطالين . ونهيت ( ٦ )  
الاسود . وقصيف الرعود . وهدة الأركان . ودهدة  
الرعان . وقهقهة الأقران . وقرقرة كوم البكاء . وصرصرة بزاة  
الفزاة . وكشيش صلاص الضلال . ونشيش مـراجـل  
الرجال . وهزيز ريع الياس . وهزيم رعد المراس . وارنان  
المعاجس . وارزام القناعس . وهيعة الصارخ . وصيحة  
النافخ . وزعقة المستفزع . ونعقة المستنزع . وشعشة  
الخرصان . وزهزمة النيران . وهينمة الاجل . وجمجمة الزجل  
وتكبير المؤمنين . وتهليل المؤمنين . وصرير ابواب الجنان  
للشهداء . وصرير انياب الجنان للاعداء . والدعاء الى  
اللقاء . والنداء الى الارداء . وارتفعت الاصوات . واشتبهت

الاحياء والاموات . ووقع اصحابنا فيهم وقوع النار في  
الخطب . واروهم في مـرايا البيض وجـوه العطب . وولوا  
مدبرين . بعد ما تولوا مدبرين وجذونا تشـلهم . وجدونا  
تفلهم . ولتوتنا تـرضهم . وليوثنا تفضهم . وعادوا الى  
البلد . عادمي الجلد . وفيهم ندوب وعليهم نوادب . وايدي الردي  
بهم لواعب ومنهم لواغب . وبخل الليل . وعمهم الويل . واسرنا  
منهم مقدمين . ثبتوا على الموت مقدمين ، ومن اسر فخر قومص  
عظيم . بل شيطان رجيم ، فترك في قيد اسار ، ليكشف عن حاله  
بالنهار . وكان الملك الظاهر غازي . لم يحضر فيما تقدم من  
الغازي . فرأى ان يحرق اسمه بقتله . فضرب عنقه بحد  
نصله . وكان للمركيس شبيها وفي الفرنج وجيها . فظنوا انه هو  
للشبه . وبات اهل الكفر بالعمى والعمه . ثم عرف ان المركيس في  
نفسه لم يذكاً ولم يذكب . ولما عطب اشياعه لم يعطب . وندم على  
ما قدم . ومن تقدم على غرة تندم .

### ذكر ما دبروه من الرأي ورأوه من التدبير

ولما امتنع البلد . وارتدع الجلد . وارتج العدو وليج . ضجر  
العسكر وضج . واجتمع امراء . يحبون الافلات . ولا يكرهون  
الفوات . وقالوا مطاولة ما نقصر عنه تتعب . ومزاولة ما لا يزول  
تصعب . ومحاولة الممتنع محال . ومطال غريم هذا الفتـح  
مطال . وما يتسع لنا في هذه الحلبة الضيقة مجال . وهذا السلطان  
جلد على المصابرة . مجد في المكابرة . لا يكثر بالكـارث . ولا يدخل  
سمعه حديث الحادث . ولا يبالي بمن بلى ، ولا يفكر فيمن ولي أو  
ولى ، ولا راحة له الا في التعب ، ولا يعلم له نصيب سلامة الا من  
النصب ، وكل ما جرى الى اليوم منا ومن القوم لم يرعه ولم  
يردعه ، وقد قيل انا لم تستطع شيئا ، فدعه ، فكيف السبيل الى

استعطافه ، وما التدبير في استسعافه . وبم ننتـوسل  
ونتوصل . واذا عرفناه ان الداء يعضل . والخطب يشكل لعله  
يحتوي الإقامة ويرحل . فاطلع على ما اسروه ، ومربه ما  
امروه ، وهمه ما به هموا . والله ما به ادوا . فراسلهم بالهيات  
وواصلهم بالصلات ورغبهم فيما عند الله من الزلفى ووعدهم بكل  
ما على أملهم اوفى . وقال لهم كيف نخلي هذا المكان . وما استفرغنا  
في شغله الامكان . وما استنفدنا في مضايقته الوسع ، ولا احسنا  
بعد في محاصرته الصنع ، ولا زحف اليه الجمع . ولا حفز منه  
المنع ، ولا اصابنا من مكر اهله مكروه ، ولا ورد الصبر منه بشفاه  
شفاهه مشفوه ، وكيف تجري بنا الخيل عنه قبل التجريب ، وهذا  
الارب ما يخطر بخاطر الارب ، وما عذرنا الى الله والى المسلمين  
اذا تركناه ، وكيف نقول فانتنا هذا القنص وما ادركناه . والفرصة  
اذا فانت لا تدرك ، والبغية اذا وانت فحقها تملك ، وذواظر الناس  
الى ما سيكون منا في صور صور ، وهذه الظلمة المدلهمة لا يجلوها  
الا نور . ومن لا يتعب لا يسترح ، ومن لا يحترق من الوجد لا  
يقترح . وان تجدوا تجدوا . وان تردوا عن المنهل العدى  
تردوا . وان تصبروا تصيبوا . فارجعوا الى الله وانيبوا . وهذا  
الراجل متواصل . والغرض به حاصل . ونحن نقسمه على المجانيق  
ونوبها . ونلزم كلا منهم ملازمة البقعة التي هو بها . وهذا البرج  
قد ارتفع . والوسع قد اتسع . وقد امتلأت بالرجال طبقاته . وتوالت  
منها في الكفر شقاته . والنصر قد أن أن تطيب نشقاته . والمركيس  
ابعد الله قد قرب ان تخونه ثقاته . ورأينا طول الارواح . لاالتطاول  
الى الرواح . وفي التثبيت على المقام . التوثب على المرام . ثم اخرج  
المال وصبه من اكياسه . وفرقه على ناسه . وانذقه في اهل باسه .  
وواصل البذل وهجر العذل . وملأ الايدي بالغنى . وروح الرجاء  
نجح المنى . وامر فامتثل وقال فقبل . ونادى فسمع . وحشر  
فجمع . وعادت عادة الحصار . واسعدت سعاة الانصار .

## ذكر فتح حصن هونين

وورد الخبر عن هونين انها هانت . وبنا امرها ودانت . وان طريق فتحها بانث . وانها عنت فان الطاف الله اعانت . وانها بذلت ماصانت . ولم تبق للكفر على ساكانت وان شدتها لانت . وكان السلطان قد وكل بها بعض امرائه . وامده بمديي جنده وعطائه . فلبث الى هذه الغاية . يصبها بسهام الذكاية حتى طلب اهلها الامان على الوفاء بما يشترطون . ويشطون منها ولا يشطون . فاول ما قالوا امهلونا حتى نعلم ما يكون من صور . ونكتشف هذه الامور . فان اخذتموها اخذتم هذه . وشفعنا امر السلطان بذفانه . وان خليتموها فياهوان هونين . ونحن نجعل على هذا عدة من الاصحاب مرهونين . فندب السلطان بدر الدين دلردم الياروقي وهو من اكابر عظمائه . واكارم امرائه . وامره باستنزاهم واستزلالهم . والامان لنسائهم ورجالهم . فمضى ورغبهم في الامن والسلامة . وخوفهم عقبي الحسرة والندامة . وقال لهم انتم بين حصنين هما تبنين وبانياس . وماذا تصنعون اذا خاب رجاؤكم وبان الياس . واذا ايتم التسليم عدتم سلامتكم . واقتمت قيامتكم . واستباحكم السلطان واستباكم . وكركم وباككم . وحل بالقتل حباكم . وفل شباكم . فما زال يرغب ويرهب حتى رغبوا ورهبوا . واخذوا الامان على ان يذهبوا . ووصل الخبر الى السلطان وهو على محاصرة صور مقيم . ولقاتلة اهلها مستقيم . والى ما عند الله من نصره مستقيم . وتسلمت هونين بما فيها من عدة ونخيرة . وقوة وميرة . والات وادوات كثيرة . وتسلمها بيرم اخو صاحب بانياس . واستشعر الفرنج منها الياس . وكانت قد بقيت من الحصون التي تعذر فتحها . وبرح بالقلوب برحها من عمل صيدا: قلعة ابي الحسن . وشقيف أرزون . ومن عمل طبرية والفور: صدف . وكوكب . وهما من احكم الحصون وقد وكل بهما اميرين . من خواصه كبيرين . وقد ضيقا على من بهما من العلوج . ومنعا من







والشتاء شتات بقات . وما مع مقامه وثباته مقام وثبات . وسرنا  
عبايد في لبايد . وبين جليد وجلاميد . على الناقورة وطريقها .  
والاثقال قد ازحمت في مضيقها . والاحمال تتواقع . والاجمال  
تتقاطع . والسبل تذسد . والسائلة تترد . وسالكت الخيل الجبل .  
وقطع العسكر طريقه الى المخيم ووصل . وتأخر الثقل . الى ان  
تخلص . وتقدم من سبق وتملص . ووصلنا الى عكا في ثلاث  
مراحل . وقد غطى بحر عسكرنا الساحل . وخيم السلطان على باب  
البلد بجانب التل . نامي الفضل . دائم الفكر في تدبير الامر وتدمير  
الكفر . وانقا من الله بانجاز النصر

### ذكر الحادثة التي تمت على محمود أخي جاولي حتى استشهد هو وأصحابه

ويوم رحيلنا من صور نعي محمود أخو جاولي . وكان من جملة  
الامراء اعف ولي ولي . وعاش مجاهدا زاهدا وعيشه زهيد . وقضي  
صابرا مصابرا وهو سعيد شهيد . وسبب ذلك ان السلطان لعلمه  
بديانته وأمانته . وبأسه وبسالته . ويقظته ونهضته وحزامته . وكله  
بحصن كوكب الذي على الغور . وكانت فيها جمرة الاسبتارية  
القريبة الجور البعيدة الغور . وقد تمنعوا بشدتهم . واشتدوا  
بمنعتهم . وهو حصن لايرام . وركن لايضام . ومعقل لايسامى  
ولايسام . وذروة لا تفرع . ومروة لا تفرع . وعقيلة لا تفرع . وبكر  
لا تخطب . وقلعة لا تطلب . ولما ملك الساحل . وهلك الباطل . ونظمت  
الحصون في سلك الحصول . وظفر الاسلام بالفتح المأمون  
والمأمول . وافتتحت طبرية وأعمالها . وتملكت أغوار تلك البلاد  
وجبالها . تمنعت قلعتا صفد بالداوية . وكوكب بالاسبتارية . وتعذر  
فتحهما . وتعسر منحهما . وقف أمرهما . وأعدى البلاد ضرهما .  
فرتب على صفد جماعة يعرفون بالناصرية . من أهل الابية والنخوة  
والحمية . ومقدمهم مسعود الصلتي أصلقت سعادته منه سيفا

إصليتا . لا يلافت عن لقاء العدو ليتقا . ورتب على كوكب هذا محمودا . وكان بهما أمر الحفظ محمودا . وذلك بعد الكسرة . وصحة النصر . فأحاطا بالحصنين واحتاطا . وظهرت كفاية كليهما بما تعاطى . وكان الحفظ مستمرا . والاحتياط مستقرا . حتى أنس محمود بضعف أهل الحصن . وظن أنهم في غاية الوهن . وسكن إلى سكوتهم . وأغمضت عينه لتوهم إغماض عيونهم . واسترسل فيما حذب . واستسهل ما صعب . وأخل بالحزم . وخلا من العزم . واحتقر عدوه . وحسب من العجز هدوه . وكان مقامه بحصن قريب من كوكب يقال له عفر بلا . وقد أقام به جاما جامعا فيه ما أمر وحلا . وكان ذا بين متين . ومكان من النسك مكين . وهو يسهر أكثر ليله متهجدا . وقد جعل منزله مسجدا . وأصحابه من حوله . يحفظونه بقوة الله وحوله . فلما كان آخر ليلة من شوال . وهي ليلة ذات أهوال . مظلمة مدلهمة كافرة مكفهرة . ليلاء قتماء . بارية مقشعرة . أنوارها بائنة . وأنوارها جائدة . وهزيع جناحها دجوجي . وهزيم ودقها لحي . وسحبها سحيم . وأقطارها دهم . وصبيرها صيب . وصنبرها مشيب . لا يفرق فيها السماء من الأرض . ظلمات بعضها فوق بعض . خرج أهل كوكب وقت السحر . والناس رقود والحراس هجود . والجنود جمود . والانفاس خمود . والهمم ركود . والسيوف اسرار . أضمرتها الغمود . والعدم قد بنا منه الوجود . فما أحس محمود المحمود . وأصحابه الهمود الا بالفرنج وقد سلخوا اليهم . وبركوا عليهم . فقصروا عن الامتناع . ولم يقدرُوا على الدفاع . فجاءتهم السعانة . وفجأتهم الشهانة . وبقي الأمير حتى استشهد محصورا . وكان أمر الله قدرا مقدورا . ونقلوا إلى القلعة ما وجدوه من سلاح ومتاع . وخيل وكراع . فلما عرف السلطان ما أصابهم . احتسب عند الله مصابهم . وأحمد إلى الجنة مأبهم . فندب إلى كوكب صارم اللين قايماز النجمي الصارم المخدم . والحازم المقدم والعضب البتار . والندب المغوار . والأسد الأسد . والأحمى الأحمى . في خمسمائة فارس من ذوي النجدة . والبأس والشدة . فسد الطريق بمضايقتها عنها . ومنع من الدخول إليها والخروج منها . ولم يزل

عليها مقيما . ولحصرها مستقيما . إلى أن يسر الله فتحها . وسهل  
للأمال فيها نجاحها . وسنذكر ذلك في موضعه . وكيف أشرق صبح  
النصر من مطلعته .

ذكر ما جرى بعد نزول السلطان على عكا بعد عودته من  
صور

استأنن الملك الظاهر والده في العود إلى حلب فأنن له وودعه . بعدما  
أمره بكل ما يجب تقديمه من الاستعداد فامتثله واتبعه . وودع الملك  
العاقل وأوجه إلى مصر . مستقبلا الظفر والنصر . وأقام الملك  
الأفضل بعكا مستقلا بالأراء . ومستهدا بالآلاء . مستبدا بتدبير  
أسباب الهدى . مستعدا لتدمير أحزاب العدى . وأقمنا بالمخيم  
لخدمة السلطان ملازمين . ولإقامة شرائطها مداومين . وكل يطلب  
أننا في الانصراف . ويستقيم على نهج الانحراف . حتى خف من  
عندنا من الجند . وثقل علينا عبء البرد وتناوحت الهوج . وتراوحت  
الذلوج . ورجت الدروج . ونجت الذلوج . وارتجز عجاج  
الودق . ( ٨ ) وارتجس نجاح البرق . وجفت الحرجف . وطفح  
الاطف . وتقطعت الخيام وتقلعت الاوتاد . وتجلت بإبراد الجليد  
من البرد الآكام والوهاد . ومال بل وقع عمود السرادق . ودام  
تواصل البوارح والبوارق . وبخل السلطان إلى المدينة . وسكن بها  
في كنف السكينة . مستقيما على المحجة المستبينة . مقيما للحجة  
المقينة . وشرع في إعداد العدد . واستعداد المدد . وإبرام معاهد الحل  
والعقد . واحكام قواعد النين والمجد . وإحياء سنة السماح  
والفضل . وإعلاء سناء الاحسان والعدل . وإفاعة الكرام وإكرام  
الوفود . وإعانة ما بدأ به من إفاضة الجود . وإجازة الراجين .  
وإجارة اللاجين . وإسعاف العافين . وإبعاد العائين . وإبناء أهل  
العلم . وإغناء ذوي العدم . وإنجاح المقاصد . وإنجاز المواعد .

## ذكر رسل وردوا في هذا التاريخ

وكانت رسل آفاق من: الروم، وخراسان، والعراق . عاكفين على بابه .  
قاطفين جني جنابه . واقفين لرفع حجابيه . مستسعين لنعمائه .  
مستعطفين لأبائه . متعرضين لأوابه . متضرعين في خطابه .  
وكلهم يهنئه بما أفرده الله بفضيلته . وخصه بنجح وسيلته .

وأقدره عليه وقد عجز عنه الملوك . وهدهاه الى سبيله وقد تعذر  
بهم اليه السلوك . وهو فتح القدس الذي درج على حسرته القرون  
الاولى . وتقاشرت عنه أيبيهم المتطاولة وتمكنت منه يده الطولي .  
فما منهم إلا من يعترف بيمنه ويعترف من يمه . ويقر بحكم النزول له  
وينزل على حكمه . ويخطب الصداقة في الصدق . ويحقق المظاهرة  
لاظهار الحق . ويتقرب بالوفاء والوفاق . ويتباعد عن الشقاء  
والشقاق . ومن جملتهم رسول صاحب الري قتلغ اينانج بن  
بهلوان . ورسول قزل ارسلان المستولي على ممالكهمذان  
وانريجان، واران . وهو عز الدين الطالبي الطالب للعز . الراغب في  
الفوز . فما من يوم يمضي . وشهر يذضي . الا ويصل منهم رسول .  
ويتصل به سول . وتتجلى غمة . وتتجلى نعمة . وتتجه بشرى  
وتستبشر وجوه . ويكف مكر ويكفي مكروه . ونظر في احوال عكا  
فرتبها . وفي أمورها فهذبها . وفي مضارها فأذهبها . وفي منافعها  
فقربها . وولى عز الدين جرديك بها واليا . وأعاد عطلها بفضل ولده  
الملك الافضل حاليا . حاليا . ووقف بها وقوفا . واجنى المستحقين  
منها قطوفا . وأسدى معروفها . وأعطى ألوفها . وأرغم من الاعداء  
أذوفها . وكانت فتوحه لهم حتوفا . ووقف نصف دار الاسبتار رباطا  
للمتصوفه . وللاوقين من أهل الطريقة والمعرفة . ونصفها مدرسة  
للمتدققه . وللطلبة المتعفة المتنزهة . فجمع بين العلم والعمل .  
والنجاح والامل . وكتب الرزق لهم إلى كتاب الأجل . واتخذ لطلب  
مرضاة الله دار الاسقف بيمارستان المرضي . وأتى بكل ما يحبه الله

وبه يرضي . فلم يبق سنة الا خلدها . ولامنة الا قلدها . ولا أجرا  
الا أجراه . ولا هدى الا أهده . ولا أمرا الا أمره . ولا دارا الا  
أدره . ولا فريضة الا أداها . ولا فضيلة الا اتاها . ولا فرصة  
صواب الا انتهزها . ولا حصة ثواب الا أحرزها . ولا رمم فواضل الا  
أزهرها . ولا أمم فضائل الا حشدها وحشرها . وماترك  
قارئاً الا قرأه . ولا راوياً الا أشبعه وأرواه . ولا حافظ حديث الا  
حفظه من الحدثن . ولا مهندس صنعة الا اصطنعه بالاحسان .  
ولا ناظم مدائح . الا نظم له المنائح . ولا موافياً بقريض إلا وفى  
قروضه . وأعجز عن القيام بحملي حمده نهوضه . وتقدم إلى الوالي  
بالتردد في الاعمال . وتفقد الأحوال . وسد الخلة وتسديد الاختلال  
وتعليل السقم وتسقيم المعتل . وتحليل العقد وتعقيد المنحل .  
فاستقرت بولايته الولاية . واستمرت لرعيته الرعاية . ودرت أفاريق  
الآفاق . ودارت أسواق الارزاق .

ذكر وصول أخي تاج الدين أبي بكر حامد من  
دار الخلافة إلى رسالة في العتب على أحداث ثقلت .  
وأحاديث نقلت . ووشايات أثرت وأرثت . وسعائيات في  
السلطان عثت . في الأحوال . وشعثت . وذلك في شوال .  
ونحن على حصار صور ونزاع ونزال .  
ذكر السبب في ذلك .

لما تم الفتح الأكبر . وخص وعم النجع الاظهر . وقطع دابر  
المشركين . وحط اقبال المسلمين أوزار إدبار الكفر بطين . أمرني  
السلطان بإنشاء كتب البشائر إلى الآفاق . وتقديم البشرى به إلى  
العراق . فقلت هذا فتح كريم . ومنح من الله عظيم . ومملك عقيم .  
وسمو وسيم . فلا يجب ان يكون مبشر دار الخلافة . بما أنزله الله  
لنا من الرحمة والرفاة . الا من هو عننا أجل وأجلى . وأعلم

وأعلى . وأجمع لفنون الفضائل . وأعرف بأداء الرسائل . فلا يوجه  
بهذه الكرامة الا الكريم الوجيه . ولا ينبه لهذه المقامة الا القويم  
النبيه . ولا يرفع العظيم الا بالعظيم الرفيع . فان الشريف يتضع  
شرفه بمقارنة الوضيع . فقال هذه نصرة مبتكرة بكرت . وموهبة  
ميسرة بدرت وندرت . فنحن نعجل بها بشيرا . ونؤخر للاجلال كما  
ذكرت سفيرا . وكان في الخدمة شاب بقداي من الاجناد . قد هاجر  
للاسترقاد . وتوجه بعد وصوله . ونبه بعد خموله . فسأل في  
البشارة الى بغداد . وزعم انه يداوم اليها الاغاذ . وشفع له جماعة  
من الاكابر حتى خص بأشرف البشائر . فقلت هذا لا يحصل له  
وقع . ولا يصل اليه نفع . والواجب ان يسير في هذا الخطير خطير .  
وفي هذه النصرة الكبرى كبير . فان الرسول من يندب للتفهيم  
والتفخيم . ويرتب في الامر العظيم للتعظيم . ثم سار المندوب .  
وشغلت عن ارسال سواء الفتوح والحروب . ولما فتح البيت المقدس  
أرسل ببشارته نجاب . ونفذ بها كتاب . ووصل البشير الجندي .  
فلم تجل به على كفو الجلالة من الهدى الهدي . وحقره . وما  
وقروه . فانه كان عندهم بعين فنظروه بتلك العين وحبوه بما يليق به  
من الرقة والعين . ونقم على السلطان ارسال مثله . وانه لم يعصب  
المنصب في تلك الرسالة باهله . وتسمح المندوب بكلام اخذ عليه .  
وبدرت منه أحاديث نسبت اليه . وقال في سكره . وحالة ذكره . ما  
يعرض عن ذكره . فخيّل وموه . وتذكر وتكره . وظن أن لكلامه  
أصلا . ولقطعه منا وصلا . وانتهت الى العرض الاشرف مقالاته .  
وعلمت جهالاته . وتجنّي على السلطان بارساله . وطرق الى هداه  
ما أنكره من مقال المذكور وضلاله . ووجد الاعداء حينئذ الى  
السعاية طريقا . وطلبوا لشمّل استسعاده بالخدمة تفريقا .  
واختلقوا اذلالا . ولفقوا اباطيل . وقالوا هذا يزعم انه يقلب  
الدولة . ويقلب الصولة . وانه ينعت بالملك الناصر نعت الامام  
الناصر . ويدل بما له من قوة والعساكر . فاشفق الديوان العزيز  
على السلطان من هذه . وبرز الامر المطاع بارسال اخي وانقاه .  
وقالوا هذا تاج الدين أخو العماد . يكفل لنا في كشف سر الامر  
بالمراد فان اخاه هناك . مطلع على الاسرار . وهو منتظم في سلك

الاولياء الابرار . وعول عليه الديوان العزيز في السفارة . ورد معه جواب البشارة . وكتبت له تذكرة بموجبات مقاصد العتاب . ومكررات موارد القرب . والمخاطبة فيها وان كانت حسنة خشنه . والمعاتبة مع شدتها للعواطف الامامية لينة . وذشر الاعتبار في طي العتاب . وروح الارضاء في شخص الاغضاب . ويرد الموهبة في برد المهابة يرد ظن الخطأ الى يقين الاصابة .

وشرف من الديوان الأخ ، فسار وهبـ ويبـ ذخ وقـدـ  
أصحب خيلا ، وأسحب من التشريف والانعام نيلا ، وألحف من  
نور الالهة العباسية نهارا وليلا ، فوصل السير بالسرى وقطع  
الوهاد والذرا وجاء الى دمشق بشارة رائقة وبشارة رائعة واشارة  
رادة وشعار مهيب . وشرع مصيب . وهيبة روعة امامية ، وهياة  
عصمة عصامية وفرند نبوي لاينبو ، وزند وري لايكبو ، ولسان في  
الصرامة جري ، وجنان بالشهامة حري . وبلاغة بابلاغ . مالىس  
بلاغ . وفئة وافية وصيغة بصياغة كل غريبة قول ، ورغبة طول .  
وكافلة كافية وسني نور وقار يستعير منه سنير . وثبات خلق يتخلق  
به ثبير ، وكان قد عاد المندوب نادبا عاديا . جاحدا للنعمة شاكيا .  
ذاكرا أنه عدم الحفاظ . ووجد الاحفاظ . وأكثر الكلام فما حرك  
شمام . وقال أخو العماد قد وصل بكل عتب ممض . وخطب مقض .  
وغضب مغض . وأفظ فظ . وحض على غير حظ . ومعه الملامات  
المؤلمات . والظلامات المظلمات . فقلت له : اسكت واصمت ، وبمالك  
من وسم الوصم مت ، ولا تدخل هذا الباب واخرج ، وليس هذا  
بعشك فادرجـ وقلت للأسلطان سمعا وطاعة لأمر الديوان فان اظهر  
سر العتب لك من غاية الاحسان ، فقال : نعم ماقلت ، وقد طلت  
بارسال أخيك وطلت وما أسعني اذا شرفت بالعتاب . واسعفت  
بالخطاب ، والمملوك ينفعه التأنيب . ويزعه التهنيب . على أننا لم  
نأت الا بكل ماوقى الهدى . وأضعف العدى . وكف الكفر . وأبني  
الدين . ومازلنا في طاعة أمير المؤمنين مجبين . أما فتحنا مصر وقد  
باضت بها دعوة الدعي وفرخت . أما استأنفنا بها تاريخ الدولة  
العباسية بعد ان كانت سنين بسواها أرخت ، أما استخلصت اليمن



المبطلون \* فما عرف مني الا الاعتراف بالعارفة \* وماهزرت منذ  
اعتزرت اعطاف العز الا لما يعزني من العاطفة ، وان شرفي بالنعمة  
السالفة ، يوجب أنفي من هذه الأذفة ، وأما النعت الذي انكر ونبه  
على موضع الخطاء فيه وذكر \* فهذا من عهد الامام المستضيء  
رضوان الله عليه وجري لتحققه مني على الاسنة . ومتي عد سيئة  
ماعد من الحسنه ، والآن كل ما يشرفني به امير المؤمنين من السمة  
فانه اسمي الذي هو اسمي واشرف . واطراً وأطرف وأرفع  
وأعرف . ومازانه ذلك العتب الاخلاص ولأه ، وخصوص اعتزاز  
واعتراف . ثم قال كل ما اعتمد من نصرة اللين وقهر اعداء امير  
المؤمنين فإنما طلبت به وجه الله ورضاه وما تعبدت به سواه . فاني  
افترض الطاعة الامامية للين لا للنينا ، وما اتقوى فيها الا  
بالتقوى . وما في عزمي الا استكمال الفتوح لامير المؤمنين وقطع  
دابر المنافقين والمشركين . واذا عادت عواطفه عطفت علي في الحسن  
العوائد وقطفت القوائد ، وصفت الموارد ، ووفت المقاصد ، وبعد  
الأبعاد ، وبعد الحاسد الحاشد ، وهجر هجر الساعي ، واجرى  
اجر الداعي . وعلم جهل الواشي ، وعذر زعر الخاشي . وجرب غش  
الغاشي . وخرب عش العشي . وذوت هموم ذوي الهمم ، وأوليت  
كرامة اولي الكرم ، وما زال السلطان مدة مقام أخي عنده ، يوري  
في اعظامه زنده ، ويأمر بإكرامه جنده ، فكنت اشفق من تكرار ذات  
البين بعود الانس والوصلة والى الوحشة والبين ، وان جماعة من  
الاكابر اجتمعوا بالسلطان وقالوا له بقدر نسب حقدك الى البطلان .  
ورميت بالبهتان ولمحت طاعتك بعين العصيان . فكيف خفت  
وما عفت . والفتت ومسا انفتت . ورغت ومسا غرت .  
وصبرت وما سبرت \* وأغضيت لما اغضيت \* وأعتبت لما عوتبت \*  
وراقبت وما راقبت .

فقال تذلي للديوان العزيز تعزز به أين . وتوسلي إلى مرضاته  
توصل بالله فيه استعين . فتواضعي ترفع ، وتخشعي  
تورع ، وحبل حبي متين ، ومكان قربي مكين . ومما قلت له  
واوضحت له سبله ، انا كنا بطاعة امير المؤمنين نطول ونصول

ونزاول بها المالك وعنها لانزول ، وهذه فضيلتنا التي رجحت .  
ووسيلتنا التي نجحت وكتابها مسعودين . وعليها محسودين . وقد  
شملت بها بركاتها . وكملت حسناتها . وصفت مشاعر  
يمنها ، وضفت مدارع حسنها ، فلا تلتفت الى من يلفتك ، ولا تثبت  
لمن لا يثبتك ، واعرض عمن تعرض لذهب الخلاف ، ولذوره اجتلي  
واجتني ، ثم ندب مع أخي من سار في خدمته لزيارة القدس ، وامر  
بأن يقف به على مواقف الظهر التي ظهرت من أهل الرجز  
والرجس ، ثم ودعه وأودعه من شفاهه كل ما في النفس وبالع في  
ابداء التضرع والتذرع واظهار التخشي والتخشع ، وانشأت عنه الى  
الديوان كتباً معه وبعده ضمنيتها كل ماحلا وجلا جنة وجده ، وكل  
ما يبطل سوق المتذفين ويعطل ذفاق المتسوقين . ويهجن خلق  
المختلفين . ويزيل تليفق الساعين . ويزيح سعاية الملافين . ويتعرف  
الى العوارف الغزر بالشكر ، ويسستعطف العواطف الغر  
بالعذر ، ويجتهد في استفراغ المجهود للاستغفار ، وينفض عن وجه  
البشر ما عليه من الغبار ، وظهرت بعد ذلك بالقبول آثار الرضا  
ومضى ما مضى وقضى من اعزاز الديوان قدر السلطان بما قضى .

وفي هذه السنة استشهد الأمير شمس الدين بن المقدّم بالموقف في  
عرفة لابداعه رسماً ماعرفه ، فذهب غلطا وعطب فرطاً، وذلك ان أمير  
الحاح طاشتكين انكر عليه ضرب الطبل فامتنع ، فندب اليه من به  
بأصحابه أوقع ، فتمت من هذه الفتنة فترة ونمت ذفره ، ولما نمي  
الخبر الى السلطان لم يبد منه سوى الاذعان وقال لاشك ان  
طاشتكين طاش ، وقصد بعد الايناس الايحاش ، وعد الديوان  
العزیز هذا من ندوب طاشتكين حتى عزله واعتقله بجرأته بعد  
سنتين .

نسخة كتاب جامع للفتح القدسي الأيمن انشأتها  
الى سيف الاسلام اخي السلطان باليمن ،

صدرت هذه المكاتبة الى المجلس السامي ضاعف الله  
علاءه ، وظاهر آلاءه وضافر نعماءه ، وأظفر بالنجح  
رجاءه ، وأضعف حساده ، وأعز أوليائه وأذل أعداءه ولا زالت أيامه  
بالإيمان مسفرة ، ولياليه بالحاسن مقمرة ، ومكارمه بالحامد  
مثمرة ، وعهود مواليه بشكر النعم محكمة ، ومعاهد معانيه بقهر  
الذم مقفرة ، ودالة على البشرى بالفتح الأكبر ، والنجح  
الأزهر ، والنصر الأشهر . والعصر الأبهـر . والفضل الأكثر .  
والافضل الأوفر ، واليوم الأنور ، واليمن الأنضر ، والفجر  
الأسفر ، والفخر الأظهر والجد الأشم الأشمخ ، والمجد الأبلج  
الأبلخ ( ٩ ) ، والعز الأسمق الأسمى . والنور الأنم الأنمى .  
والظفر الأجل الأجل . والوطر الأحـل الأحلى ، والشرف الأسنم  
الأسنى . والعزم الأغـم الأغنى ، والسعد الأجد الأجـدى . والصيت  
الأبدى الأبدى ، وهو الفتح الذي تدفـوح بمحابه مهـاب الفتوح . وتبـوح  
بسر روحه وملكه سرائر الملائكة والروح . وتروح وتغدو غـوادي  
النعم وروائحها الى روض الهدى المروح . وتلوح تباشير بشرائه وفي  
لوح الدهر لكل مؤمن يتلقاها بالوجه السافر والصدر  
المشروح ، وتتوح ناعية الكفر في كل ناحية ولكل نادبة للأسى على  
قتيلها واسيرها ندوب في القلب المقروح ، وهو فتح بيت الله المقدس  
الذي غلق نيفا وتسعين سنة مع الكفر رهنة ، وطال في اسره سجنه  
واستحكم وهنه ، وقوى نكره وضعف ركنه ، وزاد حزنه وزال  
حسنه ، وأجـدبت من الهدى ارضه ، وأخلف مزنه ، وواصله خوـفة  
وفارقه امنه ، واشتغل خاطر الاسلام بأسبيه وساء ظنه ، وذكر فيه  
الواحد الأحد ، الذي تعالى عن الولد ، وإن المسيح ابنه وأربع فيه  
التثـلث فعز صليبه وصلبه ، وأفرد عنه التوحيد فكاد يهيـم مقتنه ودرج  
الملوك الأقدمون على تمنى استنقـاذه فأبى الشيطان غير استـتـيلائه  
باسفار صبح امرنا واشراق مطالع نـفانـه ، ونخر الله هذه الفضيلة

لنا ولهذا العصر . وأنزل على نصلنا نص النصر . وأطلع الليل  
عزمنا فجر الفخر ، ووقفنا لوصول اسباب الاسلام وقطع دابر  
الكفر ، وذلك انا استفتحنا سنة ثلاث وثمانين بقمع اهل  
التثليث ، وأصرخنا الاسلام بالجد المنجد والعزم المغيث ، وخرجنا  
من دمشق في المحرم ، في العزم المصمم . والرعب المجهر الى الكفر  
والباس المقدم . وكنا اشفقنا على طريق الحج . من قصد الفرنج  
فشغلناهم عن القصد بقصدهم . وتصدينا لجهادهم بردهم عن  
المراد وصددهم ، وأقمنا بظاهر بصرى مخيمين على سمت الكرك ،  
وقدما الطلائع الى المناهل ونظمنا ساك امدادهم في ذلك  
المسلك ، حتى وصل الحاج سالما . وذل الكفر عن قصده  
راغما ، ولما فرغ القلب من شغله وقاز كل بجمع شمله بأهله ، سرنا  
الى الكرك في الامراء والمفردين الخواص . وشفعنا للجهاد في سبيل  
الله الفاتحة بالاخلاص ، وقد كنا استدعينا العساكر والجموع  
للجهاد من جميع الجهات . وترقبنا توافيهم للميقات ، وأمرنا ولنا  
الملك الافضل ان يقيم برأس الماء ، ويكون في خدمته جميع الامراء ،  
وسرنا الى الكرك والشوبك فاخربنا عماراتها ، وأحرقنا  
غلاتها ، وقطعنا ثمراتها ، وأزعجنا ساكنيها ، وأخفنا  
أمينها ، وأجلينا عنها فلا حياء . وأقمنا الذوائج عليها في  
نواحيها ، ووصل اليها ونحن بالقريتين العسكر المستدعي من الديار  
المصرية ، فقويت به قلوب الأمة الحممية ، واجتمع بالمخيم الافضلي  
برأس الماء من وصل من العساكر الشامية والفراتية ، والجزرية  
والموصلية والديار بكرية ، فانتهز ولنا هناك فرصة  
الامكان ، وانهض الى الكفر سرية سرية من اهل الايمان ، فساروا  
سارين . واغاروا غارين ، واخذوا ونهبوا . وسبوا وسلبوا فلم  
يشعروا الا وجموع الكفر قد سدت عليهم الطريق ، واخذت دون  
خروجهم الى السعة المضيق ، فثبتوا ثبوت الجبال للرياح  
العواصف ، وشرعوا الى عراني الكفر اسنة الرماح  
القواصف ، وكان مقدم عسكرنا مظفر الدين بن زين الدين ومعه  
مملوكنا قايمز النجمي صارم الدين ، فلقيا بصدريهما صدور  
العوامل ، وحملوا في عسكرنا على الفارس والراجل ، وحصل

الفرنج منهم في دائرة الردى ، وخذل الضلال ونصر الهدى وكثر من  
الفرنج القتل والأسرى ، وعاد المسلمون بالمسرة العظمى والمبرة  
الكبرى ، واتصلت بنا ونحن في بلاد الكرك البشري ، وشكرنا الله  
على نصرته الأولى وقلنا هذه مقدمة الأخرى ، ولما قضينا الوطر من  
تلك البلاد ، ووفينا باحراق اقوات أهل النار بالنار حرق  
الجهاد . فاجتمعنا بأصحابنا القادمين من مصر وتناصرت لدينا  
دلائل الظهور وتظاهرت امارات النصر . عنا الى الشام . وقد  
تكاملت به جموع الاسلام . وزخر بصر القضاة بأمواج  
الاعلام . وطفا على اتباع لجه حباب الخيام وقد فض القضاء ختام  
الفتام وعلق بالفلق من ذلك الفيلق غرام الرغام . فخيمنا بعشرا  
( ١٠ ) شهرا . وقد أعينا بشهر بنات الغمود سرها  
جها . وخطبنا من الله الكريم فتح بكر جعلنا بذل المهج لها  
مها . وقد سمع الفرنج بجمعنا فجمعوا . ونادوا في بلادهم  
فأسمعوا . واجتمعوا على صفورية من صفر . وحشروا في تلك  
الاشهر من جمعهم في الحشر جموع سقر . وأخرجوا صليب  
الصليبوت . وقائد أهل الجبروت . فتهافت الى شعلة ناره  
فراشهم . وتوافى الى ظلة ضلاله خشاشهم . وقاموا وقيامه رعبهم  
قائمة . وسوابج جردهم في بحر العجاج عائمة . وطلائعهم سارية  
وسراياهم طالعه . ومقدمات رعبهم منا السائرة لجذوبهم وقلوبهم  
مقضة خالعة . فلما تكامل منا الجمع . وأخذ بعجابه وعجابه على  
الآفاق البصر والسمع . عرضنا عساكرنا في يوم يذكر بيوم  
العرض . ويتلو مشاهده لتتزل الملائكة ( والله جنود السموات  
والارض ) ( الفتح ٤٧ ) في رايات خافقة كقلوب الأعداء . عالية  
كهمم الأولياء . وسرنا في جموع ضاق بها واسع القضاء . وسار في  
كتائبها نازل القضاء . وسحب نيل الأرض بمثار نفعها . على  
السماء . وقطعنا الأردن . وتأيد الله مواصل . وقدره باقدارنا  
على الأعداء كافل . فما الممنا بسطورية حتى فتحناها  
بالسيف . وبخلناها دخول المفير لا دخول الضيف . وتسلمنا  
المدينة . ونازلنا قلعتها البكر الحصينة . وذلك يوم الخميس الثالث  
والعشرين من شهر ربيع الآخر والخميس يؤم الخميس . وأسد

الوغي قد اتخذت من وشيجه العريس . هذا والملك العادل عنا غائب . ومعها أيضا بمصر كتائب . وتوفيق الله له مصاحب . وكنا عزمنا قبل قصد طبرية . ان نلاقى الفرنج على صـفـورية . في مركزهم ومجتمعهم . ونلابسهم في مخيمهم . فحين نزلنا من الثغر بالاقحوانة ( ١١ ) . وتمسكنا من الله بالاستنجاد والاستعانة . ركبنا قبل قصد طبرية الى الفرنج في مجتمعهم . واشرفنا عليهم في موضعهم . فما برحوا من مكانهم . ولا تحركوا برجالهم ولا فرسانهم . وارتدنا في صحراء لويبة موضعا للمصاف واسعا . وفضاء لأزق الجمعين جامعا . وبتنا هناك باطلال الميمنة وميسرة . ووجدنا بتأييد الله اسباب الظهور وميسرة . ووجدنا في خـواصنا والجاندارية . ونزلنا في العدة المجربة على طبرية . واخذ الذقابون ساعة النزول في الذقب . فصرع قائم سورها للجنب . وبخل الناس اليها ليلا للنهب وكانت ليلة مدلهمة معتمه . وارجاء المدينة مظلمة . فاشعلوا وأوقدوا . وبخلوا الدور وتفقدوا مالم يفقدوا وكانت بها حواصل من زفت وكتان علق بها النار . فاحتقرت تلك المساكن والبيار . وتحصن اهلها بقلعتها . وتمنعوا بمنعها . فأصبحنا على حصرها . وسلكنا جدد الجدد في امرها . فجاءت رسل الامراء . ان الفرنج قد تحركت . وانزعجت اكون عقيلتهم من طبرية تملك . وادركهم الندم كيف تركت وما ادركت . وأنها قد عبت جذودها . وشبت وقودها . ولبت نداء جموعها . وصبت عليها ماء دروعها . وغاضت في غدران سوابغها السابرية . وفاضت ببحار سوابجها الاعوجية . وان جمرهم قد استعر . وان بحرهم قد زخر . وانهم قد اتوا في عبيدهم وعبيدهم . وحدهم وحبيدهم . وخيلهم ورجلهم . وطلهم ووابلهم . وفارسهم وراجلهم . وأحزاب ضلالهم وابطال باطلهم . وانهم حين عرفوا استيلاءنا على طبرية . وسبقنا بفضيلة فتحها البرية . غاروا على العقيلة السبيه . واشعلت نخواتهم نار الحمية . وساقوا الى معترك الردى وملتقى المنية . ولما عرفنا قربهم . قصدنا حربهم . وزحفنا اليهم . واشرفنا عليهم . واللجب

الساري كالجبل الراسي . وقد افاض الحديد من قلبه على الحجر  
القاسي . ولعت بوارق بيارقه . وراعت طوارق طوارفه . وبرقت  
قوانس قوامصه . وارتعت فرائص فرافصه . وأمكنت فرائس  
فوارسه . وباح الحديد على عوابسه بدوساوسه . وماجت بحار  
سلاهبه . واشتعلت نيران قواضيه . وشدت الاجادل دون صوار  
صوارمه . وسدت بعرض افواجه فجاج مخارمه ، وقرنت الالفات  
بلاماته . وظهر من حشره يوم الحشر بعلاماته . فاغتنما الفرصة في  
اللقاء . وهجنا الى الهيجاء . واسترعت الاعنة . واشرعت  
الاسنة . ونقع النقع . ( ١٢ ) أوام الجو . واجاب الصدى دوي  
الدو . وجال الجاليش . وطار السهم المريش . وعصفت رياح  
السوابق . واستعبرت عيون البوارق ، ولقيناهم في عرم-  
عارم . ومجر جارم . وعوامل ج-وازم . وصواهل  
صلادم . وضراغم ضوار . وجوارح جوار . واسود قد اعتقلت  
اساود . وجياد قد حملت اجاود . وسوايح قد اقلت  
بحورا . وصقور قد ركبت صقورا . واوقفناهم نهار يوم الجمعة  
وساكنهم لا يتحرك . وبازلهم لا يبرك . وصفهم لا ينفذ  
وجدارهم لا ينفذ . وبنيانهم مرصوص . وطائرهم عن الطيران  
محصوص . حتى نخل الليل . وقر في الوادي ذلك السيل . وبات  
الفريقان على تمبيتهما . واجابة داعي الموت بتلييتهما . واصبحنا  
يوم السبت واهل الأحسد على حالهم ولم يريموا موضعا  
قتالهم . ومازالت الحملات تتناوب . والاسلات ( ١٣ ) تتواثب  
وتتناوب . والسواعد بقرع الظبي سواع . والرواعف في زرع الطلى  
رواع . والمنايا تن . والبيض تصافح البيض صفاحها . والذكور  
لنتاج الحرب العوان بالفتح البكر عند اللقاء لقاحها . والنوابل في  
اشاجع الشجعان ذواب . والصوارم لجوامح النيران  
شواب . وضماثر الغمود قد باحت باسرارها . ونواظر الجفون قد  
تخلت عن غرارها . ولما احسدوا بأسنا . وامرار امراسنا  
والهجير يتلظى وقد قد عليهم بناره . والا وام يتوقد ولا يتوقى  
احراقهم باواره . مالوا الى طلب الماء . واخذوا طريق البحيرة  
للارتواء . فأخذنا عدامهم ووقفنا امامهم . وحلأناهم عن

الورد . والجأناهم الى الردى بالرد . فاعتصموا بتل  
حطين . وصرنا بهم محيطين . وتحكمت فيهم قواضي  
القواضب . ونشبت من النشاب بهم نيوب الذوائب . وكان جمعهم  
جمرا وقد قد . فصب عليهم السيف نهرا فخمبد . وفضوا  
بالفضاء . وفرشوا بالعراء . وعب دأماء الدماء . وغصت الفجاج  
بالقتلى والاسراء . واسر الملك واخوه . والابرذس الكركي  
ومؤازروه . ووجوه الكفر ومقدموه . ومقدم الداوية  
وأعوانه . وصاحب جبيل واعيانه . وهنفرى بن هنفرى وابن  
صاحب اسكندرونة وصاحب مرقية . ولم يفلت الا ابن بارزان  
والقومص ( ١٤ ) . وتم لهما من الورطة المخلص وكان كلاهما  
ملهما عند اللقاء بالقتال . وعند الفرار بالاحتيال . فاما القومص  
فانه لما مر بطرابلس ادركه الموت في برجه المشيد . ونقله القدر المبيد  
الى عذابه المؤبد . وذل ذلك اليوم أهل الجبروت . وحيز صليب  
الصلبوت . وبار وباد اولياء الطاغوت . وهلك عبدة الناسوت  
واللاهوت . وملك عليهم القدر كتاب الاجل الموقوت . وقدمنا  
الابرذس وضربنا رقبتة وفاء بالندر . وعجلنا به الى النار مأوى أهل  
القدر . والحقنا به الداوية والاسبتارية . وادنا عليهم صبرا  
كؤوس المنية . وروينا ظماء القلبى من نجيعهم . وقربنا سيد الافلا  
من صريعهم . وعدنا الى طبرية فتسلمنا قلعتها . وحللنا عقدتها  
وفرعنا ذروتها . واقترعنا عذرتها . ثم سرنا الى عكا ففتحناها  
بالامان . واعلنا بها شعار الايمان . واستقربنا بعدها البلاد  
الساحلية من جبيل وحد طرابلس الى الداروم غير صور فانها  
امتنعت بسورها . ولم يبق في كأس الكفر غير سورها . وانها  
وجدت فسحة في ايام اشتغالنا بفتح اخواتها . وكثفت من عدد  
المحاصرة الاتها . وكنا لما فتحنا عسقلان بداننا بالنزول على القدس  
وذلك يوم الجمعة ثالث عشر رجب . فـرجفـ  
بها قلب الكفر ووجب . وظن اهلها انهم يعتصمون . وانهم من  
بأسنا يسلمون . فنصبنا عليهم منجنيقات هدت احجار السور  
بسورة احجارها . وائن ركوعها بسجود الابراج في اجبارها .

ووقت الصخور باصراخ الصخرة . وعثرت تلك القلل لاقالة مادام  
بها من العثرة . وكشف النقب وثقب الاسوار . ورممت الجنادل  
جوانب ذلك الجدار . وعلم الكفار لمن عقبى الدار . وايقنوا بالقتل  
والاسار . فخرج مقدموهم متذللين بالانعان . مبتهلين في طلب  
الامان . فأبيننا كل الالباء . الا سفك الدماء من الرجال وسبي  
الذراري والنساء . فخوفوا بقتل الاسراء . واخراب العمران وهدم  
البناء . فأمناهم على قطيعة موازية لاثمانهم لو اسروا او سبوا .  
فأمنوا . من ان يسلبوا وهم على الحقيقة قد سلبوا . ومن وفى منهم  
بالقطيعة خرج بحكم العتق . ومن عجز عن ادائه دخل تحت الرق .  
وعاد الاسلام باسلام البيت المقدس الى تقديسه ورجع بنيانه من  
التقوى الى تأسيسه . وزال ناموس ناقوسه وبطل بنص النصر  
قياس قسيسه . وفتح باب الرحمة لاهلها . وبخلت قبة الصخرة  
لفضلها . وباشرت الحياة بها مواضع سجودها . وصافحت ايدي  
الاولياء اثار القدم النبوية بتجديد عهودها . وشوهد مقام المعراج  
وموطىء براقه . ورثي نور الاسراء ومطلع اشراقه . ودنا المسجد  
الاقصى للراكع والمساجد . وامتلأ ذلك الفضاء بالالتقاء الامجد .  
وطنت اوطانه بقراءة القرآن ورواية الحديث وذكر الدروس . وجللت  
هدى الهدي من الصخرة المقدسة جلوة العروس . وزارها شهر  
رمضان مضيها لها نهار صومها بالتسبيح وليل فطرها بالتراويح .  
وشفى الله بسقيا هذا الفتح ماكان بهم القلوب لاجلها من تبار  
التباريح . فالبيت الحرام مساو للبيت المقدس . مفدى منا كلاهما  
من المهج والانفس بالانفس . وانه من المساجد الثلاثة التي تشد  
اليها الرحال والرجال . ويضيق عن وصف شرفها في حلبة البيان  
المجال . وهو للحرمين ثالث ولا تثليث في حرم توحيده . فتجدد جد  
الاسلام بتجديده . ولما فرغ البال من تدييره . وقضينا حق تقديسه  
وتطهيره . صرنا الى صور . ونازلناها بعسكرنا المنصور . وفي  
صور سؤر الكفر وبقيته . وقد تحصن بسورها ومنعته شرنمته .  
وهي مدينة حصينة . متوسطة في البحر كأنها سفينة . وقد نصبنا  
عليها المنجنيقات فنكات فيها . ورمت من اعاليها وهدمت من  
مبانيها . ولم يبق في جعبة الكفر سوى نشايها . وان جمحت علينا

فتصرة الله وعوائد تأييده لنا تؤنن بأصحابها . واذا تسلمناها  
تسلمنا بأن الله كل بلد للفرنج باق . ومالهم من عذاب الله الواقع  
بهم واق . ثم رأينا ان حصار صور يطول . وان مسألة بيكار  
( ١٥ ) العسكر فيها تعول وان فتحها لايفوت . وله وقته الموعود  
ووعده الموقوت . وكان العسكر قد ضجر ومل وأعيا وكل . وقد نخل  
الشتاء . وبرد الهواء . وجاءت السماء وتواترت الانواء ، وتواصلت  
الانداء . ولا بد من استئناف جمع العساكر في ايام الربيع .  
واستمداد النصر الذي يضم لاستجداد الفتح شمل الجميع . ورحلنا  
عنها بعد ان رتبنا حولها . في الثغور المجاورة لها . من يديم شن  
الغارات عليها . ويواظب على النهوض اليها ، وفسحنا لاجنابنا في  
الاستراحة مدة شهرين الى النيروز . فان في ذلك الايام تتوفر  
العزائم على المبارزة والبروز . وقد جرت المواعدة على المعاودة .  
والمعاودة للمعاودة . والمعاهدة للمساعدة . فليس في الفرنج من  
يقاتل الان على الخيل . والنهار عليهم في اظلام الليل . والعز  
متقلص الظل عنهم والذل صافي النيل . وقد حزب حزبهم من حربنا  
مثير للحرب والويل . وقد اشتمل الفتح على البلاد المعينة . والمعقل  
المبينة . وهي طبرية . عكا . الزيب . معليا . اسكندرونة .  
تبنين . هونين . الناصرة . الطور . صفورية . الفولة . جينين .  
زرعين . دبورية . عقربلا . بيسان . حيفا . صرند . صيدا . قلعة  
ابي الحسن . جبل جليل . بيروت . جبيل . مجدل . مجدل . مجدل .  
حباب . الداروم . غزة . عسقلان . تل الصافية . التل الاحمر .  
الاطرون . بيت جبريل . جبل الخليل . بيت لحم . لد . الرملة .  
قبيتا . القدس . صوبا . هرمس . السلع . عفرا . الشقيف . ولم  
نذكر ماتخللها من القرى والضياع والابراج الحصينة الجارية  
مجرى الحصون والقلاع . ولكل واحدة من البلاد التي ذكرناها  
اعمال وقرى ومزارع . واماكن ومواضع . وقد جاس المسلمون  
خلالها . واسترعوا ثمارها وغلالها . وقد كنا عند قصيدنا البلاد .  
وعرضنا للجهاد الاجناد . كاتبنا اخانا الملك العادل سيف الدين ان  
يدخل بالعساكر المصرية من ذلك الجانب . وينتظر كتابنا بنصر هذه  
الكتائب . فلما بشر بكسر الفرنج وفتح طبرية وعكا . والظفر الذي



الخليل وجميع تلك المعازل والحصون . ثم ختمنا فتوحات هذه السنة  
بفتح الارض المقدسة . والحمد لله على نعمه المفرجة للكروب  
والطافه المذفسة . وقد جعلنا هذه البشارة القدسية . بما هناء الله  
من الموهبة السنيه . وسناه من المنحة الهنية . لملوكنا حسام الدين  
سزقر الخلاطي وامرناه ان يسير فيها من اصحابه . من يقوم فيها  
بحق منابه . والمجلس السامى يشيع ميامنها ببلاد اليمن . ويجلو  
عروسها البكر في حسننها الحالي وحليها الحسن . ويشكر نعمة الله  
التي خصنا بها وعمت الامة . ويديم شكرها فان دوام الشكر يديم  
النعمه . لا زال المجلس مشكور الشكره على الهمة . منصـور  
العزمه . ان شاء الله .

### ودخلت سنة اربع وثمانين وخمسمائة

والسلطان مقيم بـكا وربيب الربيع رضـيع . ووشي الروض  
وشيع . وصنيع القدر نصيع . وشمل الظفر جميع . وفضاء الروض  
وشيع . ومراد المراد مريع . ونسيم الاسحار لاسرار الازهار  
منيع . واريح الجو العليل في شفاء غليل الجوي شفيـع . والدهر قد  
ثمل وافاق . والزهر قد شمل الافاق . وللمحاب مهاب . وفي الشعاب  
اعشاب . وخدود الشقائق محمره . وثغور الاقاحي مفتره . وعيون  
النرجس مصفره . وشفاه المنابع مخضرة . واحداق الحدايق  
الناضرة ناظره . ووجنات الجنات الزاهية زاهرة . وعذبات المنابت  
متموجه . وحافات المناهل متدبجة . وجباه الفدران متغضنه .  
وجفون النوار متوسنة . والافنان مسورقة والورق متفننه . وخد  
الخبري مورد . وحد العراد مجرد . وعرف البهار قد تأرج . ووجه  
الجلنار قد تضرج . وعذار البنفسج قد بقل . وعذر الزمان قد قبل .  
وشارب النبت قد طر . وهارب البرد قد فر . وسر الصيف قد سرى  
وسر . وطبي الطيب قد حفل ودر . وتقاضى السلطان غريم عزمه

ببين الدين . وان ان يصحر ليث بأسه الخادر من العرين . فأبرز مضاربه . وجهز كتائبه . وضرب سرادقه . وعرض فيالقه . ونشر بيارقه . وحشر رواده وبوارقه . واذفق خزائنه . واذفد رفائنه . وبذل في صون الدين بيناره . واشعل في حفظ ماء الهدى على العدى ناره . وسار على سمت حصن كوكب . وعن قصده ماتنكب . ونزلنا عليه في العشر الاوسط من المحرم . ومامنا الا من له بقتال العدى فيه لهج الحب المغرم . ولعزمه وهيغ اللهب المضم . ووجدنا كوكب في سمائها كأنها الكوكب . وظن الفرنج انها لاتنكأ ولاتنكب . وهي من المصاعيب التي لاتبرك ولاتركب . فأحطنا بالحصن وخيمنا حوله . واستمددنا قوة الله وحوله . وزحف اليه الرجال . وتناوب عليه القتال . وركب اليه السلطان ورازه . واستصعب احتيازه . ورأى ان مقاتلته تطول . وان مسألته تعول . وان محاولته في مطاولته . ومصابه في مصابره . واضاقته في مضايقته . وان ماني هذه الحال اقتضى تعذرا فتضاخ عذرتيه . ولاطمع الآن في فرع ذروته . ولاقرع مروته . وكان في خواصه . واهل استخلاصه . لم تتجمع عساكره . ولم تتموج زواخره . فاقام هناك بالتدابير مستغلا وللأشغال مدبرا . وبالأستظهار متأيدا . وبتأييد الله مستظهرا . حتى رتب على قلعة صفد خمسمائة فارس . من كل محرب للحرب ممارس . وسلمهم الى طغرل الجاندار . لرابطها بالليل والنهار . ووكل بكوكب قايماز النجمي في خمسمائة مقاتل . من كل ناصر للحق والباطل خاذل . وكان سعد الدين كمشبه الاسدي بقلعة الكرك موكلا . وبحفظها مكفلا .

## ذكر حال الكرك من اول الفتح

وقد مضى ذكر وقوع ابرئذس الكرك في الشرك . بمعتكر يومه في المعترك . وافتتاح الفتح بحتفه . وبسط كتف الانتقام عليه بقبضه وكفه . وانه اخذ رأسه . وقطعت انفاسه وقلعت اساسه . وكانت



اصحابهما منهما في الدرك . فاستحضر ابنها هذفري من دمشق اليها واقرب رؤيته عينيها . وسار معهم من الامراء الامناء من يتسلم منهم تلك المعاقل . ويحوز من تلك العقيلة العاقلة تلك العقائل ، فمضت اليها مع ولدها . حسنة الظن بأهل بلدها . فلما وصلت قاطعوها . ودافعوها عن حصونها ومانعوها . واخلفوا ظنهم وخالفوها . حيث ما ألفوها كما ألفوها . وجنحوا وجمحوا . واجتروا عليها واجتروحوا . وعصوها وأقصوها . وعددوا عليها الذنوب واحصوها . وأفدشوا لها في خطأ الخطاب . وأوحشوها بالتحكي عن صوب الصواب . وسبعوها وسببوها . وإلى موافقة الاسلام نسبوها . وكلما لا ينتهم خاشعوها . وكلما قاربتهم بايذوها فوجدت ذبوة نوابها . وعدمت أصحاب اصحابها . وذكرتهم بدقوقها . وحذرتهم من عقوقها . ولاطفتهم فغلظوا . واسترضتهم فاحفظوا واسترعتهم العهد فما حفظوا . ونبتهتهم لأمرها فما استيقظوا . وانفصلت عنهم خائبة مخدقة . هائبة مشفقة . تخشى من رد ولدها الى السجن . وعودها من الاصحاء الى الدجن . ومضت الى الحصن الاخر . فحصلت منه على صفقة الخاسر ، فانها لما المت بالشوبك ألت من شوب كدرها واملت نفعها فعابت بضررها . ولقيت من نوابها نوائب . وفي موارد المراد منها اقذاء وشوائب . فأبت بالامل الخائب والعمل العائب . والخوف الصادق والرجاء الكاذب . فلما رجعت قبل السلطان عذرها . وازال نعرها . وأعلمها بان ولدها محفوظ . وبالرعاية ملحوظ . وبالعناية به محظوظ . وهو في حصن السلامة الى ان تتسلم الحصون . واذا بذل مصونها بذلنا لك منه المصون . فسكنت الى الوعد . وسكنت بعكا في ظل الرغد والرغد . ثم انتقلت قبل خروجنا من عكا . الى صور . واستودعت السلطان ابنها الماسور . وأمد السلطان سعد الدين كمشبه في حصار الكرك والشوبك بامراء يساعدونه في الحفظ واليذك . فأقام على كل قلعة من يكفي لحاصرتها . ويفي بمصابرتها . ويلبث في مقابلتها . ولايعبث بمقاتلتها . فانها تبقى على قوتها مالم تقو ( ١٨ ) من قوتها . وتدوم على طغيانها مالم يذل عز طاغوتها . فلما رتب

- ٥٩٢٠ -

السلطان هذه المراتب . ورب هذه المنابر . أقام حتى وثق  
باستمرارها وتحقق حق استقرارها .

### ذكر مدينته في عمارة عكا

اختلفت الآراء في أمر عكا فأنها كانت مدينة متخرقة . وبيوتها  
متفرقة . وسورها غير معمور . ومعظمها بلا سور . وأما أن في  
أبقائها خطرا . وأن في إخلائها ضررا فمن أصحابنا من أشار  
بخرابها وحفظ الحصون . وبناء قلعة القيمون . ومنهم من قال إذا  
صينت عكا ملك البحر . وهلك الكفر . وكانت على البلاد الساحلية  
قلا . وكانت بها بلاد الكفر غفلا . فمن قائل بإبقاء برج الداوية  
لحفظ مينائها . ومن قائل نختصرها من أنهارها . ومن قائل نجدد  
سورها . ونحكم أمورها . ونقيها بحالها . ونعمرها بكمالها . على  
أن أسوار هذه البلاد سيوفها التي هي عند الفتوح مفاتيح أقالها .  
وأجالوا الفكر فيمن يجلي غوائلها . ويحلي عواطلها . ويتوحد  
بتدبيرها . ويتفرد بتعميرها . ويجتهد في تسويرها .

### ذكر وصول بهاء الدين قراقوش لتولي عمارة عكا

فقال السلطان: ما أرى لكفاية الأمر المهم . وكف الخطب الملم . غير  
الشهم الماضي السهم . المضيء الفهم . الهمام المحرب . النقيب  
المجرب . المهذب اللوذعي . المرجب اللمعي . الراجح الرأي .  
الناجح السعي . الكافي الكافل بتذليل الجوامح . وتعديل الجوانح .  
وهو الثبت الذي لا يتزلزل . والطود الذي لا يتحلحل . بهاء الدين  
قراقوش الذي يكفل جاشه بما لا تكفل به الجيوش . وهو الذي أدار  
السور على مصر والقاهرة وقات وفاق الفصول بأثار مساعية  
الظاهرة . فنامره أن يستنيب هناك من يستكفيه لتمام تلك العمارة .

ونؤمره لهذا الامر فهو جدير بالامر والامارة . وكوتب بالحضور .  
لتولي الامور . وعمارة السور . فوصل متكفلا بالشغل . متحملا  
للثقل مشرح الصدر بالعمل . مذسح السر والامل . مبتهجا بالامر .  
ملتجعا بالشكر . وقد استصحب معه كل ما يفتقر اليه من اسباب  
العمارة والاتها وأدواتها . وانفارها وأبقارها . ورجالها وعمالها  
وعمارها . ومهندسيها ومؤسسيها . وحجارتها ومعماريها .  
والاسارى والصناع . والنحات والقطاع والمال الكثير للنفقة والذهب  
الابريز والرقعة \* ومثل بالخدمة السلطانية على كوكب . وحضر  
الموكب وشرف باسني الخلع وأعطى الملابس والمركب وفوض اليه  
وقلده \* واسعفه من عنده واسعده \* وقوى جانبه \* واعذب مشاربه  
وأوضح مذهب \* وانجح مأربه \* وأجد جده . وكثر مدده \* ووفر  
عدده وعدده \* وخصه بعطايا \* واستخلصه لوصاياه \* فتوجه الى  
عكا وشغله متوجه \* وعزمه متدبه وسره متفرقه \* وفكره في رياض  
الهدى متنزه \* وامره ماض وحكمه قاض \* والله عنه راض \* وقام  
بما أقيم له \* ونهض بالعبء وحمله \* ومشى بكفايته عمله \* وشرع  
في التعمير والتسوير \* وتسوية الأمور بحسن التدبير \* وسياتي  
شرح ما جرى بعد ذلك في مكانه \* وما ظهر من حسن اياته  
واحسانه .

ذكر وصول رسول سلطان الروم قليج أرسلان وغيره  
من الرسل .

لما شاع خبر السلطان باستيلائه على البلاد . واستعلائه في  
الجهاد . وتارجت الارحاء بعرف عرفه . وأرخت السير بمحاسن  
وصفه . عنت الامصار لمصره . وأعنت الاملاك لملكه \* وانقادت  
الامراء القادة لأمره . وعادت مهاب المحاب تقووح بما له من الفتوح .  
وشروح ايرانه واصداره تحل في صدر الزمان المشروح فتهيبه  
بالضراعة كل عظيم . وتأهب له بالطاعة كل اقليم . ورهبه ملوك  
الاطراف . وتعلق باستزادة الشرف منه اهل الاشراف . فكاتبوه

مستسعين . وخاطبوه مستعطفين . وراسلوه بالتحايا . وواصلوه بالهدايا . ورغبوا في امتراء خلاف الامتزاز . والاتشاح والالتحاف بخلاف الاتشاح . وخطبوا الوصلة . وطلبوا الصلة . وكل يطلب لبله منه امانا . وليده وقدمه من تمكينه وتأييده امكانا ومكانا . ويتوصل ويتوسل . ويتلطف ويتطفل . ويرسل ويسترسل . ويترجى مواهبه . ويتخذى عواقبه . ويديم التردد للتودد . والقصد لبلوغ المقصد . فما يعود رسوله الا بسوله . ولا يقبل عليه منه الا بقبوله . ومن جملة الملوك المقربين بالوداد . المتسببين الى حصول الاتحاد . سلطان الروم قليج ارسلان بن مسعود بن قليج ارسلان . فانه بذل الانعان . وسأل الاحسان . وأدى في المودة الامانة . وأبدى للرغبة الاستكانة . واستنهض في سفارته السفير الالب . وندب النذب . وأنفذ أكبر أمرائه . وأعظم سفرائه . وهو اختيار الدين حسن بن غفراس . وكان في دولته مقدما . وفي مملكته محكما . وعند أهل ولايته معظما . وقد استعلى عليه واستولى . واستبد بالتدابير عليه كأنه بمالكة أولى . ولا تصرف له في ملك ولا مال الا بتصريفه . ولا تعرف له عن حادث وحال الا بتعريفه . فوصل هذا الكبير بنفسه لتمهيد القواعد . وتشبيد المقاصد . وتجديد العهود . وتأكيد العقود . وقدم مكرما وأكرم قادما . وخدم حاضرا وحضر خادما . وقبل البساط وبسط وجه القبول . وتمثل له الشرف فتشرف بالمدلول . وحيا تحية المماليك للملوك . وحفظ الادب ولم يتنكب فيه عن النهج المسلوك . فتلقاه السلطان بالبشر والترحيب . والبر والتقريب . وأعزه بنزوله في ذراه . وأوعز بنزله وقراه . ووسع عليه من الانعام بما ضاق عنه أمله . وواصله من الجميل بما راقته تفاصيله وجمله . وشفع رسالته بالاصفاء . ورفع مقالته عن الالغاء . وسمع ما جاء به وأجابه . وأبعد بانداء مآربه مارابه . وشافهه بشفائه . وأرواه بروائه . وأولاه لولائه . وعرفه بالتعريف الى الآئه . ونصبت له خيمة مسرده . شهادات الاقبال الناصري لها مصدقة . ووجوه الكرامات بها محدقة . وسحب المبرات لها مفدقة . فأقام أياما بايامن مقيمه . ومحاسن من احسان الشيم السلطانية مشيمه . فلما استقام أمره استقل . واستدر له بارق البر من سماء السماح

واستهل . ومارام حتى نال مارام . ووثق لاحكام المواثيق الاحكام .  
ووصل في تلك المدة أيضا الصلاح قتلغ أبه . وهواتابك قطب الدين  
سكمان بن محمد بن قرا أرسلان وافيا موافيا . باحسان الخطبة  
وخطبة الاحسان . راغبا في تميم الوصلة . وتعميم الصلة . أخذا  
لصاحبه ملك بيار بكر عهدا محكما . وعقدا من الميثاق مبرما .  
وقد أحضر قضاة بلاده شهودا . واقتضى لصاحبهم بحضورهم  
عهودا . وكان قد خطب لصاحبه ابنة الملك العادل . ومث بكثرة  
الشوافع والوسائل . وكان خائفا على آمد فانها من فتوح  
السلطان . ووهبها لأبيه نور الدين بن قر أرسلان . فاشفق من  
استرجاعها بالحق بعد وفاة والده . ورأى الامن عليها وعلى جميع  
بلاده من أكبر مقاصده . ورغب في المصاهرة للمظاهرة . وان يفتح  
بها باب المزاورة للموازرة . فأواه الملك العادل الى ظل هذه  
المواشجة . وثبت بعقد المزاوجة حكم الممازجة . فتم أمنه . وعم  
يمنه . وزاد قربه . وزال رعبه . وجلس السلطان . وحضر عنده  
الامائل والاعيان . ووكلني وكان وكيل أخيه الغائب . في انشاء العقد  
مع وكيل الزوج الراغب . فلما تم العقد باركانه . اعتضد ملك بيار  
بكر بمكانه . وسار صاحبه بالاسار مصحوبا . وعاد نيله بالفخار  
مسحوبا . وقال له قد وجدت الحزن فلا تحزن . واشتد ركك فالى  
سواه لاتركن . ومامن كبير أو أمير الا وقد وصل منه أكبر أمرائه .  
لينتظم بعهد السلطان في زمرة أوليائه .

### ذكر رحيل السلطان صوب دمشق

وأقمنا على كوكب الى اخر صفر . ننتظر منها بمن كفر الظفر . ثم  
رأينا انه يطول حصرها . ولايقوت أمرها . وان الفتح يبطيء . وان  
كان السهم لا يخطيء . فأمر الامراء الموكلين بها وبغيرها من  
الحصون . بالمقام عليها وابتذال سرها المصون . ورحل السلطان  
نحو دمشق طاهر الشيمة ظاهر العزيمة . سامي اللواء . هامي

الانواء • نامي الانوار في مطالع المضاء . ودخل اليها يوم الخميس  
سادس شهر ربيع الاول . بالصدر الارحب والباع الاطول . وتلقاه  
أهل البلد بوجوه لاقباله متهلة . وأسنة بالدعاء له مبتهلة . وعيون  
لأنواره مجتليه . وقلوب بولائه ممثليه . واسماع لامره مستمعه .  
وأيد إلى الله في نصره مرتفعة . وصدور بايامه مذرحة . وأمال في  
انعامه مذفحة . وذفوس على طاعة الله في طاعته مجبولة •  
واعمال في رضا الله لمراضيه مبرورة مقبولة . ودخل المدينة . وأدخل  
اليها السكينة • فوجدت الروح بسلاطنتها . وعادت الروح الى  
جثمانها • وقرت به عيون أعيانها . واقرت له بحسنها واحسانها .  
وابتدا بالجلوس في دار العدل . وبحضرة القضاة والعلماء من أهل  
الفضل . واسترفع قصص المتظلمين . واستمع غصص المتألمين .  
وكشف الظلمات المظلمة . وفصل الحكومات المستحكمة • وقرأ كل  
قصة . وقراها بكل حصة . وحقق الحقوق . ورتق الفتوق • وأقام  
للشرع السوق . وأتم لرجال الرجاء بعدله الوثوق . وحل بانصافه  
كل مشكلة . وطب بأسعافه كل معضلة . واصحت سماء السماح .  
وأصبح جماح النجاح • وأعدى المستعدي • وأروى الصدي .  
وحيا الحي وأورى الردي . ومجد المجدي • ومهد الحق حتى قيل  
هو المهدي . فما انقضى ذلك اليوم . وانفض أولئك القوم • الا عن  
مظلوم أجير بالحق . ومعلوم أجري من الرزق . وعالم أعين . وظالم  
أهين . وهاد زين . وعاد شين . ومختل سدد ومنحل عقد ومعتل  
شفي ومعتز كفي • وما حل جيد • وأمل زيد • وركن حق شد  
وشيد • وخن باطل أبير وأبيد • وراح أننى فوزه . ولاح أسني  
عزه • وجلس يوما آخر للأكابر والامائل . والاكارم والافاضل .  
فاضاء الناني وفاضت الايادي • وغدق الندى وصدق الهدى . وكر  
الكرم . وفر العدم . وحفل الدر ودر الحفل . وشمل النظام وانتظم  
الشمل • وصان العلماء بالبذل . واعان بافضاله أعيان أهل  
الفضل . وفاز بالحمد وحاز الثناء . واجاز الشعراء واكرم  
الكرماء . وروح الرجاء . وأولى النعماء . ونعم الاولياء وتقاضاه  
عزمه بالحركة لاستفاضة البركة . واستضافة المملكة الى المملكة .  
فلم تستقر به دار • ولم يدر به قرار . ولم يثبت في جفنيه غرار . ولم

يبت الاوبين جذبية لحب لقاء العدى اهل النار نار . وكان الصافي  
ابن القابض قد استجد للسلطان على بعض أبراج القلعة دارا .  
وأذهب في نضارتها ذهباً ونضارا . وهي متطاوله بين البروج مطلة  
على المروج ، مشرفة على موازاة الشرفين ، كاشفة غطاء النظر عن  
الغوطتين . صحيحة البناء ، فسيحة الفناء . بهية البهو . شهية  
الزهور . مجدة لأهل الجد ذكرى اللهو . فرشها بماء الورد .  
وفرشها بالورد . وبسط بسطها وعلق ستورها . وأعلى زورها .  
وحبر حبورها . وسرى سرورها . وسنى انواع نمارقها . وأسمى  
أدوار مشارقها . وتوصل الى حضور السلطان بها وجلوسه .  
ونهب تابشير بشره بقطوب الزمان وعبوسه . واحضره كل مقرظ  
بقريض . وكل مؤمل بتصريح وتعريض . وكل ناشد ضالة رجائه  
بذشيد . وكل قاصد جلالة ارجائه بقصيد . وكل مفرد مغرب . وكل  
مطر مطرب . وظن ان السلطان تروقه تلك الحلية والحالة . وتلك  
الجاوة والجلالة . وتلك البقعة المؤسسة . وتلك الرقعة المقدسة .  
وذلك المشرف العالي . وذلك المشرف الحالي . وانتظر نظـر  
استحسانه لاحسانه . وتوقع تمكينه لموقع مكانه . فما اعاره لحظا .  
ولا لمحة بطرف استطراف . ولا منحه حرف استعطاف . بل اعرض  
بنظرة عن تلك النضارة . وأغضى عن تلك الغضارة . وغض عن تلك  
الغضاضة . واشتغل عن تلك الرياض بالرياضة . فالعاقل من  
لا يتخذ من دار الدوائر معقلا . ولا يجد في منازل الدوازل منزلا . ولا  
يركن الى فناء الفناء لييب . ولا يسكن في غار الغرور اريب . وكيف  
يبني العمران والعمر الى الهدم . والغم في الدنيا الدنيئة عين الغم .  
وقال السعيد من يبني دار الآخرة . وينجو من أمواج الدنيا  
الزاهرة .

ثم صرف في تلك الايام الصافي عن ديوانه . وابقاه في شغل الخزانة  
على مكانه . وسمعه يقول في بعض محافله . وقد أجرى له حديث  
من يفرح بمنزله ؛ كان من نذوب الصافي عندي انه بنى لي تلك  
البنية . فدل على انه لم يوافق منه الامنية . وقال ما يعمل بالدار من  
يتوقع المنية . وما خلقنا الا للعبادة . والسعي للسعادة . وما يخطر



ممن عنده علم من الكتاب . ثم استودعه الله وودعه . ودعا له الاجل  
الفاضل وشيعه . وبات تلك الليلة مخيما بالعرادة . محتما بالسعانة  
راجع السيادة . ناجح الارادة . ثم سالك في جبل يبوس الى عين  
الجر الى الدلهمية . على البقاع . وهو مطيع امر الخالق ومتبعه  
والخالق تابع امره المطاع . واتى بعلبك المحروسة . وخيم بمرج  
عدوسه . واقام حتى امر امرها . وادبرها . وقسم لها من عدله .  
وعدل بها من قسمه . وحكم فيها بفضله . وأفضل عليها بحكمه .  
وكشف الظلم والمظالم . وصرف المكاره . وصرف المكارم . ورفع من  
المعالي المعالم . وأجرى رسوم الاجر والمراسم . وامر الرعاة برعاية  
امر الرعية . وحكم على القضاة بالحكم في كل قضية بالجهة  
الشرعية المرعية . ثم رحل على سمت اللبوة . معصوم الذبوه .  
مصون الكتيبة من الكبة والكبوة . ثم اوجه الى الزراعة وزرع الظفر  
قد توجه . وشرع النصر الصافي الشرعة من الكدر قد تنزه ، وقد  
كحل عتير العسكر طرف الجو الامر ، ( ١٩ ) وقد آن لعين الشمس  
الراقدة من الهبوة ان تعاد الهبوة وتتنبه ، وزرع من الزراعة من  
السمر المركوزة والبيض المهزوزة نبات الخط . وقتاد الخريط وضاق  
ذلك الفضاء الواسع بحط رحال الرهط .

## به ذكر وصول عماد الدين صاحب سنجار والاجتماع

ووصل الخبر بان عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي وصل جامع  
من الاداني والاقاصي ، ونزل طائعا على العاصي . وخيم على قدس  
( ٢٠ ) وخيمه قد تقدس ، والدين بدونه تأذس ، والكفر بقدمه  
تعكس ، وانه ينتظر قدوم السلطان والاتفاق معه ، على قهر الشرك  
ونصر الايمان ، فركبنا وابن ذكاء في اسفاره ، والصبح قد زحف  
على الليل برايات انواره ، والفجر قد فجر انهاره نهاره ، وسرنا  
بصدق النزاع ، وقصد الاجتماع ، فلقيناه قد ركب مستقبلا ، وقرب  
مقبلا ، ولما راه السلطان حياه ، ولقيه بالكرامة واكرم لقاءه ، ونزلا



السلطان برحبه . وقرب له السرير وسر بقربه . واجلسه الى جنبه .  
وحباه بحبه . واقبل عليه بوجهه وقلبه . وجلس من جرى بالجلوس  
رسمه . وسما في الرؤوس اسمه . ووقف الامراء والحجاب .  
والعظماء والاصحاب . على مراتبهم في مواقفهم . ودب الاعتزاز في  
معاطفهم . وكان النادى مهيبا . والندي مجيبا . والذرا رحيبا .  
والقرى قريبا . والظل ممدودا . والفضل مورودا . والحقل حافلا .  
والشمل شاملا . والبساط مقبلا . والنشاط مقبلا . والمرئي عاليا .  
والمسموع مطربا . والمجموع مقربا . والمنظر والمخير جليلا جميلا .  
والمطلع والمطلب منيرا منيلا . والمكان عليا . والزمان  
جليا . والربيع في انتهائه . والصنيع في اشتهائه . والمصيف في  
ابتدائه . والمضيف في انتدائه والنعيم في نضرته . والاريب في  
اربه . والطروب في طربه . والضرب من الخلق الحسن في  
ضربه . وكانت ايام المشمش وقد وصلت من دمشق  
احمالها . وحلت في تلك الحالة حالها . واقدم الجذل  
قدومها . وطلعت في ابراج الاطباق نجومها . كأنها كرات من التبر  
مصوغة . أو باورس مصبوغة . صفر كأنها ثمار الرايات الناصرية  
حلاوذوقا . واحل شوقا . ولو نظم جوهره لكان طوقا . وهو احلى  
من السكر . واعبق من العبير . واحسن هيئة من النارنج  
الأحمر . والليمون المركب المدور . وقد زفت عروسه في الثوب  
المعصفر . والخمار المزعفر . كأنما خرط من الصندل . وخلط  
بالمندل . وجمد من الثلج والعسل . فهو الذي يضرب بضربه مثل  
الثل . ويقضب من قضبه لقب القبل . ونظر منه ما نضر . وما  
حظر ما حضر . ورثي هناك لقطوفه قطاف . ولطوافيره  
طواف . ولعقوده مصارف . ولنقوده صيارف . فكأنها وجوه  
العشاق اكتست اصفرارا . أو جمرات تشتعل نارا وتبدي  
شرارا . وقد اعاد لجينها صواغ القدرة الالهية نضارا . بل هي  
احداق الحداق . وقلوب البوارق . ووجنات الجنات صبغها بلونه  
البرق . وصفرها من خوفه الرعد ودورها بوقده الودق . لابل اصفرت  
من مهابة الجنات الجناه . وانتظمت من جواهر الحيا  
الحياة . واضطربت لهاها شوقا الى فتح الالهة . ثم صرفت



والترائك . والبواتر البواتك . والدلاص الموضونه . والنصال  
المسذونة . ومن المستعملات المصرية الذهبية والحريرية . والملحم  
والديقي . والمصمت والمغربي والعراقي . ومن نسج تـونة  
وتنيس . كل ثمين ونفيس . وما شاكله من انواع الطيب . على  
النمط والترتيب . ثم انصرف وعرف حمده متضوع . وعرف جده  
متدوع . وشدو شكره وعطف فخره مترنم مترنج . وامره متحبر  
متربح . ووده متـرح مترجح . ودعاؤه صالح . وثناؤه  
صادح . ولسانه داع . وجنانه واع . وعهده راع . وسعده  
ساع . وتصاحب هو والسلطان في الركوب والجلوس . والتناجي  
بما في النفوس ، والتدبر فيما يقدم ويؤخر . ويقرب ويقرر . ويورد  
ويصدر . وتكررت المشاورة في الموضع الذي يبتدأ بقصده . ويوفي  
العزم فيها الجهاد حق جهده . واتفقوا على عرقا وعرقها  
وعقـرها . والنزول بعقـرها . وانها اذا ملكت ملكت  
طرابلس . واسفر عن صبح فتحها الفلاس . واقام العسكر اياما  
على قدس . وبقبس النصر قد تأنس . ولسناء الظفر قد  
توجس . واتى العرب . وواتى الارب . واجتمعت الجيوش  
وجاشت الجموع . وأن الليل العزم المدلج من صبح النجح  
الطلوع . ونبعت الفيوض من النعيم وفاض الزنبوع . واينعت ثمار  
المبار وطابت اليزوع . ثم رحلنا اول شهر ربيع الآخر الى البقيعة  
تحت حصن الاكراد وخيمنا على الربا والوهاد . وصوبنا الى  
الجهاد هـ وادي الجياد . وادينا قطاف الطفاف الله لاجتناء  
الاجناد . وكانت الاعشاب بالشعاب واصية . والشوائب من  
المشارب قاصية . والقضب للقرب في طاعة الله عاصية . وطار  
الرعب . وثار العجم والعرب . وخاف الكفر . وطاف الذعر . وقال  
ذفر الشرك ذفر . ولاستقر . وتشاوروا وتشاوروا . وحاوروا  
وتحاوروا . كأنهم في قبور حصونهم اموات . لا ترتفع لهم من  
الوهل والوله اصوات . واجمعنا على دخول بلد الساحل على  
التجريد للتجريب . وجوس خلال البعيد والقريب . ثم تجرد العسكر  
عن الاثقال . وتجراً على اخذ اهبة القتال . وسار السلطان ومعه  
عماد الدين زنكي . وسيفه بصقاله يضحك وبدم الكفر

يبكي . ومظفر الدين كوكبوري . وهو الذي حين يوارى صارمه  
المشهور في نجيع العدى لزند الظفر يوري . وصحبه من فرسان  
العرب كل فارس معرب . ومن شجعان الاكراد كل فاتك  
محرب . ومن فتاك الاتراك كل قسور قاسر . ومن صيد الصنايد كل  
كسروي كاسر . وكل كمي كميش . واكديش على اكديش . وقارح  
على قارح . وخضم على سابح . وجري جار جارح . وبهمة  
وبطل . وجبل على جبل . وفحل على فحل . وذمر نكل وورد على ورد  
ومرد على جرد . وحلس وحلبس . وياشر بالدوت معيس . واهيس  
اليس . واحمي احمس . وغشمشم همام . وايهم مقدام . وباسل  
ذي باس . وعاسل عاس . ورئبال على رئبال . ومشتمل على  
شكال . وبحر على بحر . وصقر على صقر . وركبوا  
سلاهبهم . وجذبوا جنائبهم . وجروا على الساحل سيولا . وجروا  
بالذوايل نيولا . وطار ابليس طرا بلس بخواني الخوف . ودام  
الجوى في رعب اهلها بدم الجوف . وماسار الا من خف في  
نهضته . ونهض بخفته . واحدس حصن الاكراد بالاكراد . وصفت  
على صافيتا بوارق البوار . وقطع عرق عرقا وعقرت . وتعمرت  
العريمة وتعرقت . ومزعت تلك الاعمال ومزقت . وارهقت  
وازهقت . ونفرت انفارها . وبقرت ابقارها . وملئت بالدوائر  
ديارها . وسيقت مواشيها . وحشيت بالنيران اوساطها  
وحواشيها . ونزل السلطان على حصن يحمور فما قدروا  
يحمونه . وابتذل مصونه واستخرج مكذونه . وفتحته  
ومتحه . ومساه بالدمار وصبحه . واقام في تلك الليار عشرة ايام  
يجوسها ويدوسها . وقد حيزت له نفائسها وذفوسها . ثم رحل  
بمغنمه . وقفل الى مخيمه . وعاد العسكر مسرورا  
منصورا . محبورا موفورا . قد اطلع من تلك البلاد على  
العورات . واضطلع بالغنائم في تلك الغارات . ونكا منها في الاعمار  
والعمارات . وانقضى شهر ربيع الآخر وذلك المرح يموج بالعساكر  
موج البحر الزاخر . وقد وصل قاضي جبلة يحث على  
قصدها . ويحض على انجاز وعدها . ويحرض على اعذاب  
وردها . ويحقق ان الظفر في هذه السنة يبتدىء من عندها . ويقول

ان الاشتغال بطرابلس مع احترازها واحتراسها . وكثرة  
ناسها . وتدرعها بلباس باسها . واستعدادها للحصار . وتجذبها  
عن الاصحار . يذهب الزمان . ويفوت الامكان . وهذه جبلة وما  
وراءها من المعاقل . قنيسة الحابل . وفرصة للمتناول . ولهنة  
للآكل . ونغبة الناهل . وامنية للعاقل . لم يفتدع عذرة امنها  
ذعر . ولم يفتأ سورة نفعها ضر . ولم يقرع باب يسرها عسر . فان  
سلكنا سبيلها . ملكنا سلسيلها . وان جزنا ساحتها . حزنا  
راحتها . وان استقدنا ملكها ملكنا قيادها . وان اعتدنا حواءها  
حويها عتادها . وان افتتحنا بها فتحناها والمسلمون بجبلة  
مجبولون على التسليم . مؤملون ان يتبدل شقاؤهم مذكم بالنعيم .  
فهرقناه بصحة نصحه . ورقعناه بحجة نجحه . واصفى السلطان  
الى قوله . واصفى له ورد طوله . واقبل عليه وقبله . واجزل له  
العطاء واكملة . وكان قد وصل له مقدمو جبل بهرا . وفور لهم  
رواتبهم واجرى . وخلع عليهم وشرفهم . واسعدهم بالماهوب  
واسعفهم . فندبوا الى اتباعهم . وكتبوا الى اشياهم . واجمع  
السلطان على دخول الساحل بتلك العساكر الجاهل . ورحل يوم  
الجمعة رابع جمادى الاول . حافل الجحافل سامي القسطل . ماضي  
المنصل . فسرنا في اجام مؤتشفه . واكام معشبه وحزن  
وسهول . وشعاب وتلول . ومعالم ومجاهل . ورواب  
وهواجل . ومغايض وغياض . وارتفاع وانخفاض . حتى خرجنا  
الى ساحة الساحل . ونزلنا بها ومبارك مبارنا مواحي رسوم تلك  
الذواحي المواجهل . ومعنا احمال واوساق . واثقال  
واسواق . وازواد وامداد وعدد واعداد . والخيل عرمرم . والسيول  
عرم . والمجر لجب . والغيل اشب . والاسد في عريس من الاسل  
العراص . والفوارس الصلاد في غدران من السوايح الدلاص . وقد  
نشأ العجاج كعجاج النشاص . فاندحت بدلولنا معاقد  
المعاقل . واعتلت باستيلاء فحولنا عقائد العقائل . وحلت لخطبه  
سيوفنا كرائم الحوالي والعواطل . ونحسن في استباحة  
واستباء . واصطلام واصطلاء . وارتياح وارتياح . وقتك  
باعاء . وسفك لدماء . وبتك لرقاب ذوي الفجور . وهتك لحجاب

ذوات الخدور ، ننال من العدو كل نيل وتديير عليه في داره دائرة كل  
ويل • فما نقطع الا واييا يغيظ الكفار ، ولانحضر الاناديا نزيدهم  
به الدمار ، وسرنا الساحل الساحل ، في ثلاث مراحل ، حتى  
وصلنا الى انطراطوس يوم الأحد سادس الشهر ، فاحدقنا بها من  
البحر الى البحر ، وزحف اليها الناس ، وحفر عليها  
الباس ، وخاب رجاء رجالها وخب نحوها الياس ، وقابلتنا  
ساعة ، فلم يجد اهلها للدفاع استطاعة ، وودخلت من جوانبها  
وتخللت من مذهبها واصابتها نوائها ، ونابتها مصائبها وفل  
غريبها وجب غلالها ، وسبي من أخذ من نسائها  
وأطفالها ، واعتصم من نجا ببرجين اعتصما بالامتناع ، وهما  
هناك من أحكم القلاع ، وفي أحدهما الداوية جمرة الكفر ، ومعهم  
مقدمهم الذي اطلق من الأسر ، وفي البرج الآخر المنهزمون  
الناجون ، والفارون اليه اللاجون ، فنزل على هذا البرج مظفر  
الدين بن زين الدين ، فأبدى لمن استقر فيه وجه التأمين ، وحركهم  
الى الخروح بالتسكين ووثقوا بأمانه ، وأمنوا بميثاقه • ومكن كل  
منهم لسلامته من تسلم مكانه ، فلما ظفر مظفر الدين بالبرج هدمه  
وهده ، وحل من احكامه ما الكفر شده ، وركب النقب على ركنه  
العالي ، ونكبة في ذلك اليوم بما تنكبت عنه نواكب الليالي ، وخرب  
الى اساسه سورته ، ورمي الى البحر صخوره ، وامتنع برج الداوية  
بدائها الدوي • واتبع مريدتهم في التمرد هوى طاغوتهم  
الغوي ، وأقام العسكر حتى نقض اسوار انطراطوس  
وقوضها . ورضنا بها الى أن عفينا ربضها . ولما امتنع البرج  
تركناه ، وما كانت فيه فرصه لو ادركناه ، وكيف كنا نشتغل بفتح  
برج عن البلاد ، وللقصر أوقات هي لها بالمرصاد ، ومن يسلك  
الجدد الاحب لا يعرج على بنيات الطرق ، ولا يستغني مدلج الليل  
بالدراري عن الفلق ، ورحلنا عنها رابع عشر الشهر ، شاهرين  
على الأعداء سيوف القهر ، ونزلنا على مرقية وقد خلت من أهلها  
وتخلت • وتشعثت عمارتها واختلت ، وكان جوازنا الى جبلة على  
الساحل تحت حصن المرقب ، وهو معقل للاسبترارية عالي  
المنكب ، سامي المرقى والمرقب ، ضيق المذهب عسر المطلب ، فلم

يكن بد من عبور ذلك المضيق ، وسدوا تلك الطريق ، وقد صفت  
الفرنج في البحر المراكب ، وسدوا المذاهب ، وردوا الراجل  
والراكب ، وفوقوا الجرخ الجرح ، وسددوا الزنبورك للقرح  
والطرح ، فعرس العبور ، وكثر العثور ، وامتنع الجواز ، ووجب  
الاحتراز ، وأعوز الظهور وظهر الأعواز ، وذلك ان صاحب  
صدقية ، رام ان يكشف عن الفرنج البلية ، فجهز اسطولا بجهازه  
مستطيلا ، وحمله من عدد القتال وعدد الرجال عبئا ثقيلا ، واتفق  
وصوله في تلك الايام في ستين قطعة ، تحسب كل واحدة منها قلعة أو  
تلعة ، من كل شيني من شأنه شن الغارة ومن عادته العابية تشعيث  
العمارة ، مع طاغية يقال له المرغريط • قد عرف منه التوريط ، من  
أرجس الطواغيت ، وانجس العفاريت فوصل الى طرابلس بطوله  
واسطوله ، وصوله وصوله ، فما أحلى ولا أمر • ولانقزع  
ولا ضر ، ولا استقلال ولا استقرار ، ولانقض ولا أمر بل صار على الفرنج  
وبالا ، وحدث لهم بما يسومهم من مؤنثه امحالا ، وماخفف عنهم  
بل زادهم على الثقل اثقالا ، ووجد الكفر في اوان توانيه فلم ينتفع  
ولم يرتفع شان شوانيه ، وصار الى صور ثم رجع الى طرابلس  
وتردد في البحر وتلد وأبلس ، وتفرقت جماعته ، وتجنبنت  
شجاعته ، واضطرب في البحر اشهرا ، ولا يظهر له رأي ولا يرى له  
مظهرا ، فتقطعت اقطاعه • وتتابعنت في الفرار اتباعه ، حتى عاد في  
عدة يسيرة ، وشدة عسيرة ، وكان هذا الطاغية قد حضر يوم  
عبورنا تحت المرقب بمراكبه ، مصفوفة في البحر من جوانبه ، قد  
ضيق الطريق ، ولم يطرق المضيق ، فأمر السلطان بحمل الجفاتي  
الى هناك وتصفيقها ، والستائر وتأليفها ، والتسراس  
وترصيفها ، واقعد من ورائها على مقابلة سفن القوم  
وازائها ، الكماة النخية • والرماة الجرخية ، حتى تباعدت تلك  
السفن ، ودب اليها الوهن ، وتمت عليها المحن ، وأنحت  
الاحن ، ورحل العسكر فعبر آمنا وأمن عابرا ، وسار ظاهرا وظهر  
سائرا ، وجزنا على مدينة يقال لها بلنياس ، وقد أجفل عنها  
الناس ، ونزلنا في ارضها ، وخيمنا في طولها وعرضها ، وأنسنا  
بنهرها وزهرها في الأرواء والرواء ، وحبسنا على نواضر رياضها

نواظر الارتضاء ، وبتنا ونفحات النادي مريضة ، وجنبت الوادي مريضة ، والنسيم العليل ليل ، والعزم الصحيح دليل ، ورسم العدو محيل ، ولقدح الفوز من تأييد الله لنا مجيل ، واصبجنا على الرحيل مبكرين ، ( فسء صباح المنذرين ) ، ( الصافات ١٧٧ )  
وسرنا وسرنا في سرور ، وسفرنا في سرور وجمعنا في اجتماع ، وجننا في ارتفاع ، ونهجننا في اتساع ، وركننا في امتناع ، وعارضنا نهر عريض عميق ، مافيه طريق ، وهو مطرد من الجبل الى البحر ، فازلحم العسكر عند ذلك النهر ، وتواقعت الاحمال والاثقال عند العبر ، وليس عليه الا قنطرة واحدة فتصادموا على ذلك الجسر ، وسار السلطان من فوق على سفح الجبل وعبر ، واستتبع من عسكره بعد الزمر والزمر ، ونزل عشية الخميس على بلدة . وعانت الاثقال في تخلصها من الشدة الشدة ، وتكامل نزولها حين انتصف الليل ، ووصل الى القرار السيل ، وهذه بلدة كاسمها بلدة على شاطئ هذا النهر ، وساحل البحر ، حصينة البناء ، مصونة الفناء قد حصنها الاسبتار ، وحسنها الاستظهار وقطعوا عنها سلوك الطرق ، بتعميق ذلك النهر المخترق ، والينا بلدة خاوية على العروش . حاوية للوحوش . خالية من الانس والانس ، ( وكأن لم تغن بالامس ) ( يونس ٢٤ ) ، وقد انزعج اهلها ، وتشقت شملها ، وتخوف امزوها وعدم السكون ساكنوها .

### ذكر فتح جبلة

وأشرفنا على جبلة يوم الجمعة ثامن عشر الشهر ، وقد اشتهر موسم النصر ، واشتد على الكفر رهق القهر ، وكان قاضي جبلة قد تقدم في السابقة وسبق في المقدمة ، وأقدم على قصدها بالعزيمة المصممة ، فلما بصر مسلمو البلد بما وضع في الجد من الجدد وسنح من الظفر المتضافر المدد ، خرجوا مستسلمين مسلمين مستسلمين

بعز الاسلام معتصمين ، وعلت على السور الرايات الناصرية المنصورة ، والتهجت بحمد الله الألسن الشاكرة وابتهجت القلوب المحبورة ، وتحصن الكفرة من الحين ، ولجأوا في التحين الى الحصين ، فمن لاذ بالحصن الذي على المينا ، قال انه بحصانته ومنعته يحمينا ، وعاذ معظمهم الأكثر بحصن البلد وهو المعقل الأكبر ، وتوسط لهم قاضي جبلة في أخذ الامان بعد قبض الرهائن ، على ان يعيدوا من استرهزوه ، في انطاكية من أهله ، ويجمعوا شملهم بشمله ويسلموا اليها كل مالهم من سلاح وعده ، وخيل ونخيرة وغلة ، وتسلمنا الحصنيين يوم الخميس ، وعادوا مأهولين من الاسلام بالأنس ، وكرمت بالكرام جبلة جبلة ، ونفت عنها بالافئة المقبلة ، الفئدة الشقية المختلة ، وسعد أهلها بعد الشقاء وتعوضوا من الشدة بالرخاء ، وافضى اليأس بهم الى الرجاء ، وفاؤوا الى الوفاء ، وانتقل أهل الجبل الى جبلة طائعين بعد العصيان ، مصافحين بالمصافاة بالايمان أيمان أهل الايمان ، وكان حصن بكسراييل قد تسلم من قبل ، واتصل بفتحه الحبل ، فرتب فيه من حكم على ذلك الجانب وأهله وكانوا لقاضي جبلة مذعنين بايمانه مؤمنين ولدعائه ملبين ، ولبقائه محيين • ونجوا من العار والتبار ، وضيم الكفار ، وتناجوا بالاستبصار والاستغفار والاستنفار ، وأضت تلك الولاية لاحسانها والية ، وتلك الناحية على سكانها حانية ، وتلك المدينة لأهل البين داتنة دانية ، وتلك الجنة العذبة الجني لورد دم الجنة من شوك القنا جانية ، وتلك البنية لمعالم المعالي في هدم اساس الاساءة بانية ، وتلك الهضبة راسية ، والتربة كاسية والرتبة سامية ، والربوة رابية والذروة عالية ، والحالة حالية ، واقام السلطان بها اياما حتى أزال شععتها • وأزاع خبثها ، ورأب صدعها ورب ربعها ، وشاد ركنها ، وشد حصنها ، حتى أزال كفرها ، وجبر كسرهما ، وجد بها جديها ، وحض بها خصبها ، وباعدل عمرها ، وبالفضل غمرها ، وبالرعاية ملأها

والرعية كلاها ، وبجل قاضي جبلة وشرفه • وحبس عليه ملكا نفيسا ووقفة ، وصرفه في املاك آبائه ، وحكمه في ولاية حكمه وقضائه .

## ذكر فتح اللاذقية

ورحل ثالث عشري الشهر يوم الأربعاء منشور اللواء ، منصور الأولياء • مشكور المضاد ، عالي القدر قادر العلاء ، ناجح الآراب راجح الآراء ، وسار برعب الى العدو يقدمه • وعزم على الفوز يصممه ، وأمر لامرار الأحكام يحكمه ، وجد على تدبير الدين يقفه ، وحد في تدمير المارين يرهقه ، وسعادة تؤيده وتأييد من الله يسعده ، وسطوة على الكفار يرسلها ، وجذوة في أهل النار يشعلها ، وجيش للوثبات يذسطه ، وجاش بالثبات يربطه ، وهيبة تروع الخواطر ، وهيأة تروق الذواطر ، وبتنا تلك الليلة بالقرب من اللاذقية معرسين ، وبات الكفرة مبلسين ، قد لاذوا من حصن اللاذقية بجبل عاصم • وعروة كل قلب لهم من الرعب في يد فاصم ، والخوف عليهم مستول • والذعر فيهم مستعل • والأفئدة منهم خافقة والانية بهم متضايقة ، والمهيج في سوق الردى نافقة ، ونحن طول الليل من السوابغ في جر النيل ، ومن السوابق في اجراء الخيل ، ومن نشاط العزم في اهتزاز ، ومن احتياط الحزم في احتزاز ، ومن انتخاب الأجواء والجياد في انتقاء ، ومن انتقاد العناق والرقاق في انتقاء ، ومن انتهاز الرياح بالهواضيب في انتهاء ، ومن اقتضاب الأرواح بالقواضيب في اقتضاء ، والمقربات تسرج والسريجات تقرب ، والمقانب تكتب والكتائب تقنب والصوارم تنتضى • والصرائم تقتضى ، والقوارح تضممر ، والقرائح تخمر ، والضوامر تجرى • والبواقر تعرى ، والصلاد تلجم • والدلاص تستلأم • والحنايا توتر • والمنايا تؤثر • والجاليشية تعبي ، والجاوشية تليبي .

حتى أصبحنا يوم الخميس والخميس مصبح . والمتجر مربح .

والمفخر متوضح . والجاش فرح . والجيش مرج . وقرح العدو  
مقترح . وزند الفتحة مقترح . وباب السماء لنزول ملائكة النصر  
مفتتح . وأحدقنا بالقلع وقلعنا الاحداق . وخطنا بابر السهام من  
موقها أماق . وأخرجنا منهم بالارهاق الارماق . وانهضنا اليها  
الحجار والنقاب والزراق . وأطرنا الذشاب الى اوكار المقل .  
وأزرناهم رسل النصال بكتاب الاجل . وسمعنا من ضوضائهم زجل  
الوجل . ورأيناهم تغلي من صدورهم بنار الحقود مراحل الغلال .  
وأشرفوا من الشراريق قلقين متقلقلين ما بين تلك القلال . وجدوا في  
القتال . وشدوا على الرجال . وسدوا مذاهب الاهواء بالاهوال .  
وهناك في الزنبورك بورك . فانه بالجرح دورك . وقلنا للكفر اخرج  
لندخل الى دورك . وأي دار فيها التوحيد بأهل الشرك شورك .  
وطالما سكنت دارنا فاخرج . ودرجت اليها فادرج . ومازلنا نقاتلهم  
بسوادنا بياض النهار . ونغطي سني يومنا بليل الغبار . ونرفع من  
الاسود حجابة بالحجار . حتى فزنا بتمكن النقاب والحجار .  
وأخذت عليهم النقوب . ووقدت منهم القلوب . وبلغ النقب من  
الشمال في الطول ستين ذراعا . واربعة أذرع في العرض اتساعا .  
وهي ثلاث قلاع متلاصقات . على طول التل متناسقات . كأنهن على  
رأس رأس راسخ . وذروة أشم شامخ . فسهل الله لنا فرعها .  
وشرعنا نستاصل أصلها وقرعها . وناوبنا عليه القتال . وجاوبنا  
بالنصال النصال . وأوضعت بنات الكنائن بظعنات الضفائن .  
وأثارت من مكان الاحقاد كوامن الدفائن . ودام الرماء . ومريرت  
الدماء . وانتجع النجيع . ووقع ذلك الرفيع . فاستبطيء السريع .  
وتخطي الصريع . وأبصروا مالا عهد لهم بمثله . وعابنوا ماعانوه  
من غريم الموت المطل في مطله . وفتح الحدف بابه . وحفز الزحف  
اصحابه . وكشر الشرك نابه . وصادف الكفر لدمه المطلول مصبه  
ومصابه . ونفر الناس اليهم . واستطالوا عليهم وطمعوا فيهم .  
والاجل يظهرهم والوجل يخفيهم . وهم من وراء أسوارهم . وبواء  
في بوارهم . ووبل الذبل هام . وأهل الجهد في ضراب وضرام .  
وجمر الجمع في التهاب والتهام . ووقع منهم الزمع . ومنافيههم  
الطمع . حتى ازحم على التل الصغار والكبار . واستشعروا منا

وزال منا الاستشعار . وكان لي مملوك صغير قد زحف . وأرهق  
وأرهف فقبل خده سهم . فرجع وإذا وجهه طلق لاجهم \* وهو  
بقرحه فرح . والفرح بالشهادة مقترح . وقد عدله الجرح \* وحسنه  
القبح \* فلما عرفوا أنهم مدركون . وأنهم يؤخذون ولا يتركون .  
صاحوا الامان . واستماحوا الايمان . وذلك في يوم الجمعة الخامس  
والعشرين من جمادى الأولى عشية . وكان فتح ذلك المعقل من الله  
مشيه . فانه موضع ما فيه مطمع \* ولم يكن للكفر غيره مفزع \*  
وصعد اليهم قاضي جبلة يوم السبت غدوه . وكان ذلك الافتح صالحا  
أشبهه غدوه \* وطلع السنجق المنصور . وانجلت الظلمة وتجلي  
النور . وأشرق الفلق وزهق الليجور . وبدا الفجر وباد الفجور \*  
وسرت القلوب وأقبل السرور . وساموا القلاع بما فيها من عدة  
ونخيرة . وأسلحة وخيل ودواب كثيرة . وأمنوا على أنفسهم  
وأموالهم \* وانصرفوا بنسائهم ورجالهم . وذريتهم وأطفالهم .  
وخفوا من أثقالهم . ودخل جماعة منهم في عقد الذمة . وتمسكوا  
بحبل العصمة . وانتقل الباقون الى انطاكية . وايقنوا انهم وجدوا  
بعد رسوم السلامة العافية العافية . ورتب السلطان جماعة من  
خواص مماليكه \* وأخرج من القلاع أهل الكفر وأسكنها التوحيد  
مصوننا من الاشرار وتشريكه \* ثم ولى بها سنقر الخلاطي  
مملوكه \* وقد عرف حسن سيرته وأحمد سلوكه \* فتولى الرعاية  
كافة بالرعاية والكفاية \* وانتهى الى غاية في نهى أولى الغواية \*  
واقام جاليا للغاية \* عالي الرأي والراية \* وركب السلطان الى  
البلد وطافه \* وهز إلى إحسانه أعطافه \* وأدنى الى عدله قطافه \*  
ووفر الطافه \* وأصفى نطافه \* وامنه بعد ما أخافه \* ورأيتها بلدة  
واسعة الافنية \* جامعة الابنية \* متناسبة المعاني . متناسقة  
المفاني . قريبة المجاني \* رحيبة المواني . في كل دار بستان . وفي  
كل قطر بنيان . وقد أبى الله أن يكون للكفرة منها جنان . أمكنتها  
مخرمة . وأروقتها مرخمة . وعقودها محكمة . ومعالمها معلمة .  
ودعائمها منظمة . ومساكنها مهندسة ومهندمة . وأماكنها ممكنة .  
ومحاسنها مبينة . ومراقبها معينة . وسقوفها عالية \* وقطوفها  
دانية . وأسواقها فضية . وأفاقها مضية . ومطالعها مشرقة .

ومرابعها موزقة . وأرجاؤها فسيحة . واهواءها صحيحة . لكن  
العسكر شعث عمارتها . وأذهب نضارتها . وأزعج ساكنيها .  
وأخرج قاطنيها . وملك دور المشركين للموحدين . وطهرها من  
رجس الكفر وأظهر الدين . ووقع من عدة من الامراء الزحام على  
الرخام . وذقلوا منه أحمالا الى منازلهم بالشام . فشوهوا وجوه  
الاماكن . ومحدوا سني المحاسن . وبظاهر اللاذقية كنيسة عظيمة .  
ذفيسة قديمة . بأجزاء الاجزاء مرصعة . وبألوان الرخام مجزعة .  
وأجناس تصاويرها متذوعة . وأصول تماثيلها متفرعة . وهي  
متوازية الزوايا . متوازنة البنايا . قد تخيرت بها أشباح الاشباه .  
وصورت فيها أمواج الامواه . وزينت الاخوان الشيطان . وعينت  
لعبد الصليان . ولما دخلها الناس اخرجوا رخامها . وشوهوا  
أعلامها . وحسروا لثامها . وكسروا أجرامها . وأهدوا الاسى لهد  
أساسها . وأفاضوا عليها لباس ابلاسها . وحكموا بعد الغنى  
بافلاسها . وافتقرت وأفقرت . وخربت وتربت . ثم لما طابت  
النفوس . وتجلى عن البلد بفتح البوس . عاد الى هذه الكنيسة  
بالأمان القسوس وهي متشوهة متشعبة مستمسكة بأركانها  
وقواعدها متشعبة . ولقد كثر أسفى على تلك العمارات كيف زالت .  
وعلى تلك الحالات الحاليات كيف حالت . ولكنما زاد سروري بأنها  
عادت للاسلام مرابع . ولسروحه مراتع . ولجموعه مجامع .  
ولشموسه مطالع . فلو بقيت بحليها وحالتها . بعد ما تبدلت رشدها  
من ضلالتها لشاقت وراقت . وكما أفاقت فاقت . وشأت البلاد اذا  
شاءت . لكنها ساءت لما أساءت . ثم أعادها الاسلام إلى أحسن  
حاله . وجلالها في السناء أسنى جلاله . ورغب في إعطاء الجزية سكان  
البلد من النصارى والارمن . حبا للوطن وسكونا الي السكن . فأض  
مأمول الجني مأهول الجناح . وعاد بتجار البحار مملوء الرحاب .  
وتبدل بالابدال الاخيار . والارباب الابرار . من بعد الكفار الفجار .  
والاشرار أهل النار . وكانت شواني صقلية . قد قابلت في البحر  
اللاذقية . طمعا في امتناعها . وطلبا لزياده عنها ودفاعها . فلما  
خابت خبت نارها . وباخ أوارها . وقصدت لجهلها اخذ مركب من  
يخرج من أهلها لكونهم شغلوا عن صونها ببذلها . فامتنعوا عن

الانتقال . وأمذوا بعقد الزمة على النفس والمال . وكان السلطان يوم  
الرحيل من اللاذقية راكبا عند ميناها . وقد حصل من ترتيب العمارة  
مناها . فطلب مقدم تلك الشواني أمانه . ليصعد ويشاهد سلطانه .  
فأمنه حتى صعد ! ولو أسلم ذلك الشقي لقلت سعد . ولما حضر  
الكافر عفر وكفر . وتروى ساعة وتفكر . وأحضرنا الترجمان .  
وأدى عنه البيان . وقال أنت سلطان عظيم وملك كريم . وملك  
رحيم . وقد شاع عدلك . وذاع فضلك وقهر سلطانك . وظهر  
احسانك . فلو مننت على هذه الطائفة الضائفة فأمنت وأفضلت  
عليها وأحسننت . لملك قيادها . اذا أعدت بلادها . وصاروا لك  
عبيدا . واطاعوك قريبا وبعيدا . وان أبيت غير الغيرة والاباء .  
ودمت على ارهاق الدهماء واهراق الدماء جاء من وراء السبعة  
البحار من يسد فضاء السبع الطباق . وأفاق للتناصر على دفع هذا  
الخطب نصارى الآفاق . وثار الروم لروم الثار . وخرج الفرنج  
أنفارا للاستفار . وسار ملوك ذوي الاقانيم . من سائر الممالك  
والاقاليم . واتي الآتي . ولايقاوم القدر المأتي . وهؤلاء أهون  
منهم . فاتركهم واصفح عنهم . فقال السلطان: قد أمرنا الله بتمهيد  
الارض . ونحن قائمون في طاعته بالفرض . وعلينا الاجتهاد في  
الجهاد . وامتثال أمره فيه بالانقياد . وهو الذي يقدرنا على فتح  
البلاد . ولا تكثر الاساد بكثرة النقاد . ولو اجتمع اهل الارض .  
نات الطول والعرض . لتوكلنا على الله في البقاء . ولم نبال بأعداد  
الاعداء . فلما سمع ما فهمه من نجهه . ذهب بعد أن صلب على  
وجهه . وركب بكربه وكر بركبه . ولم يغن خطابه عن خطبه .

### ذكر فتح حصن صهيون

ورحلنا ظهر يوم الاحد السابع والعشرين من جمادى . والهدى في  
نصره بين أنصاره يتهدى وقد تيقنا أن الفتح لا يتمادى . وان العزم  
عن الفداء بالمهج في سبيل الله لا يتفادى . وأخذنا على سمت  
صهيون . وهو حصن يفوق الحصون . ويفوت العيون وطلبنا كما

يطلب الدائن المديون . ونحن للكفر مميتون . وللإسلام محيون .  
وكان الطريق اليه في أوبية وشعاب . ومنافذ صعب . ومضايق غير  
رحاب . وأوعاث وأوعار . وأنجاد وأغوار . وقطعنا تلك الطرق في  
يومين . ووصلنا ليلة الثلاثاء بليلة الاثنين . وخيمنا على صهيون  
يوم الثلاثاء التاسع والعشرين . ورزقنا الله التأييد والتمكين . وهي  
قلعة على ذروة جبل في مجتمع واديين . بها محيطين من جانبين .  
والجانب الجبلي قد قطع بخندق عميق وسور وثيق . والقلعة ذات  
أسوار خمسة كأنها خمس هضاب . ممثلة بذئاب سحاب . وأسود  
غضاب . وأحاط العسكر بها يوم الاربعاء من نواحيها الأربع .  
وهي ممتنعة علينا بالركن الامنع . والسمو الامتع . ونقل السلطان  
خيمته الى جانب الجبل بكرة اليوم . وشرع في محاصرة القوم .  
وقامت أسواق الاقواس للمذون في مغلاة السوم . وتوفرت سهام  
السهم من المقل . وتبدت بنات الكنائن من الدم القانيء حمر  
الحل . وأسقطت حوامل المنجنيقات أجنة الصخور . وكشفت صدور  
الكنائيات أكنة الصدور . وظهر سرا لاسراء . وكثر مرء الرماء .  
وزخر دأماء الدماء . وطارت الحجارات . وحجرت الطيارات .  
ودارت حميا الحمام على أولئك . واستتجبت ملوكنا الملائك .  
وأدامت اليهم المجانيق والجروح والقسي الرمي المتدارك . وأقام الملك  
الظاهر غازي صاحب حلب منجنيقين . ونهج بهما من جانب  
الوادي الى ربيء الاعادي طريقين . وكان له في فتح هذه القلعة الجد  
العالي . والجد الوالي . والعزم الماضي . والحزم القاضي . والسعي  
الناجح . والرأي الراجح . والبأس البالغ . والسطو الدامغ . فانه  
اتصل بنا قبل الوصول الى جبله من طريق حماه . وقد استصحب  
الكمة الحماة . ومعه الرجال الحلبية . والمنجنيقية والجرجية .  
والجندارية والخراسانية فأظهر على صهيون اليد البيضاء . وكسب  
الذكر والثناء . وأنار في فضاء الفضائل وأضاء . ودام القتال على  
المكان من جانبه . ومن جانب السلطان : والملك الظاهر في تظاهر  
ملكه . وتضافر سلكه . وريعان اقباله . وعذفوان جلاله . وشباب  
رهان مجاراته . وشبا برهان مباراته . وابراق عوده . واشراق  
سعوده . وغرة عزته . وميعه منعته . وصدر تصدده . وشرخ تأمره

وتشمره • وقد وصل في أول نشاطه • ونشوء اغتباطه • وفتاء  
فتوته • ورواء رويته • وارتقاء ارتفاعه • وايفاع بفاعه • وترعرع  
سنه • وترعرع ركنه • وتسامي سيادته • وتراقى سعادته • واجد  
لعز العزم الجد • وأعد لري الرأي العد • واستلذ في سبيل الله  
نصبه • ورفع المنجنيق ونصبه • وجعل لرجاله ذوبا • ولأحواله  
رتبا • والقم أفواه كفاته حجرا • وأجرى في الحق من الحجارات  
الجاريات من منابحه نهرا • ورجم الحصن الزاني رجم الحصن •  
وأحسن الى الاسلام وأساء الى الكفر • فله در المسء المحسن •  
وما زالت المجانيق من جانبه وجانبنا ترمي • والحنايا بسهام المنايا  
تصمي • حتى قتلت مقاتلة الحصن • وهان بمادب فيه من  
الوهن • وأصبحنا بكرة يوم الجمعة ثاني جمادى الآخرة • وطما  
بحر العسكر بأمواله الزاخرة • وازدحم الناس في الزحف كأنهم في  
الحشر بالساهره • وهاج الشباب • وماج العباب • وتسابق ذوو  
الجرأة والقوة • وتلاحق ذوو الحمية والنخوة • وكان في قرنة الخندق  
عند خرقة الى الوادي موضع لم يكمل تعميقه • ولم يتم توثيقه •  
فتطرقوا من تلك القرنة الى القنة • وتسوروا السور وتسلقوا •  
وتقلعوا الى القلعة وتعلقوا • وتملكوا الذروة • وامسكوا العروة •  
واستولى على أهلها الرعب • واستشرى بهم الكرب • فتعادوا الى  
القلة • وتغادوا من الخوف لامن القلة • وملك عليهم ثلاثة أسوار •  
بما فيها من متاع وشوار ( ٢٥ ) • ونعم وأبقار • وصاحوا  
الآمان • وبذلوا الأذعان • ونادوا مكنونا من السلامة وتسلموا  
المكان • فما امنوا على المال والنفوس • حتى قررنا عليهم مذل قطيعة  
القدس • واغلقت دونهم الأبواب • وسير إليهم الذواب • وما استقر  
خروجهم حتى استخرج منهم القرار • وجبي الدرهم والدينار • وعم  
الكبار والصغار الصغار • وتولى ذلك شجاع الدين طغرل الجاندار •  
ثم سلم حصن صهيون بجميع أعماله • وسائر ماحواه من نخائره  
وأمواله • الى الامير ناصر الدين المذكورس بن خمار تكين • اسد  
العرين وامير المجاهدين • المقدام الهمام • والمطعام • فألفى الثغر  
سداده بسداده • وامرع به مراد مرانه •

## ذكر فتح الحصون المذكورة والرحيل

وتسلم يوم السبت قلعة العيد • ويوم الاحد قلعة الجماهريين •  
ويوم الاثنين حصن بلاطنس وندب الى كل حصن من تسلمه .  
وسلكه في سلك الفتوح ونظمه .

## ذكر فتح حصني بكاس والشغر

وسار السلطان ثاني يوم فتح صهيون على سمت القرشية ، ومشية  
الله جارية على موافقة ماله من المشية . ونزل على العاصي في طاعة  
الله والنصر قد نزل . والكفر قد اتخذ . يوم الثلاثاء سادس  
الشهر . وبحور السوابح في غدران السوابح مائجة على ذلك النهر .  
وحكم السلطان في القهر ماض بانن الله على الدهر . وتسلم حصن  
بكاس يوم الجمعة تاسع الشهر المذكور ، وشكا الشريك نكاية حد  
بأسنا المشكور . وحول خيمة خفيفة الى الجبل ، لحصار قلعة  
الشغر • وهي قلة شامخة من أعلى القل • على هضبة منقطعة .  
عالية مرتفعة • ومن ذواحيها واد • خاف من العمق غير باد • في  
أعماق ووهاد • وقد قطعت من الجبل حتى اتصل بالوادي خندقها •  
واخذ من العوادي موثقها • فما اليها طريق ولا عليها طروق •  
ولا فيها للطمع علوق • ولا لاسهم اليها مروق • ولا للزحف فيها  
مقطع • ولا للذر نحوها مطلع • ولا للطير في مراحها وكر • ولا للمكر  
في افتتاحها مكر • ولا للوهم في توقلها مجال • ولا للفهم من تصورها  
منال • ولا لها بمن يحتفل بها احتفال • وما عليها للنازلين عليها  
قتال ولا نزال • ولا يتغير لها مع تغير الاحوال حال • وصعب شغل  
الشغر • واشتغل فكر الكفر • ولم ير السلطان طريقا غير الرمي  
من المنجنيق • لعله ينال جميعها بالتفريق • وداومها بالحجارات  
أياما • ولكم سد بها مرمى ومراما • فلم تعبأ بأعبائها • فإنها

ترامت عن رمائها • وابت الا ثباتها وثبتت على اباثها • وأعا  
اعضال دائها • واستفحال بلائها • وخام الرجاء بالارعاء عن  
ارجائها • ولو لم يضجر حاميا لضجر راميا • وسدّم سائما  
لئساميا • لكنه وهي جلده • وهوى خلده وخار قلبه • وحار لبه •  
وخاف من الاقامة • وخاب من السلامة • وارتاح الى الراحة •  
وسما الى السماحة • وعاج الى الانزعاج • وعاد لءاء خووفه في  
الاستئمان يطلب العلاج • ودعا الى الدعة • والخروج من الضيق  
الى السعة • فبيننا نحن في ترو وتفكير • وتخير للرأي وتدبر •  
ونقول هذا حصر يشدد • وأمر يمتد • وعمل يصعب • وأمل  
يتعب • ومعقل لا يختل ومعقد لا يحتل • ومقصد لا يدرك • ومورد  
لا يملك • ومكان لا امكان لفتح • ورجاء يطول الزمان في تطلب  
نجه • اذ خرج من الحصن • من يضرع في الأمان ويمتري ضرع  
الامن • فشكرنا الله على تسهيل المتوعر • وتيسير المتعسر •  
وتحصيل المتعذر • وتلقيح الرجاء من الياس • وتذقيح مناط حكم  
الصحة عند اضطراب علة القياس • وكان ذلك ثالث عشر الشهر يوم  
الثلاثاء • وسألوا في مهلة ثلاثة أيام والارعاء • ليخبروا صاحب  
انطاكية ويستأذنوا • ويقبلوا عنده العذر ويخرجوا من الحصن  
ويسلموه فأصبحنا يوم الجمعة وصباح الجمع مسفر وجناب الشرك  
مقفر والشجر شاغر • والكفر صاغر وفسم القهر منا لهم فاغر •  
والاسلام قد ثلم ثغر من هو له مئاغر • والحصن البكر مفتعر •  
والبن المتأصل بشعب النصر متفرع • وطلع العلم الى ذلك العلم  
الطالع • وانتقم الهدى الضليع من الضلال الطالع • وكأنما عذبات  
تلك الراية مقاول الداعين ، وكأنما أبراج تلك القلعة مسامع  
الواعين ، وعاد الحصن أهل بأهل الاحصان ، وصافح بأيدي الأيد  
ايمان ذوي الايمان • فابتسم عن النصر ثغر الثغر • وفرغ القلب من  
شغل الشجر ، وسلم هو وحصن بكاس ، الى غرس اللين قليج  
الساقى عدوه الموت بكاس الباس • وانتقل السلطان يوم السبت الى  
مخيمه والاقبال جائم في مجثمه • وسرى ولده الملك الظاهر الى قلعة  
سرمانية ، وأرهق فيها الفجرة الجانية ، واستطلق منها البررة  
العانية • وقطف مجانيها الدانية ، واخلى مغانيها الغانية ، وماقطع























































































































































































































































































































































































































































































































































































































